الأخلاق المتبولية

للعارف بالله

سيدى عبد الوهاب الشعرانى

تقديم وتحقيق وتعليق

دكتور منيع عبد الحليم محمود

الجزء الثالث

دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع

ميدان المشهد الحسيني ت [illegible]



ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا

الباب الثامن

فى جملة أخرى من الأخلاق

ومن أخلاقهم: عدم حكايتهم للناس أعمالهم الصالحة التى وقعت منهم فى أزمان مضت ولم يشعر بها أحد إلا لغرض شرعى .

فإن حكايتها بغير غرض شرعى تردها إلى صورة الرياء بها حال عملها وهذا من دسائس إبليس على المتعبدين الذين لم يسلكوا على يد شيخ ، فيعملون الأعمال الصالحة سراً ، فلا يزال إبليس يزين فى عينهم ذكرها للناس، حتى يخرجها من عمل السر الذى يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفاً ويردها إلى حكم الرياء بها،ويصير كأنه رائياً بها .

ومن وصية سيدى على الخواص لأصحابه : إحذروا من التسميع بأعمالكم فإنه يبطلها كالرياء على حد سواء ، ولهذا أتت هذه الكلمة مقرونة بالرياء فى نحو قوله صلى الله عليه وسلم ، ويبق الذى كان يسجد رياءً وسمعة ، إذ الرياء له اشتقاق من الرؤيه والتسميع من السمع ، ومن المعلوم أن التسميع الآجل كالرياء العاجل حيث أراد نظر المخلوقين وتعظيم نفسه عندهم بأعماله ، والإخلاص مغاير لهذا كله .

وقد سمعته رضى الله عنه ينهى عبداً عن صلاته بجنب أمير فى صلاة الجمعة حين قال له :

يا سـيدى مقصودى أصـلى بجنب الأمير لأسأله عن حاجة كذا وكذا .

فقال له : يا ولدى أخاف عليك الريا بخلطك أعمال الدنيا مع أعمال الآخرة ، ولكن صل حيث شئت ، فإذا فرغ الأمير فسله فى أى مكان كان .

وسمعته أيضاً يقول : قد يخلص العبد فى أعماله ، ويرفع ذلك العمل

خالصاً مخلصاً من شوائب الرياء ، فلا تزال النفس تضطرب بطبعها ، والشيطان يوسوس لها ، ويحتال على إفساد ذلك العمل الصالح على عادته مع العبد ، وإبطاله بالكلية إلى أن يتحدث به العبد ، ويخبر به الناس وحينئذ تسكن نفسه عن ذلك الاضطراب لأنها وصلت إلى حظها من الرياء ، وقنعت بثناء الناس عليها ، حتى أنها لم تخف من سخط الله تعالى عليها ، حيث أخرجت عبادتها عنه تعالى إلى عبد من عبيده لا يضر ولا ينفع فى دين ، ولا دنيا ، وذلك هو الخسران المبين .

وكثيراً ما يخبر المغفل بأعماله الصالحة من لا يحتفل بالثناء عليه بسبب تلك العبادة ، ولا يرفع قدره بها ، فهذا خسر حظه العاجل أيضاً ، فنعوذ بالله من ذلك .

فإذا قلت : إذا منّ الله تعالى على عبد بأعمال صالحة من عدة سنين ، وطويت صحايفها على ذلك ، ثم إنه سمّع بها الناس ، حتى حبطت كما صرح بذلك فى الحديث ، فهل لذلك من دواء ، فالجواب نعم لذلك دواء ، وهو أن يندم العبد على ذلك ، ويتوب من مثله توبة صادقة جازمة بأنه لا يعود يسمع أحداً من الناس ، بعمل من أعماله إذ التوبة الصادقة تمحو تلك الزلة فإذا تاب كذلك رجع العمل صحيحاً بمشيئة الله تعالى وحسن توفيقه .

ومثل ذلك ، كمثل رجل كان صحيحاً ، ثم طرأ عليه مرض أفسد صحته ، فاستعمل دواء نافعاً ، فأزال الله به ذلك المرض ، وعاد المريض بفضل الله ورحمته إلى حال صحته ، فعلم أن التسميع له دواء بخلاف الرياء لأنه يفسد العمل من أصله ، فاعلم ذلك يا أخى واعمل على تحصيل الإخلاص فى أعمالك الظاهرة والباطنة .

وقد دخلت مرة على سيدى الشيخ عبد القادر الدشطوطى رحمه الله فقلت له : أوصنى .

فقال : عليك بإخلاص القصد لله عز وجل ، ولا تتهاون فى ذلك ، وترضى بتلبيس نفسك تهلك .

فقلت له : ما مثل ذلك ؟

فقال : أن يكون الباعث لك على فعل العبادة أمران فانى أو باقى .

فقلت له : فإن غلب الباقى على الفانى ؟

فقال : هو رياء .

فقلت : إن بعضهم يقول : إذا غلب الباعث الباقى كان الحكم له .

فقال : هذا فى حق العوام الذين لا يقدرون على سلوك طريق العلماء العاملين أما من يقدر على سلوك الطريق فلا يسامح بمثل ذلك .

ثم قال لى : إن العلم من أصعب طرق الرياء على المبتدئين فى الطريق أن يكون عمل أحدهم لله تعالى ، ولشىء آخر ، فإن مثل هذا يشتبه على المريدين ، ويعسر عليهم الخلاص منه بخلاف الرياء المجرد . فإنه قد يفهم بأدنى تأمل .

وأطال فى بيان طرق الرياء بما لم يخطر على بالى قبل ذلك .

ثم قال : ومن غريب ما يقع لبعض الناس أن يكون للواحد منهم حاجة عند حاكم أو أمير أو كبير ، وذلك المعظم يصلى الجمعة أو غيرها فى الصف الأول أو فى مكان معروف به ، فهو مجتهد فى الصلاة إلى جانبه ، ليحصل مراده منه لا ليؤدى فريضة الحق تعالى فى ذلك المكان على تلك الصفة . ومن المعلوم أن الباعث على ذلك العمل هو ذاك القصد الأول لا قصد إتقان أمور الصلاة .

قال : وهذه علة دقيقة يجب التفطن لها خوفاً من ضياع الأجور وظلمة القلب لأجل فساد المقصود ، فإن بلى العبد بمثل هذه الأمور ، ولا بد كان له فى التخلص منها عدة طرق منها :

أن يعقد تلك الصلاة نفلا ، ثم يجهد على أداء الفرض بطريقه الشرعى .

فى مكان آخر أو جماعة أخرى . وقصده مخلص ، واجتهاده على الخير كامل .

ومن ذلك أن يحدث أحدهم وهو فى الصف . ثم ينصرف موهما لتجديد الوضوء ثم يصلى فى مكان بعيد فيه ثانية [illegible] ويعود إلى الأمير يحدثه من أمر دنياه ثم يتمم الأجر بينه وبينه شىء ولو فعل غير ذلك إذا قسم له منها لا يتهيأ له حضوره ولو صبر فى تحصيله أمور دينه . والغفلة فى هـذا الباب شاملة جداً لكثير من الناس . فيقدمون حب تحصيل الدنيا على طلب الأجور فى الآخرة .

ومن صدق الإخلاص أيضاً : أن يحاسب نفسه بصدق إن خشي خروج الوقت أو فوات الجماعة . ونحو ذلك من الأمور العارضة . فيفكر فى نفسه، فإن أمكنه الإنصراف إنصرف بحيث لا يوهم نفسه ما ليس له حقيقة من رعاف . ونحوه وإن أمكنه أن يعقدها نافلة فعل، فيجدد النية بطريقه الشرعى ويصلى فى ذلك الموضع على وجه شديد ، هذا كله فى الأمور المقطوع بها من النوافل .

أما كون العبد يجعل الفريضة التى هى أفضل عبادات البدن ترسا بين يدى حظوظه ، ووسيلة إلى تحصيل مقاصـد دنياه الفانية ، فإن ضرر ذلك لا يخفى على أدنى أهل الإسلام ،وإن وقع أن أحد ألبس على نفسه ،ورضى بدوام التدليس فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ولما حضرت الوفاة الإمام ابن عمر رضى الله عنه أثنى الصحابة عليه وقالوا : أبشر بخير فقد سهلت طريق مكة . وبنيت المصانع ، وفعلت ، وفعلت ، وعبد الله بن عمر ساكت فقالوا له : ماذا تقول ؟

فقال : أقول كما قلتم ، ولـكن إذا صحت النية ، وطابت النفقة انتهى .

ثم قال سيدى عبد القادر : هكذا سمعت ذلك من لفظ سيدى إبراهيم المتبولى.

فقلت له : وسمعت نحو ذلك من سيدى على الخواص .

فقال : كان حاضراً معى فى ذلك المجلس ، فقويت الرواية بذلك فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : فى كل عصر الحذر من الاغترار بأعمال أهل عصرهم والاكتفاء بالعمل على صورتها من غير تفتيش فيها

فإن الغالب عليهم قلة التحشم والإخلاص وعدم التخليص من دقايق الريا .

وقد كان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول : إقتد بالأموات من السلف الصالح ، وإياكم ، والاقتدا بأهل زمانكم ، ثم يقول : وما أشدها من خصلة فى العيش مع الأحياء والإقتداء بالأموات .

وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول : عليك بحسن الاتباع للسنة الثابتة ، فإن ذلك ثمرة عظيمة لاتحيط العقول بفضلها وبعظمة درجتها فالعاقل من وزن أفعاله وأقواله وأحواله فإذا سار على هذا المنوال فهو المقبول ، وما خالفها ، فهو المردود .

قال : وقد دخل على بعض من يدعى السلوك دواخل عظيمة من اتباع البدع : ذهب توحيد بعضهم ، فأوجبت لهم الشرك . والإلحاد والخروج عن حقائق دين الإسلام بالكلية .

فإياك يا أخى ، ومعاشرة هؤلاء وعليك بمطالعة كتب الحديث ، كالبخارى ومسلم . والسيرة النبوية ، والآثار السلفيه تخلص من الضلال ، وإن كنت قاصر الفهم عن استخراج الاحكام من الاحاديث فجالس الفقهاء ، ولو كانوا غير عاملين بعلمهم ، لتستفيد منهم الآداب ، والأخلاق ، والسنه مستمرة الوجود فى الوجود إلى مقدمات الساعة ، فاطلب ذلك ، وعلق قلبك بمعانى النصوص الشرعية المتعلقة بالتوحيد الصحيح الخالص عن الشوب ، فإن فروع التوحيد الغالية والحالية حقيقة هى المستندة إلى طريق السلف من الصحابه ، والتابعين ، وتابعيهم . والأئمة المشهورين ، كالإمام أبى حنيفه ، وسفيان ، ومالك ، والشافعى ، وأحمد ، ومن تبعهم من المشايخ كالفضيل

بن عياض . وابراهيم بن أدهم ، وذو النون المصرى ، وأبى سليمان الدارانى . ومعروف والجنيد ونحوهم من أهل الاهتدا والاقتدا

وسمعت سيدى محمـــد المنير رحمه الله يقول : إلزموا طريق السلف الصالحين ، واحذروا من طريق المتأخرين ، فإنهم قلبوا كثيرا من القواعد الشرعيه ، وغيروا كثيرا من المقاصد الصحابيه ، واكتفى أحدهم بالقال عن الحال ، وتركوا المجاهدات لنفوسهم بالكلية ، وصارت لهم مسالك ، وعبارات . ورياضات ، وعبادات كثيرة التعب قليلة المنفعه جعلوها بجهلهم نهاية التحقق ، وغاية التدقيق ، فهى فى نفس الأمر ، كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماءا .. الآيه ومن تصفح السنه عرف صدق ما أقول انتهى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رضى الله عنه يقول : قد أعرض أهل هذا الزمان عن اتباع سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ فى أكثر الأعمال ، والأقوال ، والأحوال ، واشتغلوا بعلم القال ، والخوض فى علم الكلام . وقد ذم جمهور الأئمة علم الكلام ، فإن بعضه ينقض بعضا ، وكل طائفة تدعى أن الحجج القطعيه العقليه معهادون جميع المخلوقات .

وقد كان الامام مالك رضى الله عنه يقول : ليت شعرى بأى عقل نترك اتباع السنة كلما جاءنا رجل اجدل من رجل تبعناه لتركنا العمل بما أتى به جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد ألف بعض السلف كتابا فى هذا الموضوع يبين فيه أن العقل لا يعارض النص الصريح أبدا ، وأنه إن فرض دليلين قطعيين متعارضين ، فهو من فرض المحال .

وربما يقول بعضهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يبين.

لأصحابه حقائق التوحيد، وذلك كذب به وافتراء، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

ماتركت شيئا يقربكم إلى الجنة الاوقد حدثتكم به ، ولامن شيء يباعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به .

وقال أبوذر رضى الله عنه : لقد ترفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طاير فى الجو يقلب جناحيه إلا ذكر لنا منه علما .

وكان الامام الشافعى . وغيره يقولون : الصحابة رضى الله تعالى عنهم فوقنا فى كل شيء ، وكيف يصح قول من قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من الدنيا ولم يبين لأصحابه حقائق التوحيد الذى عليه أساس الدين ، مع أنه يبين لهم الخراة ، وكيفية الاستنجا هذا كالمحال .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : إنما ترك بعض الخلف هدى السلف حين عجزوا عن اتباعهم فى حقائق الورع ، والزهد والعبادة ، فصاروا يطعنون فى سلفهم ترويجا لأحوالهم ، ولو عرفوا مقدار علم سلفهم ودقته لرؤا أن أحوالهم أشرف الأحوال ، وعلمهم أشرف العلوم .

وكان الامام عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبرأ الناس قلوبا واعمقها علما ، وأقلها تكلفا

وكان محمد بن سيرين يقول : والله لو أردنا فقه الصحابه لـما أطاقته عقولنـا .

فاعلم ذلك يا أخى ، واقتد بالسلف الصالح فى الاقوال ، والافعال ، والعقائد تفز بخير الدنيا ، والآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يرشدوا إخوانهم أن لا يبادروا إلى الإنكار على من يرونه قليل الأعمال الصالحة من النوافل

بل يتربص أحدهم ، حتى يخالطه ، وينظر حاله ، فإن رأى لسانه مكفوفا عن أعراض الخلق ، ويده ، وفمه مكفوفان عن الحرام والإساءة ، فلا حرج عليه فى ترك النوافل ، لعدم تبعات الخلايق عليهم ولكن إن رآه مطلق اللسان واليد والفم فى أعراض الناس ومكثرا من النوافل فإن هذه النوافل ليعطى منها أصحاب التبعات يوم القيامه ولكن إن لم يكن عليه شىء من تبعات الخلايق من الاعمال الصالحة ، فذلك خير على خير .

فاعلم ذلك . وعليك بنفسك أولا فإذا رأيتها نجت ، فعليك بالإقبال على غيرك ، وإن كان كل منهما واجبا فى الأصل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا رأوا فقيها قد برع فى علم الفقه
ونفع الناس بإفتائه وتدريسه أن يرغبوه فيما هو فيه

ولا يفتحوا له باب علاج الامراض الباطنية التى فيه خوفا أن تفتر همته عن الاشتغال بعلم الشريعة لاسيما إن كان قد انفرد فى اقليم بالعلم ، وصار مرجع أهله كلهم إليه ، فإن الخير المتعدى نفعه إلى الامة مقدم على الامور القاصرة على نفس العبد شرعا مع أن فى ضمن علاج الأخلاق الباطنه ، ورياضه النفوس نفع الناس أيضا فتأمل .

اللهم إلا أن يعلم من ذلك العالم ثبوت قدمه فى الاعمال الصالحة بحيث لاتفتر همته عن الإشتغال بالشريعة إذا اشتغل بعلاج أمراضه الباطنه ، فهذا لا بأس بفتح باب العلاج للنفس ، ورياضتها له ليجمع بين طريق الشريعة ، والحقيقة كما كان عليه الأئمة المجتهدون ، والوارثون لهم فى أحوالهم .

وكذلك إذا علمنا من فقير براعته فى أحوال الطريق ، ومعرفته بدسايسها أن نرغبه فى ذلك ما دام العلماء قائمون بأمور علم الشريعة حفظاً وتدريساً ، والعامة مستغنون عن مثل هذا الفقه ، فإن رأينا الشريعة قد مات علماؤها ، واحتاج الناس إلى العلماء ، فمن المعروف أن نرغب للفقير فى الاشتغال بعلم الشريعة حفظاً ، وتدريساً ، وافتاء ويترك كل ما هو فيه .

وقد كان السلف الصالح لا يشتغلون بالطريق إلا بعد تبحرهم فى علوم الشريعة كما مر بيانه أوائل الكتاب ، فلما تقاصرت الهمم قل الجامع بين الشريعة والحقيقة ، وكثر المنفرد بعلم أحدهما دون الآخر .

ولما خفت على أخى العبد الصالح سيدى على بن الشيخ محمد المنير أن تفتر همته عن علم الشريعة ، ويقل نفع أهل بلاده به إذا اشتغل بعلم الحقيقة لم

أكشف له عن قناع شيء من علم الحقائق لأن نفع الناس بالشريعة أعظم من نفعهم بعلم الحقيقة لقلة من يعرف علم الحقيقة فضلا عن حاجة الأمة إليه ، ولكن سألت الله تعالى أن ينور قلبه ، حتى يعرف جميع أمور الحقيقة بالرياضة لأن المجاهدة والرياضة والعبادة مع الاشتغال بالفقه أنور قلباً من متصوفة هذا الزمان الذين هم طول عمرهم فى الاشتغال بالرياضة فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن لا يبادر أحدهم إلى جواب من سأله
عن شيء من أحوال الطريق من الفقهاء والمتكلمين
والأصوليين

بل يتربص، أحدهم وينظر فى أمر ذلك السائل. فإن رآه مسترشداً قاصداً بعلمه وجه الله تعالى أجابه بعبارة يقبلها عقله، وإن رآه متعنتاً فى سؤاله غير مخلص فيه سكت عنه، ولم يجبه سواء أعلم تعنته بطريق الكشف أو بالقرائن كأن يعرف من ثقته بهأن نفسه لا تطيب بأن يتلمذ للقوم، ولا يراهم أعلى منه.

وقد كان سيدى على بن وفا يقول لأصحابه: إذا سألكم فقيه عن مسألة تتعلق بطريق القوم، فخذوا عليه العهد بأنه يعتقد فيكم أنكم أعلم منه، ثم أجيبوه عن تلك المسألة، ثم إذا خالفكم بعد ذلك، فقد خان العهد، واستحق التأديب، فاعرضوا عنه، أو لا تطلبوا رجوعه إليكم بإقامة الأدلة والبراهين عليه، فإنكم فى طريق، وهو فى طريق.

وكان يقول: إذا جاء لكم أهل الطروس، فأجيبوهم بالنقول الصحيحة المعزوة إلى أصحابها، وإياكم أن تجيبوهم بالأمور الذوقية من وجدانياتكم، فإنهم يردون ذلك عليكم، فإن بين علم الذوق، والعلم المجرد عن الذوق فى البعد كما بين السماء والأرض انتهى.

ولما ورد ملا أفضل العجمى مصر فى سنة أربع وستين وتسعمائة أرسل إلى علماء مصر عدة أسئلة يسلهم فيها عن قول الشيخ محيى الدين فى أول الفتوحات المكية وعلمت بقراين أحواله الحمد لله الذى خلق العالم من عدم وعدمه مامعنى ذلك، وعلمت بقراين أحواله: أنه متعنت فلم أجبه عن ذلك.

وقلت له : إن أردت علم ذلك ذوقا فتلمذ لأحد من أهل الطريق يخليك خلوة صالحة ، فيطلعك على أحوال القوم ، فإن من خصائص الصادق فى طلب الطريق أنه يصير يطلب شيخاً يضعه فى طريقهم من غير أن يقف على اصطلاحهم أولا ثم بعد ذلك يطلعه على مصطلحهم ، فلم يرد على جواباً ، ثم إنه أخذ ينقص كلام جميع من كتب على ذلك من العلماء عـلى ما بلغنى ، فما أخطأت فراستى بحمد الله فيه .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان وأعزوا الطريق يعزكم الله والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم، إذا كانوا من مشايخ الخرق التى لا ينضبط أهلها على القانون الشرعى .

أن يأمر الشيخ بجميع الفقرا فى كل ثلاثة أيام أو أسبوع مثلا وينادى فيهم من له حق على أخيه فليأت هو وإياه ، فيقومان بين يدى الشيخ كما يقفان بين يدى القاضى ، فإما يطلب أحدهما أو كلاهما حقه وإما يقع الصفح والمسامحة .

وكان على هذا القدم سيدى محمد التمرى بالمحلة الكبرى ، ومشايخ السادة الأحمدية والبرهانية والقادرية والرفاعية إلى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، فمات الأشياخ الذين كانوا يحكمون بالعدل ، ومات المريدون الصادقون الذين كانوا يرضون بحكم الشيخ فيهم .

وكان خليفة سيدى أحمد البدوى يجمع الفقراء فى زاوية سيدى مبارك خارج باب النصر ، ويجلس خلف ستارة بحيث لا يرى أحد وجهه، والنقيب يحكى له ، ويبلغهم ما قضى به من صلح ، أو هجر أو قصاص ،وكان الخصمان يجلسان منكسين الرأس لا يشير أحدهما بيد ، ولا رأس ، ومتى أشار أحدهما بيده ، صار تحت الطريق ، وسبق فى هذا الكتاب ذكر أدلة الفقراء فى كشف رأسهم ، ووقوفهم عند النعال ورضاهم بحكم شيخهم فراجعه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : اتباع أخلاق شيخهم فى أقواله وأفعاله
وجميع أحواله

وإن كان له رسالة فليطالعوها ويتفهموا مافيها ، ويشاورونه على كيفية العمل بذلك ، وإن كتبوها أو واستكتبوها ، فهو أولى لأنه ربما احتاج الناس إلى سؤالهم عن معنى كلمة منها ، أو ربما دس الأعداء فى كلام شيخهم مايخالف الشريعة ، لينفروا أتباعه عنه كما وقع لى ذلك فى كتاب العهود الوسطى ، وغيره ، ولا يتعلل الفقير بعدم قدرته على أجرة الكتابة وله جوخه أو صوف أو ملبوس غال فان بيع ذلك ، وصرفه فى أجرة كتابة الرسالة أولى عند أهل الطريق ، ومن قدم ثوبه الصوف مثلا على تربيته ونصحه فما عرف طريق ربه ، فهو عن باع آخرته بدنياه ، فلا يرجى له فلاح وهذا واقع فى مريدى مشايخ هذا الزمان ، فليحترز الناصح لنفسه من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : توطين نفوسهم على كثرة التعب
والعلاج فى المريد الذى تقدمت له صحبة بالفقراء الذين
لا قدم لهم فى الطريق .

كالذين جلسوا بأنفسهم من غير إذن من شيخ صادق ، وكمشايخ الأحمدية والرفاعية والبرهانيه ممن اعتمادهم فى طريقهم على لبس الزى ، والمراسم الظاهرة ، وأحدهم جاهل بالكتاب والسنه وآداب أهل الطريق ، فإن الحكم غالبا للداع الأول والداع الثانى طارىء ، فهو كالعارض الذى لا ثبات له .

وقد صحبت من مريدى هؤلا الاشياخ جماعة بعد جماعه ، فذاب قلبى من التعب فيهم لاسيما من رباه فقراء المطاوعه ، فإن عداوة الفقها والصوفية قد تشربت قلبه على حكم ماوسوس به إليهم إبليس ، وقال لهم : أنتم الفقرا حقا والفقها والصوفيه وماهم على حق ، ولذلك أنكروا عليكم . وهذه من أكبر ماضلهم به إبليس ، فألقى بينهم وبين حملة الشريعة العداوة ، حتى لا يسمعون منهم ماينصحونهم به ، فلاهم يسمعون من علماء الشريعه ، ولامعهم شرع يستضيئون بنوره فضلوا ، وأضلوا ، فاعلموا ذلك أيها الإخوان وانصحوا المطاوعة برحمة وشفقة إن أردتم هدايتهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا كان أحدهم ناظر على وقف زاويته

ولم يجد أحدا يصلح لإسناد النظر إليه بعده بأن خاف منه بأن يخص نفسه وأولاده بشيء من وقف الفقراء بالبد العاديه ، فمن المعروف أن يوصى الذى أسند إليه النظر من ولد أو تلميذ بأن يتقى الله تعالى فى ذلك ، ويحذر جباة الوقف الذين يخاف البالوعات والكاتومات وألا يمكنوا ولدهم أو تلميذهم من أخذ شيء لايخصهم من وقف الفقراء فإن الدنيا حلوة خضرة وربما وسوس الشيطان وعظم لأحد أبناء الشيخ أو خليفته كل التعظيم ويقول له: كل ما يأكله من مالى الوقف يكون له حلال لأنه لولا جاهه ماوصل الفقراء إلى خراجهم ولاحصلوا على أى حق لهم فى الاوقاف ، فإذا مهد الشيطان لهم هذه الأكاذيب سرت فى الشيخ أو خليفته العداوة فى أسرع من لمح البصر ، وتصير الجباة يأكلون مال الوقف جهارا ، وإن تكلم ولد الشيخ أو خليفته قالوا له أخرج أنت الآخر ما أخذته منا بغير حق لترده على الفقراء فلايقدر على إعطائه ، لعجزه عنه ، فلايسعه إلا السكوت ، فتخرب الزاوية ، ويضيق رزقها ، وترتفع البركة من الزاويه ، ويكتب خرابها فى صحيف الجباة والناظر ، ويصفق إبليس ، ويفرح لذلك .

فإياكم أيها الإخوان من مطاوعة ابليس فى مثل ذلك فإنه عدو مبين ، وقد نصحتكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة اعتنائهم بأمر الصلاة أكثر من سائر أعمالهم .

وذلك لأنها جامعة ، لسائر المعاريج المتفرقة فى عبادة أهل السموات وأهل الأرض فى الأجر والثواب[1] .

فمن صلى الصلاة كاملة بحضور شارك أهل السموات وأهل الأرض فى الاجر والثواب .

فهو فى حال طهارته موافق للملائكة والاصفيا المتطهرين من الذنوب .

وفى حال قراءته أذكار الوضوء التى فيه ، والتى بعد الفراغ منه موافقا لاهل تلك الاذكار من الملائكة المستشهدين ، والداعين والمسبحين ، والحامدين والموحدين ، والمستغفرين ، والتوابين .

وفى حال الصلاة موافقا للملائكة القائمين القانتين الناوين للخيرات المكبرين لله تعالى الحامدين له المسبحين له بكره وأصيلا الذاكرين الله بسم الله الرحمن الرحيم الحامدين الله رب العالمين الممجدين الله المخلصين له العبادة السائلين الله تعالى الاستعانة فى جميع أحوالهم ، والهداية للصراط الذى عليه الانبياء والاصفيا كما أوضحنا ذلك مرارا والحمد لله رب العالمين .

---

(١) وذلك لأن الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد ترك الدين ، وهم فى ذلك يحاولون التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت للصلاة أهمية كبرى عنده يوضحها بقوله : .

« إن بين الرجل وبين الشرك والكفر : ترك الصلاة » .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يتوضأ لكل صلاة .

عن أنس رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل

. . . .

صلاة ، قيل له : كيف كنتم تصنعون ؟ قال: يجزى أحدنا الوضوء مالم يحدث » .

وعن السيدة عائشة رضوان الله عليها : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه .

فقلت له : لماذا تصنع هذا يارسول الله ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ !

قال : أفلا أحب أن أكون عبد اشكورا » !

ويحدثنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن صلاته مع الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فأطال القيام حتى هممت بأمر سوء .

قيل: وماهممت به ؟

قال أجلس . وأدعه .

ولعل السبب الذى يعذر فيه ابن مسعود ، أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كان يقرأ فى الركعة الأولى مثلا :سورة البقرة وفى الثانية آل عمران ، وفى الثالثة سورة النساء ، وكان يطيل القيام والركوع والسجود ، وكل ذلك عندما يكون منفرد أمامع الناس فإنه يخفف .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى من الليل إحدى عشرة ركعة ، فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ، ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يجىء المؤذن فيؤذنه » ؟

ويقص مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعنى يبكى »

والأحاديث التالية تبين بعض أحوال الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى الصلاة :

كان عند الإقامة يقول : « أقامها الله وأدامها » .

وكان صلى الله عليه وسلم : « إذا قام إلى الصلاة طأطأ رأسه » .

. . . .

قالت السيدة عائشة رضوان الله عليها : (لم يكن صلى الله علية وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتى الفجر) .

عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم كثيرا ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلى منه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام).

(وكان صلى الله عليه وسلم يدخل فى الصلاة ، فيريد إطالتها فيسمع بكاء الصبى فيتجوز فى صلاته مخافة أن يشق على أمه)

(وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة « الجمعه » فى الركعة الأولى ؛ و « إذا جاءك المنافقون » فى الثانية) .

عن جبير بن مطعم قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بسورة « الطور » » .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يقرأ فى المغرب بسورة « والمرسلات عرفا »

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت . (ماأخذت « ق والقرآن المجيد » إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس) .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يقرأ فى صبح الجمعة . « الم . تنزيل . . . . » السجدة و « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » رواه الشيخان .

من حديث أبى هريرة ، وإنما كان يقرأهما كاملتين ، وقراءة بعضهما خلاف السنه .

« كان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى العيدين وفى الجمعة . بسورة « سبح اسم ربك الأعلى » وسورة « هل أتاك حديث الغاشية » » .

وكان يكثر فى ركوعه وسجوده من قول . « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم أغفرلى » .

« وكان صلوات الله وسلامة عليه . يقول بين التشهد والتسليم . اللهم أغفرلى ماقدمت وما أخرت وما أسررت وماأعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به فى أنت المقدم وأنت المؤمن لا إله إلا أنت » .

وفى السجود يقول صلوات الله وسلامه عليه اللهم إنى أعوذ برضاك من

سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

« وعن حذيفة ، كان يقول صلى الله عليه وسلم فى ركوعه . سبحان ربى العظيم ، » وفى سجوده ، سبحان ربى الأعلى » .

« وعن السيدة عائشة رضوان الله عليها : كان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول ، فى ركوعه وسجوده : (سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى) يتأول القرآن » رواه مسلم . ومعنى يتأول القرآن : يعمل بما أمر به كما فى قوله تعالى : « فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا » .

ومن أخلاقهم : إذا دخل أحدهم محفلا فيه أحد من
رءوس العلماء والصوفيه

كالاجتماع فى وليمة أو انتظار جنازة أن لايدخل أحدهم ذلك المحفل إلا إذا علم أن أهل ذلك المحفل لايرفعون رتبته فى التعظيم والاجلال فوق من كان حاضرا هناك من العلماء والصالحين .

فمتى علموا ذلك أو غلب على ظنهم فمن الأدب عدم الدخول لما قد يترتب على ذلك مفسدة أعظم من مفسدة الدخول ولا يجوز الممتنع من الدخول بشرطه أن يظن بذلك العالم أنه قد يتأثر من ترجيح غيره عليه فى تقبيل اليد والاجلال ، ويقول : أنه فعل ذلك مراعاة لخاطره فإن ذلك سوء ظن به ، فإنما يفعل ذلك قياما بواجب حقه ، وإيثاره على نفسه ، ولو رضى هو بذلك .

وربما ظن بعض الناس بالممتنع أنه ما امتنع من الدخول إلا لغلبة ظنه أنه لايقوم له ناموس مع وجود ذلك العالم أو الصالح الذى هناك وهو ظن فاسد .

فليكن الفقير فى هذا الزمان يلحق بلاحق اللاحق يخلص نفسه أولا ، وأخاه ثانيا ، والحاضرين فى ذلك المحفل ثالثا ولا أراه ناجيا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لايشتغلوا بسب من وقع فى شىء مما أخبر به الشارع صلى الله عليه وسلم أنه يكون بين يدى الساعة .

بل يشتغلوا بالصلاة والتسليم على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق ، ويزدادوا بذلك محبة له . وايمانا به .

ثم يشكرون الله عز وجل الذى لم يجعل تلك المعصية مثلا على يدهم .

ثم يدعون لمن وقعت على يديه ويستغفرون له .

هذا أدب الفقراء الصادقين فى هذا الزمان .

فليحذر الشيخ الجاهل فى أواخر القرن العاشر من أن يشتغل بازدراء من وقع فى شىء من علامات الساعة ، أو احتقاره ، ويترك ما أمرناه به من الصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها .

ولو أمعن النظر فى حال نفسه لوجد نفسه أسوأ حالا ممن ازدراه ، وأكثر معاصى ، فاعلم ذلك يا أخى واعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يتمثل أحدهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو قوله صلى الله عليه وسلم أرحنا بها يا بلال وكرايم أموالهم أو زادك الله حرصا ولا تعد ونحو ذلك إلا بالحضور والتعظيم

مع ملاحظة المعنى الذى أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصده من مراعاة امتثال أمر الحق والقيام بواجب حقه ، ويكون ذلك لله تعالى خالصا مخلصا لا رياء فيه ولا سمعة فلا ينبغى لعبد أن يقول ذلك وهو غافل عما ذكرناه فيكون كالمتلاعب بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قلت مرة للشيخ حسن الطوينى : لما تمثلت مرة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرحنا بها يا بلال) ، فنوديت فى سرى أما تستحى من الله تعالى . وأنت تقول مثل ذلك ، فإنه لا يرتاح بالصلاة وبمناجاتنا فيها إلا حضر فيها محمد صلى الله عليه وسلم ، فبالله عليك هل أنت كذلك ؟ . فكدت أن يغشى على ومن ذلك اليوم ما قلت مثل ذلك إلا بإذن ونية صالحة . وإن لم أجدهما سكت .

فعلم أن من كان صادقا فى قوله أرحنا بها يا بلال ، فهو مأجور وله ثواب من أثنى على الله تعالى ، ومدحه بين عباده ، فإن حصول الراحة بالصلاة نعمة عظيمة أعظم من حدوث ولد أو زوجة صالحة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يمد أحدهم رجله فى ساعة من ليل
أو نهار مع قوله دستور يا الله إلا بعد أ[illegible] ضمها تعظيم
جناب الحق جل وعلا ولم يزل منه التعب

وقد وقع لى أننى مددت رجلى فى مجلس الصلاة على سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مع قولى : دستور يا الله فرأيت تلك الليلة شيخى الشيخ نور الدين الشونى رحمه الله وهو يقول لى : إذا أحسست بوجع فى رجليك إذا اضممتهما ، فانو بذلك الضم تعظيم جناب الحق تعالى ، فإن لم يزل التعب ، فاستأذن حينئذ ربك ، ومد رجلك فإن الأدب مع الله تعالى شفاء من كل داء ، فإن ضممت رجلك على نية التعظيم والإجلال لله تعالى ، ولم يزل التعب ، فذلك من خلل فى الإخلاص ، أو عدم صدق فى الكلال أو شروط الرخصة انتهى ، فشكرت الشيخ على ذلك ، وقلت : رحم الله الشيخ يؤدبنا ، ويربينا حيا وميتا ، وذلك بعد موت الشيخ بنحو عشرين سنة . فاعلم ذلك واعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يخادعوا من خادعهم بحيث لا يشعر بذلك مخادعهم

وذلك من كمال الرجل .

وقد كان الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : من خدعنا فى الله انخدعنا له انتهى .

مثال ذلك : أن يقول لك عدوك : أنا أحبك ، فمن كمال العبد أن يقبل ذلك منه ظاهرا بحيث لا يلحق بك أنك تظن كذبه فى ذلك بل تظن فى نفسك أنه ما نصحك إلا خوفا عليك وتقول له جزاك الله خيرا وتعامله معاملة الناصح الأمين الذى يخاف على دينك .

وإن توفرت القرائن على ضد ذلك من شدة عداوته ([1]) أحدا من أهل عصرى إلا القليل كالأمير جانم ، والأمير محمد الدفتردار ، والأمير محيى الدين بن أبى أصبع ، وتقول الناس فى حق صاحب هذا المقام فلان يقتل القتيل ، ويمشى فى جنازته ، وليس ذلك من قسم اللوم ، والخيانة وإنما ذلك من وسع دايرة العقل .

فاعلم ذلك واعمل به فإنه لا بد من ذلك لكل من خالط الناس فى هذا الزمان .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : من كمال عقل الرجل إذا رأى من يخدعه فى الله تعالى أن ينخدع له ، ولا يعرفه بفهمه أنه عرف خداعه بل يتباله له ؛ حتى يغلب على ظنه أن خداعه قد أثر فيه ، ويسمى

---

(١) مطموس من الأصل .

ذلك معاملة الصفات التى ظهر بها أخوك ؛ ومعلوم أن الإنسان لايعامل الناس إلا من حيث صفاتهم لامن حيث أعمالهم .

فلا تفضح يا أخى من خدعك فى خداعه ، وتجاهل ، وانصبغ له ، كاللون الذى أراد منك أن تنصبغ له به . وادع له ، وارحمه عسى الله أن يتوب الله عليه من نفاقه والحمدلله رب العالمين.

ومن أخلاقهم : الإستقامة فى التوبة لأنها أس لكل مقام يرقى إليه العبد حتى يموت(١) .

ومتى كان فى التوبة اعوجاج انسحب حكمه إلى الإعوجاج فى كل مقام بعده ، فيصير بناؤه متهلهلا كمن يبنى حائطه من اللبن اليابس بغير طين .

وقد أمرنا الله تعالى بالتوبة النصوح ، وهى المراد بالاستقامة فى التوبة ، وذلك ليتولد منها نتايجها من الزهد فى الدنيا ، والإقبال على الأعمال الصالحة ليلا ونهاراً .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من استقام فى توبته وزهد فى الدنيا ، فقد انطوى فيه سائر المقامات ، والأحوال الصالحة .

فقلت له : وما علامة الاستقامة فى التوبة .

فقال : ألا يجد كاتب الشمال شيئاً يكتبه أربعين سنه، ولا يكون فى باطنه شيء يكرهه الله أبداً مدة حياته .

فقلت له : وما علامة الزهد فى الدنيا .

فقال : أن لا يلتى بالا إلى الدنيا من مؤمن وكافر وعدو وحاسد وكلما حقره أحد من الناس يزداد فرحاً وسروراً .

وسمعته رحمه الله يقول : إذا ظن المريد أن ترك الدنيا والزهد فيها شيئاً كبيراً عند القوم فإن غايته أن العبد يزهد فيما لا يزيد عند الله عن أقل من جناح بعوضة .

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله يقول : من علامة الاستقامة فى التوبة

---

(١) ولعلهم فى ذلك يحاولون التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه دلائل النبوة ومعجزات الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وتبدأ قصة الإسراء والمعراج – فى بعض روايات البخارى ، وفى بعض روايات غيره – بشق الصدر .

من ذلك ما يرويه الامام أحمد – بسنده – عن أنس بن مالك قال:

« كان أبى بن كعب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم – قال « فرج سقف بيتى وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج صدرى . ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغها فى صدرى ، ثم أطبقه » . .

هذا الحادث هو – بالنسبة لنا – التوبة ، فإن تطهير القلب الذى حدث لرسول الله صلى الله عليه وسلم – عدة مرات فى حياته ؛ إنما هو بالنسبة لأتباعه بمثابة التوبة . .

والواقع أن حياة المسلم – فى طريقه إلى الله – إنما تبدأ بالتوبة . وليس قبل التوبة من درجة تسبقها . والتوبة التى نتحدث عنها ، إنما هى التوبة الخالصة النصوح . فإن الله تعالى يقول :

« يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا » سورة التحريم آية : ٨ فأرشد – سبحانه – إلى أن التوبة المطلوبة ، إنما هى التوبة النصوح . . ولأجل أن تكون التوبة خالصة نصوحاً ، فإنه لابد من توفر شروط . . .

ويتحدث الإمام النووى عن شروطها – فى كتابه المبارك – « رياض الصالحين » – فيقول : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى ، لاتتعلق بحق آدمى ، فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثانى : أن يندم على فعلها .

والثالث : أن يعزم على أن لايعود إليها أبدا .

فإن فقد أحد الثلاثة ، فلا تصح التوبة . .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة ، هذه ، الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها . . فإن كانت مالا أو نحوه ، رده إليه . وإن كان حد قذف ، أو نحوه ، مكنه منه ، أو طالب عفوه . .

. . . .

وإن كانت ضئيلة ، استحاله منها . .

ولأن التوبة أول سلم فى معراج السالكين إلى الله ، ولأنها واجبة من ذنب ، ولأنها تحجب ماقبلها ، ولأنها تضع الإنسان - فور تحققها فى مرتبة البراءة والطهارة والنقاء - فإن الاسلام حث عليها كثيراً .

يقول الله تعالى آمراً بها : « وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » وقد فتح الله بابها - خالصة نصوحاً - على مصراعيه . . فقال فى كتابه العزيز يسيل رحمة ورأفة :

« قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم » . .

إنه سبحانه - يغفرها بالتوبة ، لأنه سبحانه - يقول بعد ذلك موجها المسلمين إلى الطريق :

« وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون . وأتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون » .

ويتابع القرآن فى التوجيه إلى التوبة - فى أسلوب كله رحمة ورأفة - ماجاء فى حديث قدسى طويل رائع . يقول الله تعالى فيه :

« ياعبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفرونى أغفر لكم » . .

ويتابع ذلك كله الأحاديث النبوية :

« إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل » . .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم يعترف بالخطيئة كأمر واقع لايتأتى إنكاره ، فيقول :

« كل ابن آدم خطاء » .

ولكنه يرشد إلى الوسيلة التي تفضل بعض الخطائين ، وتجعل لهم منزلة في الخير فيقول :

« وخير الخطائين التوابون » . .

يقول الإمام القشيري :

ومن لطائف المعراج : ما خص به أول حالة في تلك الليلة بالطهارة على ما ذكرنا .

وقد شق قلب النبي — صلى الله عليه وسلم — مرتين : مره في حالة صباه ، وهو بعد في حجر حليمة والمرة الثانية ليلة المعراج . .

وفي تخصيص قلبه بالغسل دون غيره من البدن — إشارات :

منها : أن القلب محل العرفان ، وهو المضغة التي بصلاحها صلاح البدن ، وهو محل المشاهد . . ومركز الشعور ، ومصدر الاشعاع .

ولكي لا يكون لغير الحق نصيب في قلبه .

ولتنبيه الأمة على طهارة القلب .

وإذا كان شق الصدر ، الذي سبق هذا الحادث الخطير — حادث الإسراء والمعراج — هو بالنسبة لنا — التوبة . . فإنه أيضاً : توجيه واضح لنا إلى أن أن نلجأ إلى الله تعالى تائبين ، عند الشروع في أي أمر له قيمته . .

إنه توجيه لنا أن نلجأ إلى الله تعالى ، تائبين : عند الشروع في شراء وفي بيع . . في ارتباط بزواج في بناء بيت ، في الشروع في سفر . .

وليست التوبة في مثل هذا توبة من ذنب ، وإنما هي التجاء إلى الله . وتشفع إليه — سبحانه — بتأكيد صفاء النفس ، وطهارة القلب ، من أجل أن يسدد الخطا ، ويمنح التوفيق ، ويحفظه من الأخطاء . .

إنها توسل إلى الله بعمل صالح ، هو التوبة .

كثرة المراقبة لله عز وجل فإن كل توبة لا مراقبة فيها للحق جل وعلا، فهي خداع .

وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول: من استقام فى توبته عن المعاصى أرتقى إلى التوبة من كل ما لايعنى ومن لم يستقم فيها لايشم من التوبة عن الفضول رائحة ، ولا يقدر على رعاية خاطره أبداً بل يغلب عليه خواطر المعاصى ، حتى فى صلاته ، وتأمل قوله تعالى للمعصوم الأكبر صلى الله عليه وسلم (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) ، فأمره الله تعالى بالاستقامة فى التوبة ، ومن تاب معه من جميع أتباعه وأمته .

وسألت سيدى عليا المرصفى رحمه الله تعالى : عن معنى قولهم لايكون المريد صادقا ، حتى لا يكتب عليه ملك الشمال ذنبا عشرين سنة هل المراد أنه لايقع فى معصية أصلا أم المراد أنه لايصر على الذنب بل يتوب ، ويستغفر على الفور ؟

فقال : المراد الثانى فإن المريد الصادق إذا وقع فى ذنب بادر إلى التوبة ، وندم ، فانمحى عنه ذلك الذنب على الأثر ، فلا يجد الملك شيئا يكتبه لأنه يمكث ساعة وساعتين ينتظر لعل العبد يتوب ، ويستغفر ، فإذا ندم العبد ، واستغفر ترك كتابة الذنب انتهى .

وقد قررنا مرارا أن الملكين لايكتبان إلا المعاصى القوليه أو الفعليه إذا تلفظ بها صاحبها وقال : فعلت كذا وكذا لقوله تعالى: يعلمون ما تفعلون ولم يقل يكتبون فافهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صدق التوبة

وهو أن يتوب من رؤية نفسه صدق فيها .

وهو معنى قول رابعة : استغفر الله تعالى من قلة صدقى فى استغفارى .

وقد كان رويم رضى الله عنه يقول : حقيقة التوبة هو التوبة من رؤية التوبة .

وكان سهل بن عبد الله رضى الله عنه يقول : لا ينبغى للفقير أن يقف فى مقام توبته عن ما دون المقام الأعلى الذى هو مقام الاستجابة وذلك بأن يتوب من كل خاطر يخطر له فى غير مرضاة الله تعالى سواء أكان ا [1] فى غيرها كما هو شأن أهل القرب من حضرة الله تعالى فهم يتوبون من كل خاطر خطر لهم مع الغفلة عن الله وسبيله رضى الله تعالى عن الشخص يتوب من الشىء ويتركه ثم يخطر ذلك الشىء بقلبه أو يراه أو يسمع به ، فيجد حلاوة فى نفسه هل يقدح ذلك فى كمال توبته ؟

فقال رضى الله عنه : وجود الحلاوة لازم لطبع البشرية ، ولابد من الطبع ، وليس للعبد حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى ، ويلزم نفسه الأذكار ، ويسأل الله أن ينسيه ذلك ، ويشغله بذكره ، وطاعته قال : ومتى غفل عن الأذكار خيف عليه العطب أن تسكن الحلاوة قلبه ، وأعظم دوائه إذا وجد الحلاوة أن يلزم قلبه الأذكار ، والحزن فإذا فعل ذلك لم يضره وجود تلك الحلاوة إن شاء الله تعالى .

وسمعت سيدى عليا المرصفى رحمه الله يقول : إذا تمكن العارف لم يسكن فى قلبه حلاوة شىء تاب عنه بل تزول منه الحلاوة بمجرد التوبة ، وإنما كلام سهل

---

(١) مطموس من الأصل

فى حق المريدين ، فإن حب الله تعالى فى قلب العارف يمنع أن يسكن فيه محبة لغيره تعالى ، وكل من وجد فى نفسه حلاوة الذنب الذى تاب منه ، فهو لم يتمكن من قلبه حب الحق ، فليبك على نفسه إنتهى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من كمال التوبة أن لا يكون فى جوارحك الظاهرة ، والباطنة شىء يكرهه الله أبدا إنتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: العمل على تحصيل مقام الورع الكامل والزهد الكامل.

وذلك بأن يتورع أحدهم عن كل شيء يشتت قلبه عن ربه تعالى طرفة عين، ويزهد كذلك في كل مايشغله عن ربه عز وجل.

وقد توضأ صلى الله عليه وسلم من إناء على طرف نهر ثم صب ماء الإناء في النهر، وقال: ينفع الله تعالى به قوماً آخرين، فكان صبه صلى الله عليه وسلم ما في الإناء في النهر من الورع.

وكان الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: من إدعى الورع، ومال بقلبه إلى أحد من أبناء الدنيا فقد خرج عن الحد.

وكان الإمام سهل رضى الله عنه يقول: من لم يحفظ لسانه من فى حق عباد الله من الذم فليس له فى مقام الورع نصيب.

وسئل الشبلي عن الزهد فقال: لازهد فى الحقيقة لأنه إما أن يزهد فيما ليس له، وليس ذلك بزهد، وإما أن يزهد فيما هو له، فكيف يصح الزهد فيما هو فيه، وعنده انتهى.

قلت: وفيه نظر لأن ذلك لو اطرد لهدم قاعدة الاجتهاد، والكسب ولعل مراد الشبلي أن يقلل الزهد فى عين الزاهد لأن لا يغتر بالزهد، وفى الحديث «إذا رأيتم الرجل قد أوتى زهداً فى الدنيا، ومنطقاً، فاقربوا منه، فإنه يلقى الحكمة». وقد سمى الله تعالى الزهد علماً فى قصة قارون فى قوله:

وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قيل: هم الزاهدون: وفى الحديث «العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا فى الدنيا، فإذا دخلوا فى فاحذروهم على دينكم»

وسئل الشبلي أيضاً عن الزهد، فقال: الزهد غفلة لأن الدنيا لاشيء، والزهد فى لاشيء غفلة.

وقال بعضهم لما رأو حقارة الدنيا زهدوا فى زهدهم فى الدنيا لهوانها عندهم .

وسمعت سيدى عليا الخواص يقول : ثم مقام فى زهد الزاهد اعلا من هذا ، وهو أن يأخذ العبد الدنيا بإذن من الله تعالى كما تركها بإذن ، فيستوى عنده الأخذ والترك لفناء اختياره مع الله تعالى ، وثم مقام اعلا من هذا ايضه وهو من اختار أن لايكون له اختيار ، فرد الحق تعالى عليه اختياره لطهارة نفسه ، وسعة علمه ، فيز هد زهدا بالغاء ويترك الدنيا بعد أن تمكن من أخذها ، وأعيدت له موهبه من الله تعالى ، فيكون ترك هذا المقام باختياره ، واختياره من اختيار الحق تعالى ، فقد يختار تركها حسنا تأسيا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وبالسلف الصالح ؛ ويرى أخذها فى هذا المقام الذى هو مقام الزهد فى الزهد رفقا أدخل عليه من الله تعالى لموضع ضعفه عن درك مقام الأقوياء من الأنبياء ، والصديقين ، فدرك من بالحق للحق وقد يتناوله باختياره رفقا بنفسه على وجه تدبير يسوسه فيه صريح العلم ، ولايمكث فيه الا الأقوياء العارفين والحمد الله رب العالمين

ومن أخلاقهم : كثرة محبتهم لمن أحسوا فيهم زوال
رعوناتهم وأغراضهم النفسانيه

ومن ادركته على هذا الخلق سيدى محمد بن عنان والشيخ محمد المنير ، والشيخ أبو بكر الحديدى ، والشيخ عبد الحليم ابن مصلح وسيدى محمد الشناوى ، فكان كل واحد منهم يبجل أخاه ، ويرفع مقامه غيبة وحضورا ، فلا تكاد تسمع من أحدهم فى حق أخيه كلمة يستحيى أن يواجه أخاه بها عكس ما الناس عليه اليوم ، وذلك من اعظم دليل على بقاء رعونات نفوسهم ، وعدم زهدهم فى الدنيا ، ومناصبها ، وشهواتها ولو صدقوا فى محبة الله لأحبوا كل عبد لله تعالى

وقد ظفرت من العلماء والصالحين طول عمرى بعشرة أنفس على أخلاق السلف الصالح فلا تكاد تسمع من أحدهم كلمة فيها تعريض بنقص لأحد من أقرانهم ، وهم الشيخ سليمان الخضيرى والشيخ إبرهيم الذاكر والشيخ شهاب الدين خليفه الشيخ شاهين والشيخ بهائى الدين الرفاء والشيخ صالح خليفه سيدى ابراهيم الدسوقى ، والشيخ شمس الدين الخطيب الشربينى ، والشيخ سراج الدين الحانوتى الشيخ نور الدين الطندتاى ، والشيخ أحمد الهيندى رضى الله عنهم أجمعين ، فهؤلاء الذين رأيتهم محفوظين من الرعونات من أصحابى وأما من لم يقع بيننا ، وبينهم صحبة فلا كلام لنافيهم :

بابحث ياأخى على مثل هؤلاء ، واصحبهم ولا تصحب من كان بالضد ومن ذلك . فان صحبته تغم وتكدر فى الغالب ، وتصيرات ، وزياهم فى علاج ونفاق وملق فهى إلى الإثم أقرب والحمد الله رب العالمين .

---

(١) مطموس من الاصل .

ومن أخلاقهم : إذا رأوا فقيرا يتكرم على الناس بماله وثيابه وطعامه وكل شيء دخل يده أن يمدحوه على ذلك

ولا يأخذوا فى معارضة الناس فى مدحه ورد خصوصيته عليهم ، ويقولون : إن فلانا يفعل ذلك بحظ نفسه لا لله تعالى كانوا على الضد من صفاته وكان على هذا القدم سيدى محمد بن عنان والشيخ عبد الحليم بن مصلح كانوا يتكرمون بكل شيء دخل فى بيوتهم وجيوبهم على الفقراء والأغنياء ، وإذا سمعوا بأحد من إخوانهم يذم فيه الناس جعلوا درجته فوق درجتهم . ويقولون : إن تكرمنا لايجيء عشر مايحصل من كرم فلان ، ولكنه يعطى الناس سرا . ويقصدون بذلك ستر أهل الخرقة . ومن تزيا بزيهم .

وقد ذكرونى بالكرم عند بعض مشايخ العصر ممن ليس هو مشهور بالكرم فقال : هذا كله حظ نفس فيقال . فقال له قائل فى المجلس هذا أمر لايطلع عليه إلا الله تعالى . ونحن مأمورون بحسن الظن بالمسلمين ، ورضينا منك أن تتبعه فى مثلى فعله . فمادرى مايقول ، وافتضح . وكان الأولى به أن يحسن الظن بى؛ فان هذا هو الذى كلفنا به ، وأما البواطن ، فهى إلى الله تعالى قال صلى عليه وسلم :

أمرت أن أقاتل الناس الحديث إلى أن قال وحسابهم على الله تعالى

فإياك ياأخى أن تسلك مسلك هذا الشيخ فتقع فى الإثم بل اتبعه فى الكرم ، وكثر سواد القوم الذين تزعم أنك منهم ، وعلى طريقهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : محبة القرب من العلماء العاملين ولو وقع منهم بعض إنكار عليهم

إذ لابد للمتشرع من بعض إنكار على أهل الطريق لقلة علم الحقيقة عندهم على علم الشريعة ، فلابد أن يكون كذلك ، حتى يحصل للفقراء الكمال ، فهناك ، يكتم علوم الحقيقة لأن سلطانها إنما هو فى الدار الآخرة ، وأما دار الدنيا ، فهى محل سلطان الشريعة أو كل من تعداها أخطأ ، وربما ضربت عنقه ، وتتخلف الحقيقة عن نصرته ، وعن كف الولاة عنه ، وإن وقع أن أن وليا خرق سور الشريعة ، وحفظ من القتل ، والحبس ، والتعزير ، فذلك نادر .

وقد روى ابن حبان ، والبيهقى مرفوعا « خمس من العبادة : قلة الطعمه ، والقعود فى المساجد ، والنظر إلى الكعبه ، والنظر إلى المصحف ، والنظر إلى وجه العالم انتهى .

وبلغنا أن امرأه وقفت تجاه وجه بشر الحافى تنظر إليه فقال لها : ماحاجتك .

فقالت : حديث بلغنى .

فقال لها : وماهو .

فقالت « النظر إلى وجه العالم عبادة » فخر بشر مغشيا عليه ،

وقال : أولئك العلماء الذين درجوا فى محبة الله عز وجل اذهبى إلى مقبرة بغداد فانظرى إلى ألواح الموتى خير لك من رؤية وجه بشر انتهى

والحمد لله رب العالمين

ومن اخلاقهم : المراظبه على صلاة الجماعة

فربما مكث أحدهم أربعين سنة لم يصل صلاة واحدة منفردا[1] والسر في ذلك صدق اليقين لديهم في صلاة الجماعة ، فقد اجمع أهل الكشف أنه ما اجتمع ثلاث قط إلا ومنهم ولى الله تعالى يحب الله ويسعفه في رفقته في الدارين وفي الحديث ، الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب ، يعني في السفر . فانظر كيف جعل الإثنين شيطانين أى مبعودين عن حضرة مجالسة الله عز وجل .

فعلم أنه من كشف الله عن بصيرته لا يقيده عن حضور الجماعة مقيد من شياطين الإنس والجن ولذلك قالوا :

إذا رأيتم المريد يتهاون في الحضور لصلاة الجماعة حتى تفوته تكبيرة الإحرام فاعلموا أنه لا يجيء منه شيء في الطريق أي فإن من لم ينهضه للحضور مجالسة الله عز وجل التي هي اعز مايطلب في الدارين ، فما بقي شيء ينهضه الا علل النفوس وحظوظها ، وتلك عادة لا عبادة .

فاعلموا ذلك أيها الأخوان وإياكم والصلاة فرادى ، فإنه الخسران العظيم في الدارين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يمدحوا كل من أحسن
إلى غيرهم مع حرمانهم من إحسانه

عكس ماعليه غالب الناس اليوم ، فلا يكاد أحدهم يشكر إلا من أحسن إليه هو ولو أحسن إلى غيره دونه لايقدر ينطق بمدحه ،

وقد جاء فى شخص من طلبة العلم بشكر فى شخص يبيع الورق ، ويطنب فى مدحه فوق مايستحق ، ثم بعد مدة جاءنى يذم فيه ففتشت عن عن سبب ذلك ، فوجدته كان يحسن إليه بالورق الذى يكتب فيه كتب العلم فأرشده شخص إلى شخص آخر من طلبة العلم وقال : إنه أفقر من فلان فحول الورق الذى كان يعطيه له إلى الثانى ، فقلت : ياأخى ما هكذا المؤمنون. إنما المؤمن من يدور مع الحق حيث دار ، فإذا رأيت من يحسن إليك حول حسانه إلى من هو أولى منك ، فمن الواجب أن تحب له ذلك لكونه أكثر حاجة منك إذ من الواجب عليك أن تفتش أنت على من هو أحوج إلى إحسانه وتسعى به إليه لأن لا تكون سبباً فى نقص أجره وهذا الخلق عزيز هذا الزمان وقليل من يقدر على تحصيله والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يكون فيهم مقام الاتحاد بينهم وبين أخوتهم فى المال :

فيكون ماله مال أخيه وحاجته حاجة صاحبه . وإذا أرسله صاحبه يشترى له حاجة فوجد الثمن الذى معه دون حق نصفها مثلا فمن حق الإخوة أن يزن نصف ذلك الثمن من مال نفسه ، ولا يعلم أخاه بذلك بل لو حدث نفسه بإعلامه إذا استحلى ذلك فى نفسه خرج عن الأخوة .

وقد رأيت شخصاً أسمه محمد السند بسطى فكان على هذا القدم ، فما أخبرنى قط بما وزنه من عنده بالغاً ما بلغ ، وكان يحمل أولادى ويخرج السوق فيشترى لهم كل شىء اشتهوه ، ولا يعلمنى بذلك ، وإنما يخبرنى به الأولاد فقلت لهم فى ذلك فقال : الفضل لأولاد سيدى الشيخ الذين يقبلون منى ما أهديه لهم من مالهم الذى تفضلوا على به . ومن بعده ما صح لى ذلك مع أحد ممن رأيتهم إلى الآن .

وكان كثيراً ما يرهن عمامته ورداءه فى السوق إذا لم يكن معه شىء ويشترى للأولاد شهوتهم ، ثم يخلص رهنه بعد ذلك فأسأل الله أن يعامله بفضله فى قبره ؛ ويوم القيامة آمين اللهم آمين والحمدلله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يرشدوا النقيب إلى أن يلقى باله إلى الشفقة على الفقراء فى أمر قوتهم

فلا يجيب أحداً منهم إلى تخصيص نفسه على إخوانه بشىء

وإذا سافر أحد من الفقراء لمصلحة الفقراء فمن المعروف أن يعطيه الزاد ذهاباً وإياباً ة.وإن سافر لمصلحة نفسه ، وكان فقيراً أعطاه كذلك وإن كان معه ما يشترى به زاده لا يعطيه شيئاً إذ لا حق لمثله فى طعام فقرا الزاوية ، وما يأخذه من ذلك يورثه الأمراض ، والأسقام فى جسمه كما كما جرب والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يقيموا نقيباً يدروز للفقراء العاجزين عن الكسب فى الزاوية.

ويعلموهم الإخلاص فى ذلك ليحل بحسن نيته عقد البخل التى فى نفوس البخلا ، ويسحب للفقراء ما قسمه الله تعالى لهم بسهولة ، فإن النية الصالحة تحل العقد . والنية الفاسدة تعقد المحلولات كما جرب ، وإن كان النقيب غير جابى لوقف الزاوية ، فهو أولى .

ويجب عليه أن يعلم الفقراء أنهم إذا أخذوا شيئاً أخذوه من الناس بعزة نفس ، بحيث لا يصير المعطى يرى له منة عليه ، ولا على بل يرى الفضل لنا الذى قبلنا ذلك منه ، وقل من النقبا من يقدر على ذلك بل يحملوا شيخهم وأنفسهم منن الخلق ، ويكونوا سبباً لتقصير كلمتهم عندهم لا سيما الأكابر ، والأمراء ، فأسأل الله تعالى من فضله أن يرحم الشيخ ابراهيم[1] رحمة واسعة وأن يجزيه عن الفقراء خيراً .

وقد كان من أخلاقه أنه إذا دروز للفقراء ألا يلحس مما يأخذه لهم من الفقراء شيئاً لنفسه ، ولا يحدث نفسه بذلك ، بل يأكل منه أسوة بغيره ممن ثم يتعيشفيه ، وكان لا يأكل لمن له عليه خراج طعاماً بل يأخذ معه زوادته ، ويقول : إن أكلت لمن لى عليه حق طعاماً ضيعت المال الذى عنده للوقف حياءاً منه ؛ وبعث الشيخ بلقمة لاسيما الولاة . وكان إن رأى الأمير متعززاً بالباشاه مثلا يقول لذلك الأمير : إن الباشاه يعتقد الشيخ إعتقاداً عظيماً ؛ وطلب أن ينزل من القلعة لزيارته فما رضى الشيخ ؛ وإن رآه متعززاً بشيخ استند إليه قال له عن ذلك الشيخ : إنه يعتقد سيدى قوى ويقول : إنه يود

---

(١) كان نقيب زاوية الامام عبد الوهاب الشعرانى .

أن لو كان من فقرائه فى الزاويه ، فيبجل بى ، حتى لا يصير لذلك الأمير توجه الباشاه ، ولا لذلك الشيخ ، ثم يقضى ماشاء من الحوائج عند ذلك الأمير . فليعلم ذلك كل من عمل نقيبا ، ويعمل به بشرط الإخلاص وأنا أضمن له أن جميع العقد التى بين يديه يحلها الله تعالى له مع محبة الفقرا له ، وعدم سوء لكونه يصطاد لهم دون نفسه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: إذا كان طعامهم فى الزاوية واحداً ومهما دخل الزاوية فهو بينهم أن لا يتعاطوا أسباب التخصيص للزراعة والتجارة

ثم يشاركوا الفقراء فى الطعام ، وغيره، فإن ذلك ظلم وحوف بل الواجب إذا وسع الله تعالى عليهم جعلوا ذلك القمح مثلا فى حاصل الفقراء لتكون لهم المنه على بأن أحدهم يأكل حلالا ، فان طعام الزاويه إنما هو موضوع لمن هو عاجز عن الكسب ، أو قادرا عليه لكنه مشتغل بتحصيل مايتعدى نفعه إلى إلى غير من الناس فى مصالح دينهم (كالمتفقه ، والمتصوف) وكل شيخ أقر جماعته على النقيب وجمع مايحصلونه ، ثم يشاركون الفقراء فى طعامهم الموقوف عليهم ، (فهو غاش لنفسه) وللفقرا .

وقد سلك شخص من جماعتى هدا المسلك قهرا على الأعذار يطول شرحها فهلك عن مال جزيل فحضره إبليس وقت طلوع روحه فما كان إلا فتنه عن دينه ، وصرنا نقول له : قل لا إله الا الله ، فصار يقول : يامالى ياروحى كيف تأخذون المال والروح معا ، وخلف بعده جماعة فلم يعتبروا به ، وطلبوا أن يسلكوا مسلكه ، وأنا بحجزهم ليلا ونهارا عن ذلك ، وهم يتفلتون من يدى إلى اتباع هذا الشخص ، فالله تعالى يأخذ بيدنا ، ويدهم آمين .

فليحذر فقراء الزاوية من سلوك طريق الزراعة والتجارة الا إن امتنعوا من مشاركة فقراء الزاوية فى طعامهم وأكلوا من تجارتهم ، وزراعتهم فان ذلك يورث قلوبهم الظلمه والحجاب لاسيما إن جمع كل واحد فى بيته من العيال ، وكثر ما استفاده ، ومنع نفسه وغيره ، فإنه يضيق على الفقراء ضرورة ويسد طريق أرزاقهم لعدم استحقاقه لتسخير الوجود له .

وقد سلك جماعة فى بعض الزوايا ذلك ، وصار أحدهم يعامل ويقارض الألف دينار ، وأكثر فحى الله بركة رزق الزاوية ، وصاروا يأخذون الخراج عن السنه الآتيه فإياكم أيها الأخوان من مثل ذلك ، ثم إياكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة إمتحانهم لنفوسهم إذا إدعت الإخلاص ومحبة الخمول .

ومن أعظم إمتحان يكون لها أن يعرض الفقير عليها ما لو ذمها إنسان عند الأكابر الذين يعتقدونه ، ويحسنون إليه فإن إنشرحت بذلك ، فهى صادقة فى دعوى الإخلاص . ومحبة الخمول ، وإن تكدر منها شعره ، فهى منافقة مرائية مشركة بالله تعالى الشرك الخفى عندها الجلى عند الله تعالى ، فيجب عليها المبادرة إلى التوبة من مثل ذلك على الفور خوفاً من دوام سخط الله عليها فان لم ينشرح الفقير بتنقيصه عند من يعتقده فلا أقل من التسوية بين الذم والمدح عنده الذى هو موقف السوا .

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :
أقل علامات أوايل درجة الإخلاص أن يتساوى عنده مدحه ، أو تنقيصه عند من يعتقده ، ولا يفرق بين سماع الأمير ذلك ، وبين سماع الحمار أو حائط ، ومجنون . ومتى وجد ترجيحاً التنقيصه أو مدحه عند الأمير دون الحائط والحمار ، فهو مرائى خالص إنتهى .

فليعرض سيدى الشيخ فى هذا الزمان ذلك على نفسه يعرف إخلاصها أو رياءها ، ولو أن الواحد منا فتش نفسه عند دخول الباشاه أوقاضى العسكر أو الدفتردار مثلا لوجد نفسه مرائيا دق الطرقه ، ومن هنا كان الناصحون لأنفسهم من الفقراء لايتعاطون قط أسباباً تميل نفوس الولاة إليهم ،ولا يرون نفوسهم أهلا لأن يمشى إليهم زبال الحمام فضلا عن أحد من الولاة .

وقد أوصانى سيدى على الخواص مراراً وقال لى : إياك أن تمكن أحدا من الولاة أن يأتى إلى زيارتك ، فانك لاتقدر على الوفا بحق طريقه ، ولكن إذا علمت منه أنه عازم على زيارتك ، ولا بد فأرسل أستأذنه فى الزياره ،

وأمض أنت إليه ، فان الملك فى هذا الزمان يحتاج إلى قيام ناموس ، ومجيئه إلى مثل ذلك إخلال بناموسه إنتهى .

ولما صار الباشاه إسكندر بمصر يزور الفقراء بالليل فى سنة ثلاث وستين وتسعمائة صحب ولد شيخنا أبى اللطف أرسلت أقول له : زيارة الفقـــراء إنما تكون بالقلب ، وتعظيمهم إنما هو بالقلب.فأرســـل السلام كل قليل ، وإذا ورد أحد منهم فى شفاعة ، فاقبلها . فإن ذلك فيه قلة نامـــوس الفقرا للملك ، وناموس الفقرا . فأجابنى إلى ذلك . ثم أرسل لى صرة دراهم مع خازنداره ، وطلب الدعا له ، فقلت له : نحن لاندعوا لولاتنا بفلوس فلما رد خازنداره . وأخبره بما قلت له طلب منى الإذن له فى الزيارة مثل غيرى ، فأبيت ، ورددت الدراهم على الخازندار ، وقلت له : أنا لاآخذ الدراهم إلا بحضرة مولانا الباشاه لما أطالـــع له ، ثم أرسلت أستأذنه فى طلوع القلعة ، فأذن لى بالطلوع .

قلت له : يامولانا إنا لا نصحب مثلكم إلا للمصالح الأخرويه ولا نصحب أحد من أجل هدية ، ولا نأكل له طعاما رحمة به ورجاء لقبول عناية الله إذا نزلت فإن من يأكل طعـام الولاة يتوقف دعاؤه لهم عن القبول لما فيه من المجاملة . فإذا وقع له مصيبة ، وتوجهنا إلى الله تعالى لا نقدر على صحة التوجه ، فارتضى منى بذلك ، فقـال : فأعط هذه الدراهم للفقـراء الذى عندك . ولا تأكل انت منها شيئا ، فقلت له : الفقراء أجنحتى يؤمنون على دعائى لكم ، فإذا أكـلوا من ذلك وقف تأمينهم . فقـال : قد خرجت للفقراء عن هذه الدراهم للصلحا والزهاد فى مصر فقلت له : فإذا ليس لى أخذها لأنى لست صـالح ولا زاهد . فهز رأسه فقلت له : إن من مقام الفقراء أن يساعدوا الولاة بأموالهم . ودعائهم لأنهم يأكلون أموالهم . وينسون الدعاء لهم فقال : للترجمان قل له : هذا أمر عجيب ماورد علينا مثله فقلت الحمد لله رب العالمين . وانصرفت فى عز وإكرام وحمانى الله تعالى من وقوع التزين له ، وماقصدت بالكلام الذى قلته له إلا إعلامه بمقام الفقراء والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم العمل على تحصيل مقام كون أحدهم يصبر صابراً لاصابراً ولامتصبراً .

والفرق أن من شرط الصبار أن لو إجتمعت عليه بلايا الدنيا كلهـا يتحملها . ولا يشتكى ، ولا يجزع ، ولا ولا يشمئز بخلاف أهل القسمين الآخرين .

وقد كان أبو القاسم الجنيد رحمه الله يقـول : المتصبر هو من صبر فى مرضاة الله تعالى لكن يجزع تارة ، ويصبر أخرى ، والصابر هو من تصبر فى الله تعالى ، ولله تعالى ، ولايجزع ، ولكن يتوقع منه الشكوى والجزع ، وما خلص فى قصده إلا من كان صبارا ، لأنه يصبر فى الله ولله وبالله ، وهو مقام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المشار إليه بقوله :

(واصبر وماصبرك إلا بالله)[1] فجعل تعالى صبره بالله تعالى لا بنفسه ، فاعلموا ذلك أيها الإخوان ، واعملوا على تحصيله والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يكنوا عما يستقبح عرفا تخلقاً بأخلاق الله تعالى .
كما كنى عن الجماع بالمس ، والمباشرة ، وكما كنى عن قبلة الأجنبية ، والزنابها ،
أو اللواط فى آية « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم »(١)
فما قال إن الله خبير بتقبلهم الأجانب وأنا أنظر وإنما قال « والله بما تعملون
خبير » وإن المراد إنما هو النظر إلى ما حرم الله والزنا بالفرج فاعلموا ذلك
أيها الإخوان واعملوا عليه فإنه نفيس والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة النور آية : ٣٠

(٢) سورة المجادلة آية : ١١

ومن أخلاقهم إذا ثقل عليهم قيام الليل وترادف عليهم الكسل ، أن يفتشوا أنفسهم فربما يكون ذلك من وقوعهم فى المعاصى الخفيه ، كريا والحقد والعجب وكبر ونحو ذلك ، فيبادر أحدهم إلى التوبه من ذلك وفعل الأمور المكفرة للذنوب ، كسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، وكثرة الإستغفار والصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الذنوب إذا كفرت عن العبد ، فقد طهرت ذاته ، وما بقى لها مانع من الوقوف بين يدى ربها فى تلك المواكب الشريفه إلا عدم القسمة ومن أعظم مكفرات الذنوب صلاة التسبيح الواردة فى السنة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس رضى الله عنه : (أنك إن فعلتها غفر الله تعالى لك ذنوبك أولها وآخرها دقها وجلها سرها وعلانيتها) فاطلبوا أيها الأخوان معرفة كيفيتها ، واعملوا بها كلما تجدوا فى قلوبكم قسوة تمنعكم من دخول حضرة ربكم مع الأنبياء ، والملائكة ، والأولياء .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله إذا وجد فى قلبه شيئاً من الأمراض الباطنه يترك قيام الليل ويقول : أستحى أن أقف بذاتى المتلطخة بالقذر بين الأنبياء والملائكة والأولياء ، وربما دخلت متلصصاً فأخرجنى خدام الحضرة ، وجرونى برجلى ، وقالوا : إيش دخلك بين أصفياء الله تعالى فى حضرته أما تخشى من مقت الله تعالى بك . انتهى .

فاعلموا ذلك أيها الأخوان واعملوا به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم أن يسوسوا كل عدو يكون لهم عند الأمير الذى يشفعون عنده فى المظلومين .

فتارة يسوسونه بالهدية ، وتارة بإرسال السلام له ، وإظهار المحبة له ، وتارة بمدحه فى المجالس ، وتارة بوصفه بأنه واسطة خير عند الأمير ، ويخالطونه ، وهذا خلق يحتاج إليه الفقير فى هذه الأيام حيث فقد الحال التى كانوا يدخلون على الحكام . وبيوت الحكام فى قديم الزمان لاتخلوا من واسطة إلا فى حالة الفقير ، فصارت الآن بالضد من ذلك لايوجد فيها إلا من ينفر الأمير من الفقير إما لعدم إستحقاق الفقير لذلك الأمر وإما لعدم إستحقاق المشفوع فيه ذلك .

وكان سيدى أحمد الزاهد رحمه الله يقول : من لم يكن له حال يحميه من المعارضين له فى بيوت الحكام فشفاعاته ناقصه لأن ذلك العدو الذى عند ذلك الأمير يعارضه فى كل شفاعة ويحمله على المحامل السيئة إنتهى .

ثم لايخفى أن العدو الذى لايتظاهر بعدوانه أشد من العدو الظاهر ، لكونه يلبس على الأمير الأمر فى صورة النصح ، حتى ينفره من ذلك الفقير ، ويعتقد الأمير أن ذلك إنما هو نصح له بخلاف العدو الظاهر ، فربما يظهر للأمير عدوانه للفقير فيصير لا يصغى له فى حق الفقير أبداً .

وقد إبتليت أنا بعدو خفى فى بيوت الحكام لم يزل عند القضاة ، والدفاتر ومشايخ العرب ، فلا أرسل للأمير شفاعة إلا ويأخذ فى معارضتها بالقلب والتعريض بتنقيصى ، وتكبير أقرانى . ورفع درجتهم على ، ويقول : أجمعت الناس أنه ليس فى مصر الآن أحد أعلا مقاماً فى الطريق من فلان الفلانى ليحول قلب الأمير عن الإعتقاد فى وردّ شفاعاتى ، فأسأل الله تعالى أن يتوب عليه من ذلك ، وأن يجزيه عنى خيراً من حيث كونه سعى فى صرف

قلوب الأمراء عنى . لكون ضررهم على الفقير يغلب على نفعهم له،ولما تمادى في المعارضة في الشفاعات التي أشفعها أرسلت أغالطه . وأقول له : يا أخى لا تتعب نفسك في المساعدة لي عند الأمير في الشفاعات إلا إن ظهر لك أن ذلك مصلحة للأمير،وكل شيء رأيت مصلحته وعلى دين الأمير ، فإني أذنت لكل معارض أن يعارض في ذلك ، وأشكره عليه ، وليس لي على الأخ إلا المساعدة في كل أمر ترجع مصلحته للامير في الآخرة . فإن ذلك لايجوز لمحب للامير أن يعارض فيه إنتهى .

فمن ذلك اليوم أخفى معارضته بالكلية وصار أن يستحي أن يخالف أن يطلب فيه من المساعدة لي ، ولو أني قلت له : بلغني ،أنك تعارضني وتحرك الأمير ضدى تحركت نفسه عليه وصار يحقق الأمر في المعارضة .

فعلى الفقير أن يسوس الذى عند الأمير ، ليصير يساعده على ماشفع فيه، وللأمير والمشفوع فيه ويصير صديقاً لك لو إحتجت لصديق والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يرشدوا إخوانهم إلى على أن يجعلوا كلمتهم متوجهة إليهم وذلك ليسهل على الفقراء قضاء حوائجهم على يدهم

فإن الفقراء فى كثرة الإقبال عليهم والإدبار عنهم حكم طريق أهل الله تعالى إذا أعطاه العبد كليته اعطته بعضها ، وإن أعطاها العبد بعضه لم تعطه شيئاً ، فاعط يا أخى كليتك لشيخك إن طلبت أن يكون لك فى الشدائد ، ويرد عنك الأقدار المعلقة على شفاعته فيك عند الله تعالى ، أو عند الخلق ، وإلا فلا يقدر شيخك ينفعك بشىء لأن العمدة على صحة توجهك إلى شيخك لا على شيخك ، فإن ظننت فيه أن الله تعالى لا يرد له شفاعة صحت شفاعته فيك ، وإن شككت فى ذلك توقف قبول شفاعته فيك .

وقد جهدت كل الجهد أن أوصل إلى من هو مستند إلى غيرى من الفقراء منفعة فلم أقدر ، ولما مرضت أم سيدى محمد العبادى . وطلبت منى النجدة لم أقدر على إيصال شىء إليها بدعائى : وكذلك ولدها سيدى يحيى ، لكونهما كانا مستندين إلى شخص من الفقراء غيرى ، فلما ألحوا فى كتابة ورقة لهمـــا كتبت لهما (اللهم ببركة فلان ، وبركة اعتقادهما فيه عافهما ، واشفهما إن كان ذلك معلقاً ، وإن كان مبرماً ، فاغفر لهما ، وارحمهما) .

فاعلموا ذلك أيها الأخوان ، وأعطوا شيخكم كليتكم ، ثم طالبوه بالوفاء بجميع مهماتكم فى الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يذكروا إخوانهم كل قليل بنعمة الله تعالى التي أسبغها عليهم

ويلوموهم بأنهم لا يستحقون تلك النعمة ، ولا يقدرون على القيام بشكرها ، وإن كان لأحدهم عيال زايد على عيال أقرانه ، ويأكلون من طعام الفقراء بأمره بالخدمة في الزاوية أكثر من غيره إذ النفوس تكره شفوف غيرها فإذا أكثر من تميز عنهم بكثرة للطعام مثلا الخدمة لم يستكثروا عليه ذلك ( )[١]
في خدمة الفقراء .

وإن رأى شيخ الزاوية كفر المجاورين لما عندهم من الخير وكونهم واسطته وأمرهم بشكره ليقوموا بشكر الله تعالى على النعمة بخلاف ما إذا كفروا نعمة الواسطة فكما يكون الواسطة وهو الشيخ سبباً للنعمة يكون سبباً لزوالها بتوجهه إلى الله تعالى في ذلك .

وليحذر الفقراء أن يظنوا بالشيخ أنه إنما يذكرهم بنعمة الله تعالى التي كان واسطة فيها على سبيل المن عليهم . فإن ذلك بعيد عن الأشياخ ، إنما يحذرون إخوانهم من الوقوع في كفران نعمة الوسايط من حيث هي وسايط ؛ ولا يقصدون تخصيص أنفسهم بذلك الشكر ، وهذا يقع فيه كثير من جهلة المريدين . ويظنون أن الشيخ يمن عليهم بتذكيرهم الشكر له من حيث كونه واسطة في جر أرزاق الفقراء إليهم ؛ وليس هناك أحـــد يجر لهم أرزاقهم غيره . والأشياخ منزهون عن طلب الشكر لهم لحظ نفس ، فاعلموا ذلك أيها الإخوان وقوموا بواجب حق نعمة الله التي عليكم بواسطة شيخكم بحكم العادة في ذلك ونزهوا الشيخ عن قصد المنة بذلك عليكم ، وإن كانت صورة لفظه صورة لفظ من يمن والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مطموس من الأصل

ومن أخلاقهم: إذا حجوا إن لايخصوا نفوسهم عن
أخوانهم بشيء من المنافع إلا لعذر شرعي

وهذا. وإن كان من شرط الفقرا في كل وقت لكنه في الحج آكد منه في غيره.

فليحذر الفقير كل الحذر أن يحج في محفة. أو محارة. أو يصير يأكل الطعام اللذيذ، ويرى الفقرا والمساكين مشاة حفاة يعرجون أو مرضى، فلا ينزل من محفته أو محارته. ويركبهم مكانه. ويمشي أو يركب على الراحلة بلا محارة، أو يصير يأكل اللحم القديد. والسمن، والعسل النحل، ويقف عليه السائل، فلا يدعوه يأكل معه، أو لا يعطيه كسرة يابسة: فإن ذلك خروج عن طريق الفقرا. وما رأت عيني في الحج أكثر فتوة من الأخ الصالح الشيخ أحمد الهنيدي المقيم بناحية منوبه كان يعطي غداه للسائل. ويطوي، ويركب الفقرا جماله ذهابا وإيابا، ولقد رأيته في صباح ليلة باردة لما ماتت جماله، وبقي معه حمار واحد فصار يركب عليه العجوز. أو الرجل العاجز. ويؤثر على نفسه مع أنه لايقدر على المشي، فكان يقبض على مقود الحمار بفمه ويحبوا على يديه ورجليه فلما رأيته على هذا الحال بكيت عليه. وعرفت مقامه في الفتوة. وكان قد قال لحماره: أنه عندما يدعو العجزة ثم لأركبهم على ظهرك وهم غير صادقين فمن رأيته غير صادق منهم فابرك به. وإن كان صادقا فاحمله فكان الحمار يطيع هذا الحكم حتى وصل إلى مصر. فمثل هذا هو الذي يجوز بكلتا يديه.

وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول: من أدب الفقير إذا حج إن لا يرى نفسه بماله وزاده من أخوانه المسلمين، وإذا وقع عطش أن يشرب كأحدهم من غير زيادة، ومتى شرب أكثر منهم، فقد خان الصحبة انتهى.

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله يقول : ليس للفقير إذا وقع موت الجمال ، وغلت الأسعار أن يخص نفسه عن إخوانه بركوب أو طعام أو شراب زيادة على إخوانه المسلمين من عرفه ، ومن لم يعرفه ، حتى إنه لايرجع من سفر الحج ، وعليه أوقية لحم .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمة الله يقول : من أدب الفقير إذا حج أن يؤثر إخوانه المسلمين عليه فى المناهل ، والمضايق ، فلا يسابق على ملء الماء والخروج من المضايق ، ويؤخر أخاه ، حتى يفنى الماء . ويصير يملا من الرحل ، أو يؤخر جماله فى الزحمة ، حتى يقع أحمالهـــا ، وتنعصر أضلاعها ، ومن فعل ذلك فهو لم يشم من فتوة الفقرا رايحه انتهى .

ولمـا حججت سنة ثلاث وستين وتسعمائة شرطت على إخوانى المجاورين الذين يسافرون معى فى تلك السنه أن لا يتخصص أحد منهم عن أخيه بطعام ، ولا نقد ولا ركوب إلا لعذر يعذره فيه صاحبه وقلت لهم : إن لم تحجوا على هذه الصفه ، وإلا لم أسافر بصحبتكم فبايعونى على ذلك ، ووفوا بذلك ذهابا وإيابا فأسال الله تعالى أن يزيدهم من فضله فى الدنيا والآخرة آمين .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : كل فقير لا يوطن نفسه فى سفر الحج على مشاركة جميع من فى الركب من أمير الحاج إلى آحاد المشاة من الفقرا فى همومهم ، فعدم حجة النفل أولى له صيانة لخرقة الفقراء عن الطعن فى أهلها انتهى .

ولمـا حججت سنه ثلاث وستين مع عيسى أمير الحاج شرطت على نفسى أن لا أتهنا بنوم ولا بأكل ، ولاشرب ، حتى يرجع أمير الحاج والناس كلهم له شاكرون ، فإن من عيب الفقير أن لا ينظر إلا إلى نفسه : وهو من هموم أميره غافلا عن سؤال الله تعالى أن يبيض وجهه عند السلطان وعند

سائر الحجاج لا سيما إن كان أمير الحج محسنا ، وإن كانت عليه نوبة الغفارة فعليه أن يرد الغارة ومما ينبغى لكل فقير أن يعود الركب صباحا ومساءا بالآيات والأذكار الواردة فى القرآن الكريم والسنة الشريفة وأوراد المشايخ وإذا رأى جملا قد تعب يتوجه إلى الله تعالى أن يمد ذلك الجمل بالقوة ، حتى يرجع إلى بلاده .

وبالجملة فمن شرط الفقير أن يكون فى جهد وتحمل هموم من حين يخرج من داره إلى أن يرجع إليها . وإذا كان يوم عرفة لا يأكل ولا يشرب إلا إن ألقى الله تعالى فى قلبه أنه تعالى غفر لجميع أهل الموقف ، وإذا كان بمكة ، فليجعل معظم دعائه لإخوانه ويؤخر نفسه ، وكذلك يشرب من ماء زمزم على نية الشفا لأبدانهم من جميع العلل ، والأمراض ، وعلى نية الرى يوم العطش الأكبر . ونحو ذلك فقد لا يقسم الله للفقير العود ثانياً إلى تلك الأماكن الشريفة المستجاب فيها الدعا ، فكان من فتوته إيثار غيره عليه فى الدعاء وغيره وأجره على الله تعالى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : يخلع على الحاج خلعتان أحدهما عند الحجر الأسود وقت الطواف من طواف الوداع والثانية تجاه وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم لتقر عينه صلى الله عليه وسلم بأمته .

وعلامه صحة الخلعة الأولى : أن يزداد العبد إيمانا بأحوال يوم القيامة حتى كأنها رأى عين .

وعلامة الخلعة الثانية : أن يصير العبد متخلقا بالفضائل والأخلاق المحمدية حتى لا يكاد يخل بشىء منها إلا من عدم قسمتها له لا غير ، ويود لو أنها قسمت له ، فيتخلق بها ، وما احتاج فقير إلى شيخ يسلكه بعد أن حج

إلا لا خلاله بآداب الحج ، وعدم كمال خلعته ، ولو كانت خلعته كاملة لاستغنى عن الاستاذ .

فعلم أن من حج مع شيخه وخالفه فيما يأمره به من الإيثار والمواساة ، والآداب . فقد تعرض للمقت ، وغاية حجه بذل الدراهم من حلال أو حرام وشبهة ، والتفرج على الأودية والجبال مع حرمانه من المواهب .

فاحذروا من مثل ذلك أيها الإخوان والحمد لله رب العالمين .

الباب التاسع

فى جملة أخرى من الأخلاق

ومن أخلاقهم : إذا كان فى ركب الحج شخص من أقرانهم أن يعظموه فى عين أمير الحاج .

ويظهروا ترددهم إليه المرة بعد المرة حتى يقول أمير الحج وجميع أهل الركب : ألا إن فلانا أعظم مقاما من فلان ، وكان فلان وجماعته يترددون فى ذلك فأكلم أحدا منهم ثم أناصح الناس تعظيم ذلك الشخص الذى ناصحتهم عليه ، وصار الناس يسلونه الدعا وقت خوف أو عطش مثلا فكنت أتوجه إلى الله تعالى أن يستره مع أمير الحج وغيره فما كان لهم حاجة إلا قضيت حماية للحرفة .

وليحذر المفضول كل الحذر أن يشمت بذلك الشيخ المدعى الولاية إذا سأله أمير الحج أو غيره فى حاجة ، ولم تقض ، وفروا عنه ، وقل اعتقادهم فيه ، فإن الشماتة بالمسلم ليست من شأن الفقرا ، وإنما هى من شأن الفسقة

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : من شرط الفقير إذا حج أن يخفى نفسه ، ولا يدعى قط أنه من الفقرا خوفا أن يفتضح إذا عطش الناس مثلا ، وسألوه المطر ، وإن علم أن الله تعالى يجيبه إلى سؤاله ، وينزل المطر بدعائه ، فليرسل الناس إلى أحد من الفقرا الذين فى الركب يسألونه الماء من المطر ، ثم يتوجه هو إلى الله تعالى التوجه الكامل ، بحيث لا يشعر به أحد . فإذا انزل المطر بدعائه أظهر أن ذلك من دعا ذلك الفقير الذى أرسل الناس إليه ، ثم يأخذ أصحابه ، ويذهب إليه يشكر من فضله ، ويقبل يده بحضرة الناس ، حتى يتحققوا أن نزول المطر إنما كان بدعائه انتهى .

ولما حج سيدى على بن وفا رضى الله عنه عطش الحاج ، حتى أشرفوا على الهلاك ، فأتوا إليه ، فأنشد موشحه الذى أوله :

إسق العطاش تكرما   فالعقل طاش من الظماء

فنزل المطر فى الحال كأفواه القرب ، فإن كنت يا أخى مثل سيدى على هذا فلك أن تظهر أنك من الصالحين فى الحج ، و الا فاخف نفسك و الحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا مات لأحـــدهم والد أو ولد أن لا يكثروا من ذكر صفاته الحسنه وكشوفاته الصحيحة .

فإن أحدهم متهم فى ذلك مع ما فيه من تزكية النفس . فكأن لسان حاله يقول : نحن كلنا من بيت صلاح . وليس الصلاح طارىء علينا ، وهـذا الأمر يقع فيه كثير من المتشيخين بأنفسهم الذين لا سلف لهم فى المشيخة، ولا ضريح لو الدهم . ولا لجدهم ، فليحذر الفقير من مثل ذلك . فإنه من علامات الريا . وقد قالوا من أكمل كمالات الصوفية كتمان كمالاتهم عن الناس إلا إن أمروا بإظهار ذلك : فى بواطنهم فإنهم فى هذه الحالة لهم أن يظهروا الإلهام الصحيح وقدم السيد على ابن أبى طالب يوما على الناس بغير أمر دعاه إلى ذلك فقال السيد على : إعرفونى أنا فلان العالم انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا اعتقدهم الباشا أو غيره من الأكابر

وأرسل يستأذنهم فى زيارته لهم أن يكتموا ذلك عن الأجانب ولا يذكروا ذلك إلا لإخوانهم بغرض صحيح ، وهذا الخلق يخل به كثير من المتمشيخين ، فيصير أحدهم حكويا يذكر ذلك لكل من دخل عليه ، وذلك دليل على الإفلاس من أحوال الفقراء ، ولو أن أحدا من الأشراف أو الفقرا الذين لا يؤبه لهم ممن لو أقسم على الله لأبر قسمه زاره لم يحك ذلك لأحد ، ولا افتخر به .

وقد تقدم عن سيدى على الخواص أنه كان يقول : إذا علم أحدكم أن أحدا من الأكابر عازم على زيارته ، ولابد ، فليأت هو إلى ذلك الأمير ، ويقول له : أنا فلان الذى بلغنى أنكم كنتم عازمين على زيارتى ، ثم إن أعطاكم شيئا من الدنيا ، فردوه عليه ، وقولوا له : قد أخذ علينا مشايخنا العهد أن لا نقبل من أحد شيئا من الدنيا إلا عند الجوع الشديد ، فإن قال لكم : فرقوه فقولوا له : من جمعها ، فهو أحق بتفرقتها ، ولو كانت من كسبنا لفرقناها إنتهى .

فاعلموا ذلك أيها الاخوان والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يمتحنوا من أراد صحبتهم من الولاة
قبل أن يدخلوا فى صحبتهم ويتبعوا نفوسهم معهم :

وذلك كأن يحسنوا فى عينه حال أحد من أقرانهم فان مال بقلبه إليه ، فقد أراحهم من التعب ، وإن لم يمل عنهم بقلبه ، فهو صادق فى محبة الفقراء، وصحبتهم ، وهذا الأمر يخفى على كثير من الولاة ، وهو يبين صدقهم فى محبة الفقير من كذبهم .

وقد بلغنا أن شخصا من العباد نزل من صومعته إلى عين ماء ليتوضأ منها فرأى هناك إمرأة شابة من أجمل النساء ، فشخص ببصره إليها .

فقالت له : ألا تتوضأ .

فقال : حبك قد اشغلنى عن الوضوء .

فقالت له : فلو رأيت اختى هاتيك لرأيتنى لا أصلح خادمة لها ،فالتفت فصفعته وأسقطت عمامته .

وقالت : آه يا كذاب ، ثم اختفت عنه فى الحال فلم يدر أين ذهبت انتهى

وهذا الامتحان يتعين على الفقير الصادق الذى يشارك الولاة فى همومهم ومصايبهم .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان إن عملتم مشايخ والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إظهار التقشف والرضى باليسير من الدنيا فى الأمور الدنيويه والأخروية .

تعرضا لمحبة الله تعالى ومحبة خلقه لهم .

بخلاف من كان بالضد من ذلك من الشراهة ، فان القلوب تمقته ، ومقت قلوب المؤمنين ، نعيد عنوان على حصول المقت له من الله تعالى .

وفى بعض الكتب الالهية : إن الله يحب من عبيده الحامدين له على يسير .

وفى مناجات السيد موسى عليه الصلاة والسلام : إذا جاءتك بالولاية مسة فاشكرنى عليها ، فانى مبديها إليك انتهى .

وقد ذكرنا فى كتاب منهج الصدق والتحقيق أن من عباد الله تعالى من لو أعطى الدنيا بأسرها لم يقنع بها إظهارا للفقر والفاقه . ولا يقنع إلا برؤية الله عز وجل ، وإن من الرجال من يزداد محبة فى الحق تعالى كلما اتسعت عليه الدنيا ، وإن منهم من يزداد فقرا إلى الله تعالى كلما وسع عليه الدنيا ، وإن من قنع باليسير من الدنيا ، فهو دنى الهمة قليل المرؤة ، فلكل رجال مشهد ، وحدود . وشروط كما يعرف ذلك أهل السلوك ، إذا لوجود كامل وكاله إنما يكون بتقرير مراتبه كلها فى يد أهلها . ومتى نقص الوجود مرتبه واحدة فى مشهد ولى ، فهو علامة على نقصه أى الولى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

لأهل البدايات أحكام ، ولأهل التوسط أحكام ، ولأهل النهايات أحكام ، فلا يكلف الأدنى بشروط الأعلى ، ولا يؤمر الأعلى بالنزول إلى مقام البداية إلا لتعليم ، ونحوه .

وكان رضي الله عنه يقول :

أكره للمريدين سؤال الاكابر شيئاً من الدنيا ، ومن فتح هذا الباب عليه لم يفلح انتهى .

وقد أدركنا بحمد الله تعالى نحو مائة وخمسين شيخا فما رأينا أحدا منهم سأل أميرا ، ولا غيره شيئاً من الدنيا لاقمحا ، ولا عدسا ، ولا عسلا ، ولا دراهم إنما كان أحدهم يشد على بطنه بالمنطقة ، ويقنع كل يوم بزبيبة أو تمرة منهم الشيخ مرشد القادرى والشيخ تاج الدين الذاكر والشيخ يوسف الحريثى وولده سيدى أبو العباس وبطن الشيخ عبد الحليم ابن مصلح لاجوف لها ماتصق البطن بالظهر وهذا بخلاف حال هؤلاء الذين نراهم فى النصف الثانى فى القرن العاشر فان بطونهم منتفخة مع السمن مع أن لحمهم من سؤال الاغنيا ، ومشايخ العرب ، وغيرهم من الولاة ، فصار للشيخ منهم كرش ككرش الظلمه ، حتى صار الحمار لا يحمل أحدهم ، كما أخبرنى به بعضهم حين رأيته راكبا فرسا ، فقلت : الفرس يحتاج إلى عليق وخدمه فقال : الحمار لا يقدر يحمل جثتى ، فقلت له : خفف الأكل وأنا أضمن لك أن جسمك يخف حتى يصير الحمار الهزيل يحملك ، فلم يدر ما يجيبنى به .

وطلع شخص من هؤلاء فى شفاعة عند الوزير على فرد شفاعته فقال الناس : لا تردوا شفاعة الشيخ فقال : ليس هذا بشيخ إنما هو ممن يكرهه الله تعالى . فقالوا له : كيف ؟ فقال : إن فى الحديث (إن الله تعالى يكره الحبر السمين[1]) ، والحبر هو العالم ، وإنما كرهه الله تعالى ، لأنه لم يعمل

---

(١) هو جزء من حديث حيث أتى بعض الاحبار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يجادلونه فكان منهم حبر سمين فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (أليس فى التوراة إن ان الله تعالى يكره الحبر السمين) فكان ذلك إعجازا من الرسول صلى الله عليه وسلم .

بطنه فى الورع ولو أنه تورع لم يجــد من الطعام ما يسمنه انتهى .

فانظر يا أخى فراسة الولاء ، وإياك أن تجمع عندك فقرا وتصير تسأل الناس من الأمراء وغيرهم مع قدرة أحدكم على الكسب بالحرف والصنايع ، فإن ذلك محقة للدين ، ولا تغتر بمن كان على هذا القدم من السلف الصالح ، كسيدى يوسف العجمى ، وسيدى عثمان الحطاب ، فإن أولئك كانوا أصحاب كشف ، فكان يكشف لكل واحد عما عند الناس من رزقه ، ورزق جماعته حتى ربما قال : كشف لى الليلة أن عند فلان للفقرا كذا وكذا يأتى به فى وقت كذا وكذا ، فيأتى به فلان فى ذلك الوقت ، وكانوا يحمون نفوسهم وأصحابهم من ذل السؤال بل يزداد أحدهم عزا عند الناس كلما سألهم ويصير ذلك الأمير يفرح بسؤالهم ، ويقول : أرسل لى سيدى الشيخ يطلب كذا وكذا ، وجبر بخاطرى ، فالله ينفعنا ببركاته ، فأين أنت منهم يا من هو أعمى القلب وبطنه ، كالمرحاض الذى فاض ، وتنقبض وجوه الناس من كثرة سؤاله ، ويحتقرونه ، ولا يصير له جاه عندهم ليشفع عندهم به فى مظلوم ، وقد أرسل لى واحد من هؤلاء المدعين يقول لى فى ورقة : حصل عندى طارىء ورجانى أن ترسل لى عشرة أرادب قمح ، فقلت له : وأنا حصل عندى ما دعانى أن لا أعطيك ، فتكدر ، ثم قال : إنما سألتك لأنك رأيتك بابا من أبواب الخير ، فقلت له : لو كنت صادقا لم تتكدر لأنى إذا منعتك فانا أيضا باب من أبواب الحق ففارقنى ، وأرسل لعيسى شيخ العرب يطلب منه قمحا ، فأمر له بشىء من الدنيا ، فقال الحاضرون له : أنت عازم على سفر الحج فى هذه السنة ، وتحتاج إلى زيادة النفقة ، فقال : فماذا أصنع هؤلاء ذهب ماء الحيا من وجوههم ، وأنا أستحى أن أردهم انتهى .

وقد علمت أن أكل الفقير مما يعطيه هؤلاء الولاة له [يستحيل] نارا يوم القيامة من جهة عدم حله فى أصله ، ومن جهة كونه يؤخذ ذلك بسيف الحيا ، وقد أشار إلى ذلك الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطى العطا ، ويقول : يذهب أحدهم بعطيته من عندى يتأبطها نارا ، فقال له عمر : يا رسول الله ، فلم تعطيهم نارا قال : فما أصنع يا عمر ، يأبون إلا أن يسألونى ، ويأبى الله لى البخل انتهى .

فاعلم يا أخى ذلك ، واحم خرقة الفقرا الذين تزعم أنك على طريقهم بالعفة ، والقناعة ، ولو أتوك به من غير سؤال لأجل توقع قبول شفاعتك عندهم فى مظالم ، ونحو ذلك ، فإن كل من يشفع عندهم يجب عليه الرد إلا لضرورة شرعية مرجح نفعها على قبول تلك الشفاعة .

وقد كان الشيخ نور الدين الخضرى بجامع يرد كل ما يعطيه له الولاة ، ويقول : قبولى ذلك ولو بقصد تفرقته على غيرى من المحتاجين يسقط جاهى عندهم ، فلا يصير أحدهم يقبل لى شفاعة ، ووالله إن كل شفاعة قبلت أرجح عندى من أن أتصدق بألف قنطار ذهبا من مال هؤلاء انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : معرفة زمانهم ولا يطلبون أن يبرز فيه إلا ما يشاكله .

عملا بحديث (إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة) انتهى ولابد من وقوع كل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

فإذا ارتفع تلميذ أحدهم وعظم شأنه وعظمه وزاره الامرا . وقدموه على شيخه لا يتكدر شيخه بل يعول على حديث الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم . ولا يشتغل بسبب ذلك المريد ولا بإظهار نقصه بين الناس إلا لغرض صحيح ، وكذلك لا يتلفظ بنحو قوله فلان من تلامذتنا ، لأن فى ضمن ذلك إظهار مقامه على ذلك التلميذ من غير فايدة لأن الله تعالى لو كان أراد ارتفاع الأكابر مارفع الناس التلامذة على أشياخهم ، ولو أن الشيخ فى هذا الزمان أقام البرهان على أفضليته على مريده الذى رفعوا مقامه عليه لم يقبل الناس منه ذلك .

ومما وقع لى أنا : أنى أعرف من بعض أصحابى الآن رفعهم مقامى على مقام اشياخى ، كالشيخ سليمان الخضيرى . وسيدى الشيخ شهاب الدين الوفاى ، والشيخ جمال الدين بن الشيخ شاهين ، وأضرابهم . مع أنى لا أصلح تلميذ الواحد منهم كما يعلم الله ذلك ، فكلما أرى ذلك من أصحابى استغفر الله تعالى ، وأصلى على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخبر بذلك ، وأود أن الأرض تبتلعنى . وأصل ذلك كله بعد الناس عن طريق الفقرا ، واعتمادهم على الزى ، والمنطق ولو أنهم شموا رائحة الطريق لرفعوا مرتبة الاشياخ على مريدهم ، ولم يغتروا بلبس الصوف ، ولا إرخاء العذبه ، ولا بطول شعر الرأس . ووالله إن كل ذرة من أعمال سيدى الشيخ سليمان الخضيرى ، أو الشيخ شهاب الدين الوفاى أرجح من القناطير من أعمالى ،

وما أعد ترجيح أصحابى لو على أحد من الأكابر الافتنة لى ، ورفعا لمقام الأشياخ فى الآخرة فالله يلطف بنا فى هذا الزمان .

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

من علامة الولى البرأة من الدعاوى للاحوال ، فلا يرون النجاة من النار إلا بفضل الله تعالى ، ورحمته .

وسمعته يقول أيضا : من علامة الولى مراعاته للأنفاس ، والخطرات والتسليم لمجارى الأقدار ، وسلامته من البدع ، والأهواء المضله ، والكسل ، والفشل .

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله يقول :

ما خلق الله تعالى وليا إلا ووفقه لإصابة السنه بالاتباع ، وحماه من الركون إلى الدنيا ، والهمه الصبر عند البلا ، ومنعه من الشهوات التى تحجبه عنه تعالى .

فاعلموا ذلك أيها الاخوان وزنوا هؤلاء التلاميذ الذين راج أمرهم عند العوام فرفعوهم على أشياخهم بهذه الميزان يظهر لكم نقصهم عن أشياخهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل مقام التباعد عن الشيطان فى حال صلاتهم وغيرها من سائر العبادات .

وقد رأى سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى شخصا يتثاءب فى صلاته فقال له :

إذا كان الشيطان ينفخ فى وجهك يا أخى فى صلاتك وأنت تناجى الله عز وجل ، فكيف حالك فى غيرها من العبادات ، أو العادات انتهى .

وقد صلى خلفى مرة صف طويل ، فرأيتهم تثاءبوا كلهم .

فقلت : هذا من شؤم حالى أنا فلو كنت محفوظا من الشيطان ، لسرى الحفظ منى إلى سائر من اقتدى بى لوجود الإرتباط الذى بين الإمام ، والمأموم ، حتى ورد فى السنة ما يؤيد ذلك ، حين توقف على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة فى الصلاة فقال :

إذا صلى أحدكم ، فليحسن طهارته ، فإنى إنما لبس على القراءة لعدم إحسانكم الطهارة . . الحديث بمعناه على مذهب من يرى رواية الحديث بالمعنى .

فاعلموا ذلك أيها الاخوان وأكثروا من ذكر الله تعالى ، حتى يصير الشيطان يفر من ظلكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : التربص وعدم المبادرة إلى الانكار على من سمعوه يقرأ القرآن بالروايات المغربية .

التى لا يعرفها غالب الناس ممن لا يقرأوه إلا برواية واحدة مثلا لاسيما إن كان أحدهم فى وليمة فيها جمع كثير من العلماء فإن من أنكر على ذلك القارىء قراءته الجائزة ، فكأنه نادى على نفسه بالجهل فى ذلك الجمع العظيم فيفتضح ، فعلم أنه لا ينبغى أن ينكر على قارىء قراءته إلا من أحاط علما بالقراءات .

وقد حضرت مرة فى وليمة كان القارىء بها العالم العلامة الشيخ أبو البقا البساتينى نفعنا الله ببركاته فقرأ عليهم إليهم بضم الهاء ، فأنكر عليه شيخ كان كان هناك من المتصوفه ، فافتضح وقالوا له : هذه قراءة من السبع ، وخجل خجلا شديدا .

فإياك يا أخى أن تنكر شيئا إلا بعد تبحرك فى العلم والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : إذا كانوا فى وليمة وفقد أحدهم نعله النفيس أن يخرج ساكتا ولا يعلم صاحب الوليمة بذلك .

خوفا أن يكدر عليه وقته وإن لم يجد من يعيره نعله .

خرج حافيا لا سيما إن كان نعلا عتيقا أو حلفاية . فإن مثل ذلك مما يتجاوز عنه لأن الفقير ما حضر إلا لاجبر الخاطر صاحب الوليمة،وإذا أخبره بذهاب نعله ، فربما جرح قلبه ورجع ذلك الجرح على جبران الخاطر .فكان عدم حضوره أولى .

بل الذى ينبغى لصاحب المروءة أن يسكت إذا ضاعت جوخته النفيسة ولا يتكلم ، فإن إدخال الغم على صاحب الوليمة يرجع على ذهاب الجوخة إذا الدنيا كلها لا تزن عند العقل جناح بعوضة .

.فاعلموا ذلك أيها الاخوان وأعملوا به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم قبول شيء من مال الولاة فى مساعدتهم فى سفر الحج .

لأن مال الولاة لا يسلم غالبا من الشبهة ولا ينبغى للفقير إلا التحرر من مثل ذلك . لأن الحق تعالى يؤاخذه بما لم يؤاخذ به غيره لكن يكون عدم القبول بسياسة ، وتقديم مقدمات ، لأن ذلك غريب فى فقراء الزمان ، وغالب الولاة ربما يعتقد حل ملكه على قاعدته هو ، ويظن أن رد الفقير عليه المال إنما هو عدم محبته لصاحبه ، فينبغى للفقير أن يكون له نقيب شرب من مسقاته ليصير يبين لذلك الأمير مقام الشيخ ، وإلا فالنقيب الذى ليس بينه ، وبين الشيخ ، إتحاد بالباطن فساده أكثر من صلاحه، وإذا لم يكن للفقير نقيب كذلك احتاج الفقير ضرورة إلى ذكر الألفاظ التى فيها تزكية للنفس ، ليطيب خاطر ذلك الأمير ، ويقيم العذر للفقير، ولو أنه كان يعرف مصطلح الفقير، وذكر للأمير زهد الفقير،وورعه ، وتعففه عن جميع مال الولاة من غير تخصص ، لكان لذلك حلاوة عظيمة ، ويزداد الأمير فيه اعتقادا ، ويصير يقبل شفاعاته لا يكاد يرد منها شيئا .

وكان لى نقيب اسمه الشيخ إبراهيم السند يصطى رزقه الله الاتحاد بى ، فكان يمهد للأمير عذرى ، حتى يصير الأمير يقيم العذر لى فى رد هداياه ، ولا يتكدر منه شعرة علي إذا رددت عطاءه ، فرحمه الله رحمة واسعة ، ولم أظفر بعده بمثله إلى وقتى هذا ، ولما أردت الحج سنه ثلاث وستين ، تسعمائة عرض علي الأمير عيسى أمير الحج أن يزن عنى أجرة أحمالى كلها ، وقدروا ذلك بعشرة آلاف فرددتها عليه ، فأبى أن يأخذها .

فقلت له : معنى قولك خذ هذه الفلوس أى اجعل نفسك عبدا لى ، وأنا سيدك ما دمت أعيش ، فإن المعطي له السيادة ، والآخذ منك له العبودية ، ولا أرضى أن أكون عبدا لك . فتكدر غاية التكدر ، لكونه من العرب ، وكرمائهم، وعادة الناس يسئلونه فى مثل ذلك، فاحتجت انى ذكرت له شروطى

فى الخج ، وأن ماله الذى يعتقد حله على قاعدته هو ليس بحلال عند الفقراء على قاعدتهم . فتطـــر كل الطور ، وخرج يعثر فى أذياله من غير دستور ، ولا استئذان فلا تسأل يا أخى ما حصل على بسبب تكديره لعدم معرفته بمصطلح الفقراء . فلو أنه كان لى نقيب متحد بى لعرفه بمصطلحى من غير علمى . ولم يحوجنى إلى تزكية نفسى .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن الفقير إذا رد على الولاة المال دون أقرانه تميز عند الولاة عن أقرانه بشدة الاعتقاد فيه ، وصار عدوا لجميع أقرانه من النصابين ، ولا يقدر أحد منهم ينطق فى حقه بكلمة مدح أبدا بل يأخذون فى تجريحه ، وتنقيصه طلبا لقبول الناس ذلك منهم ، وأن يحملوه على أنه مارد المال الارياء وسمعة لاخوفا من الله تعالى . وكان الواجب عليهم مدحه على ذلك حفظا لخرقة الفقر .

ولما ردت على مولانا الباشاه اسكندر وعلى عيسى أمير الحاج مالهما ، فلا يعلم عدد من استغابنى من أقرانى إلا الله تعالى على ما بلغنى ، فالله تعالى يغفر لنا ، ولهم آمين اللهم آمين .

وبالجملة فقد صار التعفف عن مال الولاة اليوم عزيزا فى هذا الزمان بل بعضهم صار يسأل الولاة من غير حاجة إنما ذلك للتنعم بالمطعم ، والملبس والمنكح . وكان الأولى لهم رده . ولو اعطوه بغير سؤال ، فكأن الذى يرد الآن مال الولاة ماش فى أرض قفر لا رفيق له فيها . فأسأل الله تعالى أن يمد كل متعفف بالقوة على التعفف ، حتى يلقى الله تعالى فان الماشى على آثار الشريعة اليوم كالماشى بقبقاب على حبل . أو كالقابض على الجمر ، فيوشك أن يقع من الحبل . أو يرمى دينه من يده ، ومن هنا تمنى العقلا الموت خوفا من الفتنة فى الدين .

فاعلموا ذلك أيها الاخوان واعملوا على تحصيل التعفف جهدكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم أكلهم من فراخ الحمام الذى فى أبراج الريف.

أو شربهم من لبن الجاموس لعدم طيبة خاطر الناس بأكل الحمام من زرعهم، وعدم انضباط الجاموس على الأكل من زرع صاحبه غالبا. وكان على هذا القدم جدى الشيخ على، والشيخ نور الدين الخضرى، وجماعة ذكرناهم فى الطبقات، فمنهم من حماه الله تعالى من الأكل من ذلك، ومنهم من حماه فى هكذه فى بطنه.

وكان جدى محمد حماه الله تعالى من الأكل من ذلك دخوله جوفه.

وكان رضى الله عنه لا يأكل لأحد يمسك الميزان طعاماً إلا أن يعلم منه أنه يرجح الميزان لكل من اشترى منه.

وكان لا يأكل طعاماً لشيخ بلد، ولا لمباشر، ولا لقاضى، ولا لجندى ولا طعام من يصلى، ولا طعام فقير لا حرفة له.

ولا يأكل من هدايا الناس، وإذا وصل إليه هدية من بعض الأمرا أو المباشرين وتعذر ردها عليه يفرقها على أيتام بلده وفقرائها ولم يتناول هو ولا أهل بيته منها شيئا.

وكان إذا زرع قمحا جعل بينه، وبين الجار خطاً من قمح، وهكذا فى سائر الحبوب خوفاً من اختلاط شىء من زرع الجار بزرعه.

وكان إذا طحن يقلب الحجر ويكنس الدقيق الذى تحته من دقيق الناس فيضعه فى وعاء فى الطاحون، ثم يطحن قمحه، ويخلى بقية دقيق لمن بعده ويسامحه به.

وبالغ فى الورع، حتى كان لا يأكل من عسل نحل بلده حين أخبره بعض

أهل البلاد التي فيها الفواكه أن تحل بلده يعدى البحر . ويأكل زهر فواكههم وأتاه والده بفتـــاوى العلماء فى الحل فقال : ولو كان حلالا فلى تركه :

وكان يقول من أحكم الحلال لا تأكل الأرض له لحما ، فدفنوا والدى بجانبه بعد إحدى وعشرين سنة . فوجدوه . كما وضعوه طرياً لم يتغير منه شيء ، كما أخبرنى بذلك الشيخ على بن خطاب أحد جماعته . وهو الذى أخذ الجد رحمه الله تعالى وأخذ الوالد .

وكان يقول جميع ما يؤاخذ الله تعالى عليه العبد من الأفعال والأقوال والخواطر . إنما هو متولد من الأكل :

فإن أكل حراما حدث منه أقوال . وأفعال ، وخواطر حرام .

وإن أكل مكروها حدث منه أقوال وأفعال وخواطر مكروهة .

وإن أكل خلاف الأولى حدث منه كذلك أفعال وأقوال وخواطر كان الأولى تركها انتهى .

فاعلموا ذلك أيها الأخوان واعملوا على تحصيل مقام الورع والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم الفتور عن طلب العلم ليلا ونهاراً .

فيستفيدون العلم أولا من الصدور والسطور ، ثم من واردات الحق تعالى على قلوبهم بواسطة الالهام كما هو عليه . عليه الصلاة والسلام ، ومن تأمل في قوله تعالى لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم (وقل رب زدني علما)(١) يجد أن طلب العلم واجب على العبد ، حتى يلقى الله تعالى . فليس للعلم قرار يقف العبد عليه سواء أكان مستمد العبد من الصدور أو السطور أو من الالهام ، فلم يزل يبدوا للعبـــد في كل وقت علم جديد لم يخطر له قبل على بال .

فعلم أن من قنع بما علم ، فهو جاهل كما ورد من قال : أنا عالم ، فهو جاهل .

فأول مراتب العلم : حفظه بقول الناس .

ثم استخراج الأحكام من الكتاب ، والسنة ، وأقوال المجتهدين .

ثم علم رياضة النفس ، وتطهيرها من سائر الرذائل .

ثم ورود المواهب عليه من الحضرة الإلهية ، فغاية علم التصوف تطييب القلب . حتى يصلح لنزول الواردات الإلهية عليـه ، حتى فلاح الأرض للزراعة .

ومثال من يطلب العلم مع رعونة النفس والريا والسمعه ، وقشر الصيت والفرح بالتقدم على الأقران مثال الفلاح الذي يبدر الحب على الأرض

---

(١) سورة طه آية: ١١٤

الغلتة اليابسه من غير حرث ولا سقى ، ولاطراوة فيها : فلا ينبت منه حبة، وإن وقع أن شيئاً من ذلك نبت، فهو بقدر مافى الأرض القلب من الطهارة، فكأن كالأرض الندية التى لا تكفى الحب ثمرها ولا نمو . فينبت نباتا ضعيفاً لا ثمرة له أوله ثمرة مبصوصه لا يسمن ولا يغنى من جوع .

فإياك أن تقول إن علوم الصوفيه لا يحتاج إليها فى طريق تحصيل ثمرة العلم فى الدنيا أو الآخرة فإن الحس يكذبك فى ذلك كما هو مشاهد فى بعض المجاذبين الذين يتعلمون لغير العمل ، فترى أحدهم لم يزل طالباً يقرأ على غيره إلى أن يموت ، ولا يصل إلى درجة إفادة غيره .

واعلم يا أخى أن علوم الأسرار غريبة لم يزل الناس ينكرونها فى كل عصر لغرابة طريقها ، ولا يهتدون إلى التعلم من أفواه الرجال وبطون الكتب . أو يكون نبيا يوحى إليه بالعلم أما حصول العلم من غير هذه الطريق . فينكره غالب الناس وغاب عنهم أن العلماء ورثة الانبيا فى العلم من طريق الإلهام لامن الوحى إليهم على لسان ملك فعلمهم يشبه وحى الأنبيا لعجز العقول عن الوصول إليه ويسمى أيضا علم الفتح الإلهى، وعلم الكشف، فيخلع على العارف العلوم الربانية من غير طريق البحث والفكر ، فيتحير الفقيه فى مثل ذلك ، وربما قال هذه العلوم من الزندقه ، ولو أنه جلى مرآة قلبه من الصدا أو الغبار لقرب قلبه من الحضرة الإلهيه . ورأى علومها ، وهى مفاضة على قلوب الاصفيا .

فعلم أن من الفرق بين علوم الكشف ، وافهم أن علوم الكشف تأتى بلا واسطة الفكر بل تخلع على العارف حالة تلاوته ، فتكون عين التلاوة تلك العلوم بخلاف علوم الفكر لاتأتى إلا بعد النطق ، والتفكر ، ولذلك كان غايتها الظن لا اليقين .

وقد روى الترمذى وغيره فى نوادر الأصول مرفوعاً ، أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلى العلماء بالله عز وجل فإذا أنطقوا به لا ينكره إلا أهل[1] بالله عز وجل انتهى .

وفى كلام بعض المحققين علامة العلم اللدنى أن تمجه العقول من حيث أفكارها ولا تقبله إلا بالتسليم دون الذوق وإنما كانت العقول تمجه لأنه أتاها من غير الطريق المعروف لها .

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول مرارا فى تقرير منام الإمام أحمد بن حنبل حين قال : يارب بم يتقرب إليك المتقربون فقال : يا أحمد بكلامى فقال : يارب بفهم أم بغير فهم فقال : بفهم وبغير فهم .

إن المراد بغير فهم حصول العلم من طريق الكشف ، فهو علم يرتقى عن مرتبة الفهم لا أنه المراد به الجهل إذ الجهل لا يتقرب به إلى الله تعالى . وإن حصل للتالى أجر من حيث التلاوة انتهى .

وهو كلام نفيس لا تكاد تجده فى كتاب ، وقد جمعت كتابا فى علوم أهل الكشف التى استخرجوها من القرآن من طريق الكشف ذكرت فيه نحو ثلاثة آلاف علم ، وكتب عليه علماء مصر على وجه التسليم لأهل الله عز وجل ، وعبارة الشيخ ناصر الدين اللقانى رحمه الله تعالى :

وبعد فقد أطلعت على هذا الكتاب الغريب والأسلوب العجيب الذى لم ينسج على منواله ، ولم تسمح قريحة بمثاله ، فرأيت كنزا مملوءا بالجواهر ، والاسرار ، وبحرا يضيق نطاق النظر عن وصفه ، ويكل لسان الشكر عن إدراك كنهه ، وكشفه ، ولا غرو ، فإن المفيض كريم جواد وهاب أفاض على عبد منيب أواب أيدنا الله بمدده ، وجعلنا من جملة حزبه ، وجنده إلى

---

(١) مطموس من الأصل

آخر ما قال وذكرت فى خطبة هذا الكتاب المشتمل على علوم القرآن أن من مقام العارف عدم الرسوخ فى العلم . فلا يثبت على علم أكثر من ان واحد ، فهو راسخ فى السير فى العلوم لا واقف مع ما علم ، كأهل النقوب ، وأن الكامل لايبلغ مقام الكمال التام . حتى يقدره الله تعالى على استخراج جميع علوم الشريعة من سورة الفاتحة . ثم يستخرج من الفاتحة جميع أقوال المجتهدين ، ومقلديهم ثم يستخرج جميع ذلك من أى حرف شاء من حروف الهجا . وإن أخى الشيخ أفضل الدين استخرج من سورة الفاتحة مائتين ألف علم وسبعة وأربعين ألف علم وتسعمائة تسعة وتسعين علما فراجعه . وطالع الكتاب تسمع علوما لم تخطر أسماؤها قط على بالك فضلا عن الخوض فيها .

وكان السهروردى رحمه الله تعالى يقول :

قلدوا للصوفية كما تقلدوا لأئمتكم المجتهدين ، فإنهم أحكموا أساس التقوى ، وعملوا بما علموا فأورثهم الله تعالى علم ما لم يعلموا من غرائب العلوم ، ودقائق الاشارات لاسيما استنباطاتهم من الكتاب . والسنة ، فإنهم استنبطوا منها عجائب الأسرار . التى لا تكاد تخطر على قلوب العلماء .

وكان أبو سعيد الخراز رحمه الله يقول .

أول الفهم لكلام الحق تعالى العمل به لأن فيه العلم ، والفهم ، والاستنباط ، وأول الفهم إلقاء السمع والمشاهدة قال تعالى :

« إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (١)

---

(١) سورة ق آية : ٧٣

وكان أبو بكر الواسطي رحمه الله يقول :

العلماء بالله هم الذين رسخت أرواحهم فى غيب الغيب ، وفى سر السر ، فعرفهم الله تعالى علوما لم يعرفها ، لغيرهم ، وأراد منهم من مقتضى الآيات مالم يرده من غيرهم ، فخاضوا بحر العلم بالفهم ، ثم بالكشف الذى كشف لهم عن مدخول الخزائن . والمخزون ، حتى شهدوا ما تحت كل حرف . وكلمة . وآية من عجايب النصوص ، واستخرجوا من بحارها الدرر والجواهر . ونطقوا بالحكمة .

وكان أبو عبد الله القرشي رحمه الله يقول :

هى أسرار الله تعالى يبديها إلى أمناً أوليائها من غير سماع ، ولا دراسة فهى خاصة بخواص الخواص .

وكان أبو سعيد الخراز رحمه الله يقول إن الأولياء خزاين أو دعوها علوماً غريبة وأشياء عجيبة يتكلمون فيها بالعلوم الأزلية أى أنهم ينطقون بالله تعالى كما قال فى الحديث القدسى : ( )[1]

ينطق وهو العلم اللدنى الذى أوتيه الخضر عليه الصلاة والسلام .

قال السهرى وردى رحمه الله تعالى :

وهى العلوم التى سموها بأسماء غريبة اصطلحوا عليها نحو الجمع أو التفرقة والبواده ، والهجوم والتجلى والاستتار ، والتجريد ، والتجريد ، والسكر ، والصحو ، والمحو والإثبات ، والفناء والبقاء . ونحو ذلك مما هو مذكور فى رسالة القشيرى ، وغيرها ، وحاصلها أنها إشارة إلى أحوال يجدونها .

---

(١) مطموس من الأصل

ومعاملات قلبيه يعرفونها لا يعرفها إلا من ذاق فافهم ، وكان من الحزم رمزها لأنها من أسرار الله تعالى ، ومن خصائص أهل الطريق التى لا توجد فى غيرها واعلم أن المريد الصادق من أول قدم يضعه فى الطريق يعرف إشارات القوم التى رمزوها ، وإشاراتهم ، ومراداتهم بها ، حتى كأنه الواضع لها ، فإن ادعى دخول الطريق ، ولم يفهم المراد بها إلا بتفهيم أحد لها أو مطالعته فى كتاب فهو غير صادق فى طلب الطريق .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان وتأملوا فى هذا الخلق فإنه نافع جداً والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل الجمع ثم جمع الجمع

وذلك أن الإنسان قد فتح عينه على التفرقة بعد أن كان مجموعا ، فأمر بالرجوع إلى الجمع من طريق التكسب ، لينال أجر الاكتساب أو الأعمال فاذا رجع إلى حالة الجمع أمر بالانتقال إلى جمع الجمع . وذلك تميز الفقرا عن أبناء الزمان ، فانهم ما برحوا فى التفرقة ، حتى يأتيهم الموت كما هو مشاهد فى العوام .

وكان سيدى على المرصفى رحمه الله يقول :

رؤية الكون تفرقه أو رؤية الصفات جمع ورؤية الذات بالقلب جمع الجمع ما دام العبد لم يبلغ إلى مقام الكمال المراد عند القوم ، فاذا بلغ ذلك أصار الوجود كله جمعا لا يفرقه شيء منه عن ربه عز وجل انتهى .

وكان الجنيد رحمه الله يقول :

الجمع أصل والتفرقة فرع ، وكل جمع بلا تفرقة زندقة ، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل .

وكان أخى الشيخ : أفضل الدين رحمه الله يقول :

مراد القوم بالجمع تجريد التوحيد ، ومرادهم بالتفرقة الاكتساب فعلى هذا الاجمع إلا بتفرقة ، ولذلك يقولون (   )[1] عين الجمع ، ويعنون بذلك استيلاء مراقبة الحق تعالى على قلبه ، فاذا عاد إلى شيء من أعماله عاد إلى التفرقة ، فصحة الجمع بالتفرقة صحة التفرقة بالجمع ، ومن فهم من الجمع أنه صار عين الحق تعالى ومن أدعى أنه قائم بنفسه ، فهو مشرك انتهى والحمد لله رب العالمين .

---

(١) مطموس من الأصل .

ومن أخلاقهم : عدم أخذ العهد على مريد عاق لوالديه

سواء في حياتهما أو بعد موتهما . فان العاق لوالديه أو أحدهما الله غضبان عليه ، ومن كان الحق تعالى غضبانا عليه ، فلا ينفعه عمل ،فيجب على الشيخ أن يقول للعاق لوالديه: إذهب ، فارضهما ، ثم تعال. وإن كانا ميتين، فليتوجه الشيخ إلى الله تعالى فى إرضاهما عنه . وهما فى البرزخ ، فلعل الله تعالى يرضيهما عنه.

وقد وقع أن فقيرا كان عند سيدى إبراهيم المتبولى على أعمال كالجبال، فدعاه الشيخ يوما فقال :

يا ولدى مالى أراك كثير الأعمال ناقص الدرجة لعل والدك غضبان عليك

فقال : نعم قد مات . وهو غضبان على .

فقال : امش معى إلى قبره ، فلما وقف سيدى إبراهيم على قبره .

قال : يا حاج أحمد قم باذن الله تعالى ، فانشق القبر، وخرج منه وجلس على شفيره .

فقال : هذا ولدك .

فقال : نعم .

فقال : أشهدك ياسيدى أنى قد رضيت عنه .

فقال : ارض عنه .

فقال له : إرجع إلى لحدك باذن الله فرجع إليه انتهى .

هكذا حكى لى سيدى على الخواص والشيخ يوسف الكردى عن سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنهم .

فاعلم ذلك وإياك أيها الشيخ أن تأخذ العهد على عاق إلا إن كان لك قوة وجاه عند الله تعالى ترضى به أرباب الحقوق على المريد والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم : إذا طلب أحدهم علو المقام
عند الله تعالى أو عند خلقه

أن يبالغ فى الخدمة لله تعالى ، أو لذلك الأمير مثلا ، فإن الله تعالى أو ذلك الأمير يقدمه ويقربه من حضرته ويرفع قدره على سائر أقرانه ويعطيه أفضل مما سأله كما جرب .

فعلم أن من تخلف عن الخدمة وراء الناس كلهم ، وطلب التقدم عليهم ، فهو قليل العقل ، ولا يؤهله الله تعالى ، لمقام الرياسة على عباده ، ولو رفع مقامه من ناحيه أو نواحى لطلب الرياسة من غير طريقها المعتاد ، وكذلك حال ولد الشيخ إذا طلب أن يكون شيخا على فقراء زاوية والده بعده أن يكون أكثر الفقرا كلهم فى العبادة ، والزهد والورع ، فلا يقوم أحد من الفقرا لصلاة الليل إلا ويجده سبقه ، ولا يزهد ولايتورع إلا ويجده قد سبقه ، وهكذا فى سائر العبادات والأخلاق الحسنه ، وهناك يرجى له انقياد فقرا الزاوية كما كانوا مع والده .

وأما نومه أو غفلته عن الأدوار ، وعدم زهده وورعه ، فلا يصح معه رياسة على أحــــد ، فلينبه ولد الشيخ لمثل ذلك ، وإلا حرم رياسته والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن لا يقبل أحدهم من الامرا أو غيرهم
شيئا من المال إلا لمصلحة ترجح على مصلحة الرد

لاسيما إن صرح الامير لوكيله فى التفرقة بأن يفرق ذلك على الصلحاء والزهاد أو علم ذلك بالقراين ، فانه يتعين الرد لأنه ليس لفقير أن يرى نفسه من الصلحاء ، والزهاد ، حتى يقبل ذلك أو شهادة الناس فيه الصلاح، والزهد لايكفى ، لأنه ربما يعلم من نفسه أمورا لو ظهرت للناس لشهدوا فيه بالفسق .

وقد قالوا : أجهل الناس من ترك يقين ماعنده لظن ماعند الناس انتهى .

فاياك يا أخى أن ترخص فى قبول مال انفسك ، أوغيرك إلا عند وجود الضرورة التى تبيح لك أكل الميتة بل ربما كان أكل الميتة أخف من تبعات الآدميين .

وقد رأيت بعينى شخصا من أرباب الأحوال ينهش فى دجاجة ميته ، وهو مار فى الخليج ، نخاف من إنكارى عليه ، فسابقنى بقوله : كيف يطلب المؤمن الحياة فى زمان صار الفقراء يقدمون فيه أكل الميتة على مابأيدى الناس انتهى .

وقد تقدم قريبا أن من يرد الآن مايأتيه من الولاة قد صار كالكبريت الأحمر يتحدث به ، ولا يرى ، وإن جميع أقرانه الذين يأخذون مايعطونه من الأمرا ، لو أمكنهم أن يسعوا فى قتله فعلوا .كما وقع لى ذلك مرارا ، وإن لم يقدر أحد منهم على القتل أخذ فى الغيبة ، والتنقيص جهده ، وكان الواجب عليهم أن يحمدوا من يرد ، ويشكروه على حماية الخرقة من أن

يرى أهلها بأكل الحرام ، والشبهات ، فتقتدى الناس بهم فى ذلك ، ويقولون إذا كان سيدى الشيخ يقبل من الأمرا ، ولا يرد ، فايش قدرنا نحن .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

يجب على الفقير عدم الاعتراض على كل من يرد الشبهات ، لأنه قام بركن من أركان الدين ، وهو تورع ، ومن اعترض عليه ، كأنه يريد هدم ذلك الركن .

وسمعته أيضاً يقول :

يجب على كل فقير الخوف فى هذا الزمان من الوقوع فى الحرام والشبهات أكثر من غيره لأن ضيعته وحايتهم واحد .

لخوف الفتنة فى الدين ، وكثيرا ما يقول الجهال من أصحاب الفقير ، وغيرهم لو أن فلانا قبل ذلك وفرقه على الفقرا لكان أولى ، وذلك لما فى قلوبهم من محبتها ، ونسيانهم يوم الحساب .

وقد أرسل الإمام عثمان بن عفان مالا جزيلا إلى الإمام أبى ذر رضى الله عنهما ، وقال لعبده :

إن قبل ذلك منك ، فأنت حر .

فرده أبو ذر .

فقال : إقبله لأن فيه عتقى .

فقال : إن كان فيه عتقك فإن فيه رقى انتهى .

فليحذر شيخ الزاوية مثلا أن يصغى إلى قولهم ، فيهلك فى دينه ، ويهلك غيره ، ويقال لهؤلاء الجهلة لا يعترض على الأشياخ إلا من هو فوقهم

فى الدين ، والورع ، فهل أنتم فوقهم ، وهم فى حجر تربيتكم أم الأمر بالعكس ، ولم يزل هذا الأمر يقع لى كلما أرد شيئاً من مال الولاه . فيكثروا على القول ولو لا حماية الله تعالى لى لرجعت إلى قولهم .

فالله يحفظ الإخوان من فتنة الرد والقبول آمين اللهم آمين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يشكروا الله تعالى على مايرونه لأنفسهم من المنامات الردية .

فإن ذلك من جملة نعم الله تعالى عليهم،فإنه تعالى إنما أراهم ذلك لينبههم على أحوالهم الناقصة التى جهلوها فى اليقظة ، ليجد وافى العبادة ، ويكثروا من الإستغفار على ذنوبهم السالفه .

ثم مما يخفى على كثير من الفقراء علمهم بأن أحدهم لا يرى أنه مع قوم أو حيوان إلا وهو متخلق بأخلاق مارأى سواء أكانت محمودة أومذمومة ، ثم إن رؤيته لهم يكون على حسب ما تخلق به من أخلاقهم كثرة ، وقلة عمياً ، وإبصارا فمن رأى نفسه مصاحبا لمن يعمل عمل قوم لوط فهو على شاكلته ومن رأى نفسه مع من يفعل لشىء من البهائم فهو على شاكلته أو أحدا من العميان فهو على شاكلته فى العمى الظاهر ، وقد يكون الأعمى فى الظاهر منور البصيره فى الباطن كالولى فإن هذه لايلزم منها النقص فى الدين فافهم .

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى الله يقول لشخص رأى أن ثوبه عف عليه الذباب .

فقال : هذا يدل على أنك ياأخى تقع على الشهوات ،ولا تقدر على منع نفسك منها كما لا يقدر الذباب على رد نفسه عن العسل .

فقال له : وكثيرا ما أرى نفسى معانقا حمارا ،

فقال : هذا يدل على غلظ حجابك انتهى .

وقس يا أخى على ما ذكرناه سائر الحيوانات ، فــلا ترى نفسك مصاحبا لشىء منها إلا وأنت متخلق بأخلاقه فاشكر الله تعالى فى المحمود ،

واستغفر الله فى المذموم ، كما أوضحناه فى بيان الطبقة الأدبية وملخصها :

أن فى الإنسان مجموع أخلاق الحيوانات كلها من محمود ، ومذموم ، وما خرج عن هذا الحكم سوى الأنبيا عليهم الصلاة والسلام ، فإن الله تعالى طهر طينتهم من سائر الصفات المذمومة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تدريج المريدين فى مقامات الإخلاص شيئاً بعد شيء

ولا يأمرونهم بمقام إلا بعد إحكام المقام الذى قبله ، وقد قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً[١]) والعمل الصالح هو ما يشمله الإخلاص ، ولم يشرك العبد فيه مع الله تعالى أحداً ، ولا نفسه ، فيرى كشفاً ، ويقينا أن عمله خلق لله تعالى ، وليس للعبد فيه سوى نسبـــة التكليف ، والاسناد فقط ، فهذا هو الإخلاص المشهور بين العلماء .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

لايقدح فى إخلاص العمل لله رؤية العبد نسبة العمل إلى نفسه ، فإن الله تعالى أمره أن يقول « إياك نعبد وإياك نستعين[٢] » فشركهم الله تعالى فى العمل معه . فمن رد تلك النسبة ، فكأنه كذب الرسل فيما أضافوه إلينا على لسان الحق تعالى فى نحو قوله « والله خلقكم وما تعملون » . فذكر تعالى أنه خلقنا ، وخلق عملنا ، فنفى عنا العمل ، وأثبته فى هذه الآية .

ومن الأدب أن نضيف إلى أنفسنا ما أضافه الحق تعالى إلينا مع علمنا بما تحته من السر المشار إليه بحديث « الإخلاص سر من أسرارى أودعته قلب من شئت من عبادى » أو كما قال . فلم يصرح الحق تعالى به لأنه من جملة الحقائق التى هى أحسن ما يعلم . وأقبح ما يقال فافهم .

---

(١) سورة الكهف آية : ١١

(٢) سورة الفاتحة آية : ٥

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله يقول :

مراتب الإخلاص أن يخلص العبد عمله من شركة نفسه ، ويجعل نفسه لله خالصاً ، ولا يطلب على ذلك أجرا ، وهو نقص بالنسبة للمقام الذى فوقه ، كال بالنسبة لمن يرى له شركة فى الفعل مع الله تعالى ، وطلب على ذلك أجراً. ثم إنه يترقى من هذا المقام الأوسط مقام أعلى وهو الدخول إلى الله تعالى من باب الفضل والمنة ، ليخرج من صفة الفنا التى أظهرها بعدم طلبه الأجر ويتخلق بالفقر والمسكنة كما عليه الأنبياء . وكمل ورثتهم من الأولياء ، وقد قالت الرسل (إن أجرى إلا على الله[١]) ، فطلبوا الأجر الموعود به فى نظير الأعمال الجارية على يدهم من باب فضل والمنة لا بحكم الاستحقاق .

فعلم أن صورة الكامل فى طلب الأجر على عمله صورة من يطلب الأجر من الله على عمله الذى أشرك فيه نفسه ، والقصد مختلف ، فإن من أشرك نفسه فى العمل يرى استحقاقه للأجر ، فلو منعه الحق تعالى من الأجر لتكدر بخلاف الكامل الذى يرى العمل لله تعالى خلقاً .

وقد أشار إلى القسم الأول حديث العابد الذى يقول له الحق تعالى : « أدخل الجنة برحمتى ، فيقول يارب بل بعملى » .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول : محال أن يقبل الحق تعالى عملا ممن يرى نفسه فاعلا كالمعتزلة ، لأنه تعالى لا يقبل من العبد إلا ما رآه فعلا لربه ، وأما رؤية العبد فعلا لنفسه ، فهو عدم ، والعدم لا وجود له ، حتى يقبل من صاحبه بحكم الوهم .

وسمعته يقول أيضاً : فى قوله تعالى « إنما يتقبل الله من المتقين[٢] » أى المتقين

---

(١) سورة يونس آية : ٧٢

(٢) سورة المائدة آية : ٢٧

نسبة العمل إلى نفوسهم إلا بقدر نسبة التكليف فقط، ومن تخلق بهذه التقوى، فهو الذى ينجوا من آفات الأعمال، كالكبر والعجب، والرياء، ونحو ذلك .

وأما شهود العبد كونه فاعلا مع الغفلة عن شهود العمل لله تعالى كشفا ثم يريد أن يحفظ نفسه من الآفات، فذلك محال لا يصح له بل يدخله الكبر والعجب والرياء وغير ذلك انتهى .

وبالجملة : فلا يصح لأحد الإخلاص إلا مادام مقيما فى حضرة الإحسان يعبد الله تعالى كأنه يراه، ومتى حجب عن هذه الحضره دخله الشرك فى العمل وفى القصد .

فاعكف يا أخى بقلبك فى حضرة الإحسان تحفظ من الآفات وترى الفعل لربك وحده لا ترى معه فاعلا حقيقياً أبداً والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل مقام التواضع الكامل النسبي بحيث يصل إلى حد لا يخطر فى باله أن له قدراً فى الناس

وإذا دخل محفلا لا يخطر فى باله قط أن أحداً لا يقوم له لا سوء ظن بالناس ، ونسبتهم إلى الكبر ، وإنما هو لحقارته فى نفسه .

وقد دخل شخص من المتغفلين فى الفخامة ، ونحن فى وليمة عظيمة فقال : واللہ لا يقوم لى أحد منكم ، فقلت للحاضرين : هل عزم أحد منكم على القيام له ؟ فقالوا : لا ، وإنما حلف علينا لظنه أن مثله يقام له ، فقلت له فى أذنه : يا أخى إعمل على هضم نفسك ، حتى تصير بحيث لا تظن أن أحداً يقوم لك فتستريح من هذه الغلبة ، وتصير تتغير من القيام لك بالباطن وإنما تحليفك الناس أن لا يقوموا لك فى الظاهر إظهاراً للكراهة ، فقد يكون الباطن بخلاف ذلك ، كما يشهد له القراين ، فاستغفر الله تعالى ، وشكرنى على ذلك فحمدت الله أنا الآخر على ذلك ، فإنه قل من يقبل النصح فى مثل ذلك .

وكثيراً ما تقوم القراين على محبة الإنسان له للقيام له ، ويظهر هو الكراهة ، فلا يقبلونها منه ، وربما ظهرت العبوسة على وجهه لما لم يقم له أحد وكلح ، فيفتضح فى دعواه ، فاحذروا من مثل ذلك أيها الإخوان ، وكونوا متواضعين مع إخوانكم لا تروا أنكم تستحقون رد السلام عليكم فضلا عن القيام لكم .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

مادام العبد يخطر له فى نفسه أن الناس يقومون له ، فهو متكبر ولا يبلغ أحد التواضع ، حتى يصير لا يخطر ذلك على باله ، كما لا يخطر على باله أن يكون سلطانا ، أو يقوم له السلطان والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا خزنوا قوت أهل الزاويه على عادتهم كل سنه ثم حصل غلا مثلا فزادات الفقرا فى الزاويه فى العدد فن الأدب أن يصغروا الخبز ليكثر العدد .

فيفرق على عدد الرؤس ، فينقص كل واحد من رغيفه لقمه ، ثم لقيمة ، وهكذا ، حتى ينتهى الأمر بفقراء الزاوية إلى أوايل مرتبة الإضطرار ، وهو لذع الأمعاء المسمى كلب الجوع لكن لايخفى أنه لايطالب بالجوع لأجل إخوانه إلا من رضى بذلك من الرجال إختياراً ، أما الأطفال ، والعميان ، ونحوهم فلا يكلف أحدهم بالجوع . وتصغير الرغيف ،

وقد كان الفقرا فى الزمن الماضى إذا كان فى حاصلهم قمح أو حصل غلا يفرقون ذلك القمح على المسلمين ببيع أوهدية أو هبة ، أو إباحة لأن لايتحيزوا عن غيرهم بالرفاهية أيام المخمصة ، ومن فعل ذلك من المشايخ سيدى إبراهيم المتبولى ، وسيدى محمد بن داود ، وسيدى أحمد بن مصلح ، وسيدى محمد الغمرى ، والشيخ عبد الحليم ، وسيدى محمد الشناوى رضى الله عنهم ، فلما ضعف اليقين ، وقل بر الأغنياء للفقراء أمسك الأشياخ القوت فى الحاصل تقوية لقلب فقرائهم ، ليقبلوا على عبادة ربهم ، فإن العدم يشتت البال .

وقد كان الإمام الشافعى رحمه الله يقول : لا تشاور من ليس فى بيته دقيق إنتهى .

وقد شاورت أنا فقراء الزاوية فى سنة ثلاث وستين أن أفرق حاصل قمحهم على المحتاجين ، ونصير نشترى القمح ، ونجوع مثل الناس ، فقالوا : لا طاقة لنا بذلك ، فتركته .

لكن لايخفى أنه ينبغى لكل من قدر على الجوع الشرعى أن يوافق إخوانه المسلمين فى الجوع ، ويطعم الفاضل لمن لايصبر على الجوع كما فعل الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه عام الرمادة .

وهذا الخلق من محاسن أخلاق القوم ، وفاعله الآن قليل بل رأيت بعضهم يأكل الخبز المنخول ، واللحم الضانى ، والدجاج ، وجاره لا يجد النخالة ، يأكلها مع تظاهره بالصلاح ، وكان الأولى له محو إسمه بذلك من ديوان الفقراء صيانه للخرقة أن يظن بأهلها أن حالهم كحاله .

فعلم أن من أقبح القبيح رد الفقراء كل من طلب المجاورة عندهم زيادة عليهم مع قدرتهم على الجوع ، ثم إن كان ، ولابد لهم من الرد ، فيكون ذلك برفق ورحمه ، وبعد بلوغهم أوائل درجة الإضطرار لاسيما إن كان وقف زاويتهم ليس هو على أسماء معينة بل لكل وارد ، فليس لأحدهم أن يذكر من طلب المجاورة بالكلام الجافى طلبا لزيادة التوسع ، والترفه ، لأجل حظ نفسه .

ولما طلب سيدى أبو العباس الغمرى رحمه الله تعالى تخفيف الفقراء من جامعه بمصر أيام الغلا رأى سيدى يوسف الحريثى يقول له : أنظر فكل من وجدت رزقه عليك فأخرجه ومن وجدت رزقه على الله تعالى فليس لك إخراجه ، لأنه جالس فى بيت ربه إنتهى .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان . وواسوا إخوانكم فى الغلا ، وغيره حسب طاقتكم ليعاملكم الله تعالى بنظير ذلك ، وبيعوا كل مازاد على ضرورتكم من ثيابكم ، وغيرها ، وأطعموا الناس بثمنه تفلحوا ، ولا تخالفوا تندموا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: أن يقدموا إقامتهم لخدمة الفقرا وتعليمهم الأدب.

وتهيئة ما يأكلون ، ويشربون على السفر لحج النفل لكن بمشاورة سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك إن كانوا من أهل هذا المقام ، أو يعرض سفرهم ، وإقامتهم على أدلة الشريعة ، فكل ماشهدت له بأنه أرجح قدموه ، فهم دائماً مع الأرجح فى الشريعة لا مع حظوظ نفوسهم .

وقد تهيأت لسفر الحج نفلا فى سنة ثلاث وستين فشاورت بعض الفقرا فى ذلك ، فقال : حتى أشاور لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرد لك جوابه ، فرد على الجواب بأن التخلف لخدمة الفقرا ، وجمع شملهم ، والسعى فى جلوسهم فى مجلس ذكر الله تعالى ، والصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل لى . وإن إشتقت إلى الطواف وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكون ذلك بالقلب إنتهى .

فقلت : سمعاً وطاعة إلا أن يشاء الله تعالى غير ذلك ، وعلمت أن من كان بعيداً عن مكة والمدينه ، وهو فى خير يتعدى نفعه إلى الأمة فى دينهم ، ودنياهم الضرورية ، فهو أفضل ممن كان قريباً من الحرمين ، وخيره قاصر على نفسه ، ومثاله من أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم أميراً فى الجهاد فبينما هو فى وسط الجهاد للكفار إذ ترك ذلك ، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال :

قد إشتقت إلى رؤيتك فاستأصل الكفار المسلمين وقتلوهم وسبوهم وساموهم سوء الهوان ، ولو أنه أتم الجهاد مع إشتياقه ، لرؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكان أفضل له ، وأحب إلى الله تعالى وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فافهموا ذلك أيها الإخوان ، وقدموا خدمتكم للفقراء مع البعد على السفر لحج النفل إلا أن تسحبكم القدرة الإلهية للسفر من غير إختيار نفوسكم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا حجوا وزاروا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أن يمشوا حفاة من مساجد عائشة رضى الله عنها ومن آبار الإمام على رضى الله عنه ، وعند رؤيتهم أشجار المدينة ، أو منارات مسجده صلى الله عليه وسلم أدبا مع الله تعالى ، ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد فعل مثل ذلك من أشياخنا جماعة منهم الشيخ عبد القادر الدشطوطى ، والشيخ محمد الشناوى ، والشيخ محمد المنير ، والشيخ أبو بكر الحديدى رضى الله عنهم .

ولما نزل السلطان قايتباى إلى زيارة سيدى أحمد البدوى ، وإلى زيارة سيدى إبراهيم الدسوقى نزل عن فرسه حين رأى مقامهما ، ومشى حافياً ، حتى دخل المقام قلعوا له من رجله كذا وكذا شوكة ، فأنظر يا أخى أدب الملوك مع أولياء الله تعالى فضلا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخلق على الإطلاق .

ولما زار الشيخ عمر النبتيتى رحمه الله تعالى سيدى أحمد البدوى نزل عن دابته ومشى من ناحية نفيا ، فلما زار ، ورجع ركب من عتبة مقام سيدى أحمد البدوى فقالوا له : فى ذلك ، فقال : إن سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه خرج ، فتلقانا من نفيا ، وهو ماش ، فلم أكن أركب ، وهو ماش ، فلما زرناه خرج معنا إلى عتبة المقام ، وأقسم علينا بالركوب من العتبة ، فلم يسعنا مخالفته إنتهى .

وسمعت سيدى على الخواص يقول :

رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل رسله كل سنة يتلقون القادمين من الحجاج من آبار الإمام على رضى الله عنه معهم الخلع ، فيخلعون على كل إنسان بحسب مقامه ، ويسر صلى الله عليه وسلم غاية السرور ، فإذا وقفوا بين يديه

أمدهم بالأمداد اللائقة بهم ، وربما هابه بعض الفقراء أن يقف بين يديه صلى الله عليه وسلم . فيرسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمداد ، وعنده أكثر ممن يحضر عنده بلا كثير هيبة .

ولما حج سيدى عبد القادر الدشطوطى رحمه الله تعالى ماشياً حافياً لم يدخل حرم المدينة ، وإنما وضع خده على عتبة باب السلام مدة إقامة الحاج حتى رحلوا ، ولم يدخل المسجد هكذا أخبرنى به شيخنا الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمرى وكان قد حج معه فى تلك السنة .

وذكروا أن أحد أرباب القلوب سمع شخصاً من خدام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشيخ عبد القادر واضع خده على باب السلام ، فأذن له يدخل فقال صلى الله عليه وسلم : هو أقرب عندنا عن وقف وهو منطى بالذنوب .

فاعلموا ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لايدعون أحدا من الأكابر العلماء
والأمرا لمشى فى زفة ختان أو زواج

تعظيما لحرقة العلماء عن مثل ذلك . وأدبا مع الأمرا ، فإن منصبهم يجل عن أن يمشى أحدهم مع الصغار ، والطبل والمزمار واللغط ، وخلطة من لايصلح من الزوالق ، والحياق وأهل السخريا .

ولم يكن يمشى فى الزفاف فى العصر الأول إلاالنساء لكن لابأس بتهنئة الرجال بعضهم بعضا .

وأقبح مما ذكرناه دعاء شيخ الزواية المنقطع عن الناس ، ليحضر ذلك وأقبح منه غضب صاحب الزفة عليه إن لم يحضر .

وقد دعى شخص من أصحابى من غير علمى سيدى محمد البكرى إلى زفة ختان ولده فحضر ، فلما رأيته كدت أن أذوب من الخجل ، فعلم أن كل فقير دعى أحد العلماء والصالحين ، والأمرا إلى زفة ختان ولده ، فهو قليل الأدب جاهل بمراتب الناس والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تصد أحدمنهم للرد على أحد من أهل الفرق الاسلاميه إلا بنص أو إجماع

فإن كل مالا نص فيه عن الشارع ، ولا أجمع عليه الأمة الأمر فيه واسع ، ومرجعه إلى الفهم ، والأفهام مختلفه ، فليس لصاحب فهم أن يقول لمثله : إرجع عن فهمك إلى فهمي ، ولو أنه خاصمه لم يرجع إليه لاعتقاده الصواب فى فهمه دون فهم غيره .

فعلم أن من خالف نصوص الشريعة أو إجماع الامة وقواعدها ، فلا لوم على من تصدر للرد عليه بل ذلك واجب ، وكلامنا إنما هو فى مثل انتصار الانسان لمذهبه ، وادحاضه أدلة غيره من غير مخالفة القواعد كلها ، فيرد ذلك الكلام من حيث هو بقطع النظر عن نسبته إلى قائله إلا إن ثبت ذلك بطريق شرعى ، وإنما نبهنا على ذلك ، لأننا رأينا من يتصدر للرد على من نسب إليه ذلك الكلام ويصرح بإسمه من غير ثبوت ذلك عنه .

وكان شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله يقول كثيرا فى مثل ذلك :

كل من ثبت عنه هذا الكلام ، فهو مخطىء ،ولا يقول فلان مخطىء بمجرد عزو ذلك الكلام إليه لقلة ورع الناس فى المنطق كما أوضحنا ذلك فى كتاب العهود المحمدية والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : منعهم أصحابهم من مطالعة كتب التوحيد
المغلقة خوفا عليهم أن يفهموا منها شيئا مخطئا بالتقليد

فيضلوا ويضلوا غيرهم لاسيما كتب محيى الدين بن العربى، وأتباعه، وليس مراد القوم من المريد حفظ مقالا أو كتابا ، وإنما مرادهم الإشتغال ، بالله تعالى حتى يذوق أحوال الطريق كما ذاقها القوم ، ويصير يستشهد ذوقهم وبمقالاتهم طلبا للاستيئناس بهم لكراهة القوم ، للانفراد بالقالات فى الطريق ، وخوفا من الاسراع إلى الانكار عليه ، حيث انفرد بخلاف ما إذا رأوا جمهور الصوفيه معه فإنه يضعف إنكار المنكر ضرورة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : التسليم لمقالات أشياخ الطريق

فإنهم كالمجتهدين فكما يسلم الفقيه للإمام مذهبه كذلك يسلم الفقير لأئمة مذهبه فى علم الطريق .

وقد كان الشيخ محى الدين بن عربى رحمه الله تعالى لم يزل يخرج على أهل الطريق فى بداية أمره ، ويطالبهم بالأدلة على أقوالهم ، حتى اجتمع بالخضر تجاه الحجر الاسود فأخذ عليه التسليم لمقالات الشيوخ ، فمن ذلك اليوم ما أنكر على أحد منهم الا بطريق شرعى .

وأقل ما فى الإنكار أن المنكر يحرم من بلوغ ذلك الامر الذى أنكره سواء كان ذلك حالا أو مقاما عقوبة له على انكاره ، ومن نظر كلام العارفين بعين الإنصاف لم يجد شيئا ينكره عليهم لان طريقهم محرره على الكتاب والسنه تحرير الذهب والجوهر .

وقد حث الاشياخ كلهم على إتباع الكتاب والسنة فكيف يخالفونها هم

وقد ذكر الشيخ فى الفتوحات أن جميع المحققين أجمعوا على أن الكامل منزه عن الوقوع فى الشطح إذ الشطح رعونه لاتصدر من محقق .

قال : ومن أراد أن لايضل عن طريق الحق فلا يرم ميزان الشريعة من يده عند قول وفعل واعتقاد هذا لفظه بحروفه

وقد أخبرنى الثقات عن الشيخ بدر الدين بن جماعة أنه كان يقول : جميع ماوجد فى كلام الشيخ محى الدين مخالف لظواهر الشريعة مدسوس عليه لأن الكامل يجب عليه بعد كلامه أن يحق الحق ، ويبطل الباطل والشيخ محى الدين كامل والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إخلافهم الوعيد لا الوعد.

عملا بحديث :

فمن حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه .

قال الشيخ محيى الدين ابن عربى :

وهنا دقيقة ينبغى التفطن لها وهى : أن من أساء علينا فقد أعطانا حسناته فى الآخرة فى محل الحاجة ، فكيف ينبغى لنا مقابلته بالإساءة عملا بما توعدناه به ، ولو كشف للعبد لم يجد أحداً أحسن إليه مثل من آسى إليه ، ومن كان هذا مشهده فمن الواجب عليه عند أهل الطريق أن يجازيه بكل إحسان فى الدنيا ، ثم لا يرى أنه كافأه على إحسانه .

ولما أراد أبو بكر الصديق أن ينفذ غضبه فى مسطح شفع الله تعالى عنده بقوله (وليعفوا وليصفحوا)[1] الآية فقبل رضى الله عنه شفاعة الحق جل علا ، وعفى عنه وصفح رجاء المغفرة من الله تعالى ، وترك أبو بكر ما كان توعد به مسطحاً .

ثم إن هذا الخلق لا يصلح العمل به إلا لمن خرق ببصره الإيمانى إلى مشاهدة أحوال الدار الآخرة ، حتى صارت عنده كأنها شهادة ، وأما من لم يخرق ببصره إلى ماذكرناه فمن لازمه مقابلة المسىء بإساءته ، لحجابه عن شهود الآخرة .

فاسلك ياأخى على يد شيخ صادق ، حتى تلطف كثائفك ، وترق حجابك وإلا فلا تشم من التخلق ، لهذا الخلق رائحة انتهى .

---

(١) سورة النور آية ٤٠

فعلم أن كل فقير آذى من آذاه ، فقد خرج عن طريق الإستقامة الحقيقية فإن الله تعالى ما أباح المجازاة إلا مداواة للضعفاء ، وأما الأقويا فعرض لهم بترك المجازاة بقوله تعالى : (فمن عفى وأصلح فأجره على الله)(١) .

على أن سيئة المجازاة يشترط فيها أن تكون مثل السيئة الأولى ، وتحرير المثلية عسر جداً ، لأنه يشترط أن يكون تأثير البادى ، ونكايته بسيئة المجازاة مثل تأثير المجازى على حد سوا ،

وأيضا فإن الحق تعالى خلع على سيئة المجازاة اسم الشبهة ، وأكدها بمثلها ففهم أهل الله تعالى أنهم إذا جازوا كانوا مثل أهل البداة فى الذنب ، فلم يرضوا ذلك لأنفسهم هذا ما درج عليه الكمل من الصالحين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مدح أشياخهم فى كل موضع يعتقدهم الناس فيه

والسكوت عن مدحهم إذا كان هناك من ينكر عليهم خوفاً أن يقع فى سبهم .

كما لا ينبغى مدح الإمام أبى بكر وعمر عند الروافض إلا إن رجى رجوعهم عن بغض الشيخين إلى محبتهما .

وهذا أمر قد أغفله غالب مريدى هذا الزمان ، فيمدحون شيخهم ، ويصفونه بالقطبية الكبرى بحضرة من ينكر ذلك عليهم ، فيسخر به الحاضرون ، فاعلم ذلك ، وإياك أن تسامح أصحابك فى المبالغة فى مدحك إذا كثرت أتباعك فنفوك خوفاً على المملكة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم الإهتمام بأمور الدنيا بقدر الضرورة :

فلا يذهبون إلى السوق مثلا لأجل شراء جوخـــة ، أو صوف ، ولا يرسلون رسلهم لأجل ذلك يردونه مرات عديدة . فإن ذلك مشعر برؤيتهم الحظ الأوفر لأنفسهم دون من يشترون منه ، وما هكذا تكون الفقراء إنما شأنهم أن تكون لهم المنه على من يشترون منه فيبيعون برخصه ، ويشترون بغال ، وكذلك لايبالغون فى حسن الهندام فى التفصيل ، والخياطة والسجاف ، ولايبالغون فى نظافة الثوب ، وحسن بياض الجبة ، أوسوادها أو حمرتها بل يلبسون بحكم الإتفاق ، ويغسلون بحكم العادة ، وذلك لأن شرف الفقير ليس هو بالثياب ، والهيئة ، وإنما هو بحسن الأخلاق ، والســـماح .

ويقبح على فقير جعله الله تعالى قدوة للناس أن يطول بنفسه إلى دناءة الأخلاق ، وطلبه الحظ الأوفر لنفسه دون أخيه المسلم ، وكذلك لاينبغى لفقير أن يشترى شيئاً من معارفه خوفاً أن يحاسبوه بسيف الحياء لابنية صالحة .

وقد كان الشعبى رضى الله تعالى عنه إذا قالوا له : ألا تغسل ثوبك ؟

يقول : ليت قلبى فى القلوب مثل ثوبى فى الثياب .

فعلم أن كل فقير ذهب إلى السوق لأجل شراء شىء لنفسه ، فقد اعتنى بالدنيا ، وكذلك إذا أرسل رسوله فى الصوم إلى السوق البعيد : ثم صار يرده مرات ، وكل من قال هذا لا يقدح فى الفقير ، فهو

من باب حسن الظن بالفقراء ، فجزاه الله خيراً ، وإنما الشأن مشى الفقير على مشى سلفه فى عدم المبالاة بأمور الدنيا ، فإنهم أجمعوا على أن طعام الفقير ماوجد ولباسه ماستر ، وكل من طلب فوق ذلك فقد خرج عن الطريق .

وكان سيدى يوسف العجمى يقول :

من رأيتموه فى زيه لبق ، فاعلموا أنه عن الإستقامة زلق والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حمل كلفتهم عن الناس منه ما أمكن .

فإن ثقل كلفة الفقير ينفر الناس منه بقلوبهم ، وإن عظموه بظاهرهم حقروه بباطنهم ، فإذا دعاهم أحد إلى بستانه أيام المشمش أو العنب مثلا لايذهبون إلا بعزة وجماعة قليلة ، وهذا خلق قد أخفله غالب الفقراء اليوم فربما سألوا فضل صاحب البستان فى التفرج بحضرة من يستحيل منه فلا يسعه إلا أن يقول : أنا فى خدمتكم أى وقت طلبتم ، فيذهبون إليه بماهب ودب فيقطعون رمانهم الأخضر ، وحصرمهم ، ويفسدون ، ويصير صاحب البستان فى غاية الحصر والندم ، وربما قالوا له : وايش تطعمنا هناك ، فيكلفونه الطبيخ لهم بسيف الحياء كرها عليه فى الباطن . ثم لايفارقونه ، حتى يقولون له قد حصل لك الخير بمجيء سيدى الشيخ ، وكل هذا خروج عن طريق الشرع كما أوضحنا الكلام عليه فى كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : ملازمة المراقبة لله تعالى إذا خرجوا من بيوتهم لسفر أو غيره حتى يرجعوا

وذلك ليحيطهم الله تعالى من الآفات ، ولاشك أن مراقبة الله تعالى شديدة لما فيها من شدة الهيبة ، والتعظيم ، ولذلك كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، للرجل أن يسافر وحده ، واستحب له السفر مع الجماعة .

وقال : واحد شيطان وإثنان شيطانان وثلاثة ركب انتهى .

فطلب لأمته مافيه الرحمة لهم ، فإن الإنسان إذا وقف وحده بين يدى ملك عظيم أرعد من هيبته ضرورة ، حتى تكاد مفاصلة تنقطع ، وإذا وقف مع غيره بين يديه خفت الهيبة عليه لأنسه بأشكاله .

ومن فوائد السفر مع الجماعة أنه إذا حصل له مرض كان واحد يخدمه ، ودابته وآخر يبلغ خبره إلى أهله فصلى الله وسلم على معلم الخير صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد فى بعض طرق حديث الاسرا ما يؤيد ما قلناه من الهيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أفرده جبريل بزجه فى النور أخذته هيبة عظيمة ، فسمع صوتاً يشبه صوت أبى بكر يقول له : قف إن ربك يصلى ، فزالت هيبته ووحشته إذالهيبة من لازم المقربين ، وكل من أدعى القرب مع الإدلال فلا ذوق له فى مقام المقربين ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (أنا أعرفكم بالله تعالى ، وأخوفكم منه) ، فعلم أنه لا ينبغى لأحد المبادرة إلى الانكار على من رآه لبس الطيلسان من الفقراء ، فربما أرخاه على عينيه حياء من الله عز وجل .

وقد قال الإمام مالك : أول من ضرب الخبا فى طريق الحج من الخلفاء عثمان بن عفان رضى الله عنه .

فقال لأصحابه : أحجبونى عن الناس ، فإنى أستحى من نظرى إليهم .

وكذلك لا ينبغى له الإنكار على من يراه يسافر وحده لأنه ربما يكون قد أمن نفسه عن الخوف من الخلق لايخاف إلا الله تعالى بل يتربص ، فإن رآه ألقى بنفسه إلى الهلكة مع الصحو أنكر عليه ، لأن الله تعالى قد أمنه على نفسه ، فلا يتعاطى مايضره فى الدنيا والآخرة .

وكان سيدى على الخواص لا يسافر بليل ، ويقول :

أخاف أن يقع أحد من اللصوص فى الإثم بسببى بضربى على غفلة لأجل أخذه ثيابى ، وعمامتى ، فلم يمتنع من السفر وحده خوفاً من الخلق أن يأخذوا ثيابه لطيبة نفسه بها ، ولو أنهم سألوه فيها لأعطاها لهم من غير أن يرتكبوا إثماً وإنما امتنع من اللصوص ذلك خوفاً على اللصوص أن يقعوا فى معصية بسبب ضربه ، فالناس على أقسام فى المشى فى الليل .

فمنهم من يكره ذلك حياءاً من الله تعالى ومنهم من يكره ذلك : خوفاً على أخذ اللصوص ثيابه ، وضربه مثلا ومنهم يكره ذلك : خوفا من وقوعه فى عدم حفظ ما أمنه الله تعالى عليه من جسمه من حيث كونه عبد الله تعالى لا لحظ نفسه كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن ينصحوا إخوانهم المترددين

عليهم المحترفة أن لا يأتوا إليهم إلا بعد تحصيلهم مايقوم بعيالهم

ومتى أقروا أحدا على ترك حرفته لأجل حضور وردهم مثلا فقدغشوه وخانوه والله لا يحب الخائنين .

وقد سئل الحسن البصرى عن رجل يكتسب مايقوم بعياله ، ويصلى منفرداً ، ولو حضر صلاة الجماعة لم يف كسبه بعياله .

فقال : يكتسب ما يكفى عياله ، ويصلى منفرداً .

وهذا الخلق قد أغفله غالب المتشيخين بغير حق فيقر أحدهم التاجر أو المحترف على ترك الحرفة التى تستره ذلك اليوم ، لأجل حضور نظام قراءة ورده مثلا ، وإذا تأخر عن حضور مجلسه ، لأجل كسبه ما يقوم بعياله يتكدر منه ، ويصير ينظر نظر الغضب ، وكان الأولى لسيدى الشيخ أن يفرق مسموحه أو جو اليه مثلا على جماعته الذين يطلب منهم الحضور فى قراءة ورده ، ويأكل كأحدهم فإن ذلك هو العدل ، وأما كونه يأكل الدجاج ، واللحم الضانى ، والأرز المفلفل ، والحلوى من جواليه ، أو مسموحه أو رزقته مثلا ، وما عليه من إخوانه ، فهذا خروج عن الطريق .

وقد رأيت من يحجر على إخوانه أن لا يغيبوا عن الوقت الفلانى لأجل حضور الدفتردار أو قاضى العسكر مثلا ليوهم ذلك الزائد أن عنده جماعة كثيرة ، وأنه فى حمله ثقيلة من جهة كلفتهم إما ليشكروه ، أو ليحسنوا إليه زيادة على ما عنده من الرزق ، أو غير ذلك ، وما للفقير وللأمير ، حتى يدعوه إلى حضوره لزاويته مثلا ، وإذا صدق الفقير مع الله تعالى ، صارت

الأمرا ، وغيرهم يترددون إليه من غير سؤال ، ولو أنه منعهم من زياراته تشوشوا .

وقد رأيت من دفن فى زاويته شيخا ، وصار يذكر له كرامات وخوارق ، ويدعوا الأمرا إلى زيارته ، لينصب عليه .

فقلت له : مالك ، ولدعاء الأمراء إلى زيارة هذا الشيخ ، ولم لاتدعوهم إلى شيخ آخر .

فقال : إنما دعوتهم ليحضروا درسى فى الطريق فى حجة زيارة هذا الشيخ .

فقلت له : إن الأمراء ليس لهم وعاء يحملون فيه علمك ومارأينا قط أحداً من الأمراء جالسا يسلك الناس فى الطريق أبدا ، فما بقى فى دعائه إلى حضور الدرس ، أو الختم مثلا إلا العلة النفسية فى الغالب .

وقد كان السلف الصالح يفرون من الشهرة ، وإظهار مقامهم عند أحد من الأمراء الا لغرض شرعى ، حتى كان الفضيل بن عياض رضى الله عنه يقول :

لو أن أحد قال لى : إن أمير المؤمنين واقف على بابك يريد الدخول فسويت لحيتى بيدى لخفت أن أكتب فى جريدة المنافقين إنتهى .

فليحذر الفقير مما ذكرناه من إظهار النظام ، وتعاطى أسباب الشهرة . والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة ذكرهم لله تعالى فى زواياهم

وعدم الخروج إلى عمل مجلس الذكر فى الجوامع المشغولة بالعبادات ، وكثرة دخول الخلق لها كجامع الأزهر ، ونحوه كما درج عليه السلف الصالح رضى الله عنهم .

وقد خالف بعض أهل عصرنا فى ذلك . فصار يترك زاويته ، ويذكر المجلس يوم الجمعة فى جامع الأزهر ، فحصل بذلك شرور وترافع إلى الحكام فكتب الباشاه مرسوماً لذلك الشيخ ، بأنه يذكر فى الجامع على رغم أنف أهله ، فضربوا جماعته ضرباً شديداً ، وهدموا عمامته ، وبهدلوا الخرقة ، وما كان ينبغى له ذلك هذا مع وقوع الناس فى غيبته بنحو قولهم فلان يحب المشيخة والشهرة فجلس زمانا فى زاويته ، فما وجد أحداً يعظمه ولا يعرف مقامه فجاء إلى الجامع لتعرفه الناس وكأنه بذلك يقول اعرفوا أنى شيخ من الذاكرين لا سيما إن كان ورده فى الليل وليس فى زاويته أحد غيره ، وغير جماعته فإن ذلك ربما كانت النفس تكرهه لعدم من يشكرها على تلك العبادة .

وسمعت الشيخ شمس الدين اللقانى المالكى يقول للشيخ نور الدين الشونى :

إنى خائف عليك من تصدرك فى مجلس الصلاة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جامع الأزهر مع كثرة من يراك من الأمراء ، والأكابر ، فربما أعجبت النفس بذلك ، فيصير تعبك هباء منثوراً .

فقال له الشيخ نور الدين : ماجلست فى جامع الأزهر إلا بإشارة سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسكت الشيخ شمس الدين ، ثم قال : لا يلزم من كونه أشار عليك بجعل المجلس فى الجامع أن يكون عملك فيه خالصاً ، فامتحن يا أخى نفسك بما لو نقلت مجلس الجامع إلى محل مهجور ليس فيه أحد غير جماعتك ، ولا يعلم به أحد ، فإن خف عليها السهو فيه ، وانشرحت لذلك فهى مخلصة وإن إنشرحت للمجلس فى جامع الأزهر أكثر فاعلم أن ذلك رياء ، فلا يلزم من كون المجلس بإشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون صاحبه مخلصاً فإن سائر الطاعات قد أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع ذلك ، فقد دخل الرياء ، كما هو معلوم من أحاديث الشريعة .

فليحذر الفقير من مثل ذلك .

وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

ربما استحلى العبد ما هو فيه من الطاعات ، ومكث طول عمره فيها ، فتقول له : إن ذلك من علاقة إخلاصك ، ولو أنك مخلص مادام عليك هذا الخير ، فيصغى لذلك ، فيهلك ، وهو لا يشعر إذلو فتش نفسه ، لربما وجدها مراءيه خالصة فى الريا وقد أجمع العارفون على أن من علامة الريا استحلاء العبادات لأن النفس لا تستلذ بعبادة إلا إن وافقت هواها . ولو خلصت من الهوى لثقلت عليها ، فإن النفس من أصلها رئيسة ، فلا تكاد تخضع لربها إلا بكلفه . فمن وجد من الصالحين فى نفسه كلفه للطاعات ، فذلك من علامة إخلاصه ، ومن هنا قام صلى الله عليه وسلم ، حتى تورمت قدماه لثقل التكاليف عليه ، ولشده معرفته بعظمة الله عز وجل وكان يخفف فى الصلاة رحمة بأمته لأن الوقوف بين يدى الله تعالى يقدر على تطويله .

وكان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه الله يقول :

استحلاء العبادة سم قاتل محبط للعمل ، ولولا شهود الضعفاء تعظيم مقامهم

عند الناس بسهر الليالى مثلا ما استطاعو سهر ليلة كاملة فضلا عن مقام الصبر .

فليمتحن العبد نفسه فى المجالس التى يحدثها ، فربما كانت طريقة يكتسب فيها معاشه فى الدنيا وليس له فى الآخره من نصيب سوى العقوبة عليها كما ورد فى الصحيح ، وربما كتب إسم الشيخ الذى أنشأ مجلس الذكر فى ديوان المنافقين فى السماء ، وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، ولم يكن عقد مجالس الذكر فى الزمن الماضى إلا لكمل الاشياخ الذين تطهروا من رعونات النفس دون آحاد الناس من المريدين فاعلم ذلك ، وأعمل عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم التخصيص على الفقراء بشيء من وقف زاويتهم .

ولا يفرشون فى بيوتهم شيئاً من حصر الزاوية ، ولا يقدون فيها مصباحاً من الزيت الموقوف عليها ، ولا يتخصصون سراً ، ولا جهراً بهدية ، ولا زكاة ، كما يفعله بعض النصابين ، فينصبون على إسم الفقراء ، ولا يعطونهم منه إلا البعض . ولو لاهم لما أعطاه الناس مثل خمس قناطير عسلا ، فليكن النصاب منصفاً وإلا افتضح بين الناس والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : منع عيالهم من حضور الولائم التى يجتمع فيها من لا ينضبط على قواعد الشريعة من الرجال والنساء .

بل يضربون العود ، ويتكلمون بالكلام الذى تستحى أهل المروءات من النطق به فى حق النساء ، والرجال ، كذكر الفروج ، وصورة الوقاع ، والغناء ، والرقص ، وغير ذلك مما يفعله المخبطون ، ونحوهم .

وقد ترك العمل بهذا الخلق كثيراً من فقراء الزمان ، وحصل لعيالهم التغيير بسبب سرقة طباعهم مما يسمعون فى الأعراس .

كما لا ينبغى للفقير أن يمشى فى زفة الختان ، فكذلك لا ينبغى لعياله حضورهن فى الأعراس المشتملة على مفاسده والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تعظيم الأشراف وزيارة قبورهم

لا سيما الأقربين إلى سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كالأئمة الإثنى عشر ، وفى مصر منهم جماعة نحو السيدة نفيسة إبنة الحسن ابن زيد بن الحسين بن علي أبي طالب ، ورقية إبنة الإمام على وسكينة أخت السيد الحسين ، وزينب إبنة السيد الحسين ، ورأس الإمام زين العابدين ، ورأس الإمام زيد ، ورأس الإمام الحسين ، ووالد السيدة نفيسه وعائشة بنت الإمام جعفر للصادق وجماعة كثيرة بالقرافة والمطلوب لكل مؤمن أن يزور هؤلاء كل قليل ، لأن فيه صلة لقربته منه صلى الله عليه وسلم ، والاعتنا بزيارة هؤلاء ، كما يعتنى بزيارة الإمام الشافعى رضى الله عنه وقد من الله تعالى على بزيارة هؤلاء كل ثلاثة شهور . وجاؤنى فى المنام مرات ، وشكروا من فضلى .

ورأى بعض صالحى الشام الأئمة الاثنى عشر ، وهم خارجون من الشام ووجوههم كالأقمار فقال لخادمهم : إلى أين ؟ فقالوا : إلى مصر نزور عبد الوهاب ، فإنه من المحبين لأهل البيت إنتهى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهة إقامتهم فى هذه الدار خوفاً من عدم القيام بآداب أهل البلا كلما تقارب الزمان :

لكثرة ما ينزل فيه من البلا أو من الوقوع فى الآثام ، فإنها دار إبتلا فى البدن ، والمال ، وكلها مملوءة بحقوق الله تعالى ، وحقوق عباده ، وذلك لا يطيق غالب الناس الوفاء به .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

حكم هذه الدار حكم قوم جالسون فى خرابة فى الحر والبرد ، وفى تلك الخرابة سائر المؤذيات من سباع ، وتماسيح ، وعقارب ، وحيات ، وكلاب عقورة ، وغير ذلك من سائر الأعداء من الأنس والجن ، وهى مسلطة على كل عبد أقام فى تلك الخرابة ، وقد أمرهم الله تعالى بقتال جميع هذه المؤذيات ليلا ونهاراً لا يتهنون بأكل ولا بشرب ، ولا نوم ، فأرسل لهم الحق تعالى رسولا يدعوهم إلى جنته فى ظل ظليل ، وفرش مرفوعه وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ، ولا ممنوعة ، ويستريحوا من مقاتلة هذه المؤذيات ، فأبوا ، وقالوا : لا نخرج من هذه الخرابة ، فهم مخطئون باجماع العقلاء ، وكل من وزن اليوم أحواله بالكتاب ، والسنة وجدها خارجة ، وما يفعله من الاعمال الصالحة إنما هو صالح بالإسم فقط ، فهو فى أوزار يكسبها ليلا ونهارا ، فيجب على العبد أن يسلم لله تعالى من حيث تقديره عليه ، وله ، ويستغفره من حيث كسبه ، كما درج عليه السلف الصالح ، ولكن يحتاج الإنسان إلى عينين عين ترضى بإقامة الله تعالى له فى هذه الدار ولا يطلب الانتقال منها وعين تطلب الهروب منها كل ساعة خوفاً على نفسه من إرتكاب الأوزار والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يقروا من يريد الصحبة لهم على حرفته التى أقامه الله تعالى فيها بطريقه الشرعى ثم يسلكونهم وهم فى حرفهم .

كما أقر النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة على ما هم عليه من حين دخلوا فى الإسلام ، ومن هنا كان سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه يقول :

الكامل من يسلك الناس ، وهم فى حرفهم لا من يأمرهم بترك حرفتهم ، حتى يسلكهم ، فإنه ما من أمر مشروع إلا ، ويمكن العارف أن يوصل صاحبه إلى حضرة الله تعالى منه بخلاف الأمور التى لم تشرع .

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أنهم لا يبدؤن أحداً من طلبة العلم إلا إن كان يكفونه في القراءة عليهم في كل علم طلبه من آلات الشريعة .

وإنما يرغبونه فيه ويأمرونه بالإخلاص فيه فإنه لا بد من قائم بالشريعة وحفظها عن الاندراس ، كما أنه لا بد من قائم بالطريقة ، وحفظها كذلك عن الاندراس ، فالجامع بين الطريقين على وجه القيام بهما معاً عزيز في كل عصر . فلذلك كان من الأدب تسليم الفقيه للصوفي طريقه ، وتسليم الصوفي كذلك للفقيه طريقه ، حتى يغلب على الفقيه من نفسه طلب الطريق ، ومادام متعشقاً لزيادة العلم ، فلا يجيب إلى طريق القوم لأن مبناها على مخالفة النفس في سائر الحظوظ . وما كل أحد يقدر على ذلك .

ومن هنا كان من كرامة سيدي أبي العباس المرسي ، التي انفرد بها عن غالب الأوليا تسليكه لجماعة من القضاة ، فقد بلغنا أنه : سلك ثلاثين قاضيا ولم يبلغنا وقوع ذلك ، لغيره .

وقد كان يقول لسيدي ياقوت العرشي : ليس الشأن أن تسلك كل يوم ألفا من العوام ، وإنما الشأن أن تسلك فقيها واحدا في مائة عام انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم رؤيتهم الكمال فى شىء من مقامات إسلامهم أو إيمانهم أو إحسانهم لاسيما فى هذا الزمان الذى نقصت الأمور .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

كان لأهل القرن الأول كمال الإيمان .

وكان لأهل القرن الثانى كمال العلم .

وكان لأهل القرن الثالث كمال العمل ، ثم أخذت الأمور كلها فى النقص بالنسبة لمن بعدهم ، كما أشار إليه حديث « ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » انتهى .

وسمعت سيدى محمد الشناوى يقول :

من إدعى كمال مقام الإسلام فى هذا الزمان ، فهو مغرور .

ورأى فقيه مرة مناما فقصه على سيدى على الخواص رحمه الله تعالى وقال له : قد خفت أن أكون قليل الدين فقال له : ياولدى إن هذا يشاركك فيه ألوف من الناس .

قال : وقد كان من سنة السلف الصالح أن من شرط كمال الإسلام : أن يسلم المسلمون من لسانه : ويده .

ومن شرط المؤمن : أن يكون الغيب عنده ، كالشهادة ، كأنه يعاين أهوال يوم القيامة .

ومن شرط المحسن : أن يعبد الله تعالى كأنه يراه على الدوام ، فأى شخص يدعى أنه كامل فى هذه المقامات الثلاثة انتهى والحمدلله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: شدة حرصهم على فعل الآداب المحمدية التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته وأذن لهم فى استنباطها من الكتاب والسنة .

لا سيما إن كان هناك من يقتدي بهم فيها .

كما أنهم يحرصون على ترك كل ماخالف السنة ، أو آداب السلف الصالح ، وذلك كأن يكبر اللقمة ، ويتبع اللحم ، أو القلقاس من حوالى القصعه أو ينقى الرطب ، أو العنب ، أو التين ، ويدفع لغيره الردىء ونحو ذلك سواء أكان ذلك فى طعامه ، أو طعام غيره ، وسواء أكان يأكل وحده ، أو حيث يراه الناس ، فيداوم على ذلك ، حتى يصير ذلك عادة له سرا ، وجهراً ، ويتأكد على الشيخ أن يتبع السلف فى ذلك ، ويصغر اللقمة ، ويطول المضغه ، ويؤثر رفيقه بكل ما يراه حسنا من الفواكه ، وغيرها ، وذلك ليفعل معه رفيقه الآخر مثل فعله فيؤثره بأطايب الطعام ، والفواكه ، وربما يقتدى به جليسه ، ومن يراه فى شراهـة النفس كذلك ، وإن لم يكن من عادته الشره قبل ذلك ، فيرجع تبعه سوء الأدب فى ذلك على من سبق به فإن سرقة الطباع غالبة ، فإذا سرق الإنسان ما قدام جاره من اللحم سرق الآخر ما قدامه ، وإن آثره بذلك آثره الآخر .

فليحذر الفقير من مثل ذلك كل الحذر ، ويوصى كذلك جماعته ، ويحذرهم من كثرة الأكل ، وشره النفس لئلا يلوث الناس بالخرقة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: الصدق فى إدعاء المقامات وعدم إدعاء مقاما لم يبلغوه ولا مقاما بلغوه ولم يؤذن لهم فى إظهاره.

فإن ذلك المدعى ربما يعاقب بحرمان ما ادعاه، فلا يناله بعد ذلك أبدا، كما جرب.

وهذا الخلق قد صار عزيزاً فى هذا الزمان، حتى أن أربعة من أهل العصر إدعوا القطبانية الكبرى فقلت لهم:

إن القطب لا يكون إلا واحد والثلاثه منكم كاذبون، وأنتم على خلاف، وهذا كله استهزاء بالطريق، لعدم وجود من ينكر عليهم، فإن الصادقين استتروا وغير الصادقين يرفع بعضهم لبعض، لعلم أحدهم بأنه إذا أنكر على أحد أنكر الآخر أحواله وأخرجه عن الدائرة.

فحكم الظاهرين بالدعاوى الكاذبة الآن حكم خلبوص المغانى إذا أخرج بابة فى صورة قاض، أو أمير، وغير ذلك، فيضحك الصغار عليه.

وقــــد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم : أنهم لا يأمرون تلامذتهم أولا إلا بما صرحت به الشريعة .

فإذا عملوا بذلك أمروهم بما استنبط منها ، وهيهات أن يعمل مريد فى هذا الزمان بالمنطوق به فضلا عن المفهوم، ثم إن الأمور التى تفرعت بالفهم من الشريعة ، قد لا يعان العبد على الوفا بها بخلاف ما أمره الشرع به ، فإنه ما أمره بشىء إلا وهو تعالى يريد إعانته عليه إلا إن سبق له الشقا .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول لنا :

اتبعوا ، ولا تبتدعوا ، فإن الوقوف على حدود ما ورد أولى من الابتداع ، ولواستحسنه العلماء ، لأن ما استحسنوه ، قد خلع عليه إسم البدعه على كل حال انتهى والحمد لله رب العالمين :

ومن أخلاقهم : محبه العزلة فى بدايتهم وكراهتهم للعزلة فى نهايتهم .

وذلك لأن المبتدى لضعفه أدنى شىء يشغله عن الله تعالى ، ولا هكذا المنتهى ، لأنه من حين عرف الله تعالى المعرفة المطلوبة بين القوم ، صار لا يشغله عن الله تعالى شاغل .

ولا يخلو الخلق من حالين إما أن يكون أحدهم : أعوج ، فيجب عليه القرب منه ، حتى يقوم سوجه .

وإما مستقيما ، فيستفيد منه العلم ، والأدب .

وإنما لم نقل لا يخلو الخلق من ثلاثة أحوال ، ونعد منها المساوى له من الأقران ، لعلمنا بأنه ليس فى الوجود شيئان متساويان من كل الوجوه وما بق إلا الزايد أو الناقص ، فتارة يشهد الإنسان نقصا فى أخيه ، فينصحه ، وتارة يشهد فيه كالا .

وكان سيدى إبراهيم المتبولى رحمه يقول :

المخالط للناس الصابر على أذاهم أولى وأفضل من الهارب منهم ، فربما اعتزل الناس ، وظن بنفسه السلامة من الآفات والحال بخلاف ذلك بخلاف الذى لا يخلوا من عدو وحاسد يظهر فيه العجز والبجر فيا سعادة من كان له جيرانا ينكرون عليه . انتهى .

فعلم مما قررناه أنه لا يقال العزلة أفضل مطلقاً ، ولا الخلطة أفضل مطلقاً وقدمنا أن العارف أواخر عمره يحن إلى العزلة ، كالبداية ، حين انتهت تربيته لأصحابه ، فلا يصير له وقت يسع الناس ، كما وقع له صلى الله عليه وسلم أواخر عمره حين نزلت عليه سورة « إذا جاء نصر الله وفتح » خوفاً أن يكون ذلك استدراج ، فلا يزال أحدهم خائفاً ، حتى يجاوز الصراط .

ثم بتقدير أنه لم يكن استدراجا ، فهم لا يعلمون هل فعل ذلك خير لهم ، أو تركه ، ولا هل أعطاهم الحق تعالى ذلك بطريق الاستحقاق كما سبق به العلم ، أو بطريق الوعد ، ولأجل يدوم ذلك معهم ، حتى يموت أو يذهب ، والعاقل يفرح بشيء لا يدرى هل يدوم عليه أم لا بل لا يركن إلى الاعتماد على فضل ربه تعالى ، فهو دائما مفتقر إلى الله تعالى فى كل نفس ، وذلك غاية الكمال والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: شهودهم ببادى الرأى أن الحق تعالى حكيم عليهم وأنه أشفق عليهم من أنفسهم.

ولذلك تركوا التدبير معــــه ، ولولا ذلك المشهد ، لدبروا لنفوسهم ضرورة ،

وهذا خلق قد صار غريباً فى بعض فقرا هـذا الزمان لقـلة اشتغالهم برياضة نفوسهم قبل التصدر للمشيخة ، فصار أحدهم بمجرد ما يلوح له بارقة من أحوال الطريق يتميز بهـا عن العوام بجلس يعمل شيخا . وربمـا راج أمره عند الناس أكثر من الصادقين . كما عرفت ذلك من نفسى ، فإنى أعرف جماعة يعتقدونى ، ويرجحونى على بعض العارفين الذين لا أصلح أن أكون مريد الهم ، ويرمون علىّ حملاتهم ، وإذا قلت لهم : إذهبو إلى فلان خذوا خاطره لا يسمعون لقولى .

فعلم أن كل من دبر مع الله تعالى،فهو محجوب عنه بسبعين ألف حجاب كما أوضحنا ذلك فى كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الصبر على الجوع والعرى .

ولا يأكلون، ولا يلبسون شيئاً بالدين كما يقع فيه أولاد المشايخ الذين لم يدخلوا تحت تربية الأشياخ فيظهر أحدهم نفسه بالكرم ولا يقوم برد نفسهم عن شهواتها ، فيصير يأكل ويشرب ، ويلبس ، ويضيف الناس ويتزلق إلى الأخذ . بالدين ، حتى ترتكبه ، أرباب الديون يطالبونه ، فيستخفى ، وإن قدر أن أحد اشتكاه من بيت حاكم ، ليعطيه حقه قام عليه زبانية ذلك الشيخ ، وقالوا لصاحب الحق: استح مثلك يشكى سيدى الشيخ أما تكرمه لوالده ، ونحو ذلك ، وهذا كله خروج عن الطريق .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول: إياكم أن تجيبوا نفوسكم إلى كل ما اشتهت مع ضيق مكاسبكم، فإن عاقبتكم إلى حبس الدنيا ،أو حبس الآخرة انتهى .

ويؤيد ذلك قول سفيان الثورى ومالك بن دينار :

وينبغى للمؤمن أن يصبر نفسه عند الضيق ولا يجيبها إلى كل ما تشتهى ، فإن أحدنا لو أجاب نفسه إلى ذلك ، لخيف عليه أن يعمل شرطيا أو مكاسا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إقامة المعاذير للناس بطريقه الشرعي تخلقا بأخلاق الله تعالى .

فقد ورد فى الصحيح « لا أحد أكثر معاذير من الله تعالى » انتهى .

ومن عقل العاقل أن يعذر إخوانه بما يعذر به نفسه ، فإنه ليلا ونهاراً يود لنفسه الخير ، ويقع فى ضد ذلك ، مع أن نفسه أحزب الأقربين إليه .

فليوطن الفقير الصادق نفسه على سماع كل ما يكره فى حق جماعته ، أو حقه من غير أن يقابل الناس بشىء من ذلك .

وقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول :

كثرة الإنبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء ، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة ، فكن بين المنقبض والمنبسط انتهى .

قلت : وذلك لئلا يعرض عن الناس تكبرا ، وإنما يتبسم لأحدهم عند اللقا ، ويخاطبه يا حبيبي . فمن فعل ذلك أحبه الناس ، ولو لم يخاطبهم .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

إذا ابتليتم بصحبة من لا غنا لكم عن صحبته ، فنا صحوه تارة ، وسالموه تارة ، وادعوا له بالصلاح تارة واسألوا الله الخلاص من صحبته على سلامة تارة ، فلا بد لكل انسان من محب ، ومن مبغض ، ولو كان فى فضل الإمام على رضى الله عنه انتهى .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله يقول :

من طلب من الناس يكونون فى حقه كما يريد غيبة وحضورا ، فقد

طلب المحال ، لأن ذلك لا يصح ، لأحد من الملوك فضلا عن آحاد الناس .

وكان من قول نبي الله داود عليه الصلاة والسلام ، اللهم إني أعوذ من خليل عينه ترعاني ، وقلبه يشناني ، إن رأى خيراً أخفاه ، وإن رأى شراً أفشاه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مشاركة المسلمين فى البلا النازل عليهم فى ساير أقطار الأرض إذا بلغهم ذلك .

عملا بحديث الطبرانى مرفوعا : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » ، وعملا بحديث : « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » .

فلا يمسى أحدهم ، ويصبح إلا ، وبدنه ذائب ، كأنه شرب رطلا من السم ، وكيف حال من يشارك سائر المعاقبين فى بيوت الحكام فى سائر أقطار الأرض فى ضرب المقارع ، والكسارات والسلخ ، والخوزقة ، والشنكلة ، وتقطيع الأيدى ، وإلباس الخودة المحماة على رأسه ، وغير ذلك من أنواع العقوبات وهذا أمر لا يعرفه الا من ذاقه .

وقد وقع لى أننى شاركت مرة شخصا عوقب فى بيت الوالى بوضع الخودة المحماة على رأسه ، فصرت أحس بدهن رأسى سائحا لهـــا الجمر بين الجلد ، واللحم ، حتى إنى صرت أمسح الدهن عن خدى أحسب أنه خرج إلى ظاهر الجسد . فما كنت الا هلكت ، وشاركت مرة امرأة فى الولادة لما تعسرت عليها ، فصرت أطلق ، وكأن فى مقعدتى قنطار حديد يريد أن يخرج فما كنت الا أشرفت على الهلاك ، ولى فى هذا الأمر وقائع كثيرة ، وهذا الأمر ما رأيت له فاعلا بعد سيدى على الخواص رحمه الله تعالى الا قليلا ، وهو علامة على كمال الايمان والحمد لله الذى حصل لنا منه نصيب

وقد وقع للشيخ على مرة أنه مكث من بكرة النهار إلى المغرب لم يأته خبر بأن أحدا فى ذلك النهار فقال : الحمد لله ، فدخل عليه شخص بعد الغروب فقال : إن حمارتى ولدت ولدا بلا ذنب ، ولا آذان ، فصار يدور فى البيت إلى الصباح ، ويقول . إذا وحل هذا الجحش يسحبونه من الوحل بأى شىء رضى الله تعالى عنه

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول : كل فقير أكل أو شرب أو جامع أو ضحك ونزل البلا بأحد من المسلمين من غير ضرورة شرعية ، فهو ناقص الايمان ولا يقدم ماهو مفروض فى حق الله تعالى ، فإن من شرط الشيخ أن يصل إلى مقام الاحسان ، ويترقى فيه الى مقام الإتقان ، وقد ذكرنا فى كتاب المفاخر والمآثر شروط من تحمل البلا عن الناس ، فراجعه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مساعدة الناس فى بلادهم وغيرها فى حفظ أماكنهم من برارى وقفار وبحار ومداين وجبال

فيطوف أحدهم بقلبه سائر أقطار الأرض فى نحو ثلاث درج

ويقع لى بحمد الله تعالى أنى أطوف مداين الأرض ، وقراها بقلبى فى مقدار درجة رمل ، ولا ينبغى لأحد استبعاد ذلك لأنه أولا بإقدار الله تعالى للعبد لا مستقلا ، وثانيا إنه بالروح ، والأرواح لها سرعة السير ، فربما صعدت للعرش فى مقدار لحظة ، ونزلت للأرض السابعة كذلك فى مقدار لحظة .

ووقع لى مرة مثل ذلك مع الشيخ أحمد السطيح ، فبينما هو يكلمنى إذ سقطت للبهوت ، فرأيت قدمى على قحف الحوت فقال لى . فورا : أبعدت عنى قوى ، وكان من أهل الكشف ، ومرة أخرى كلمنى فى حاجة .فرأيت نفسى على باب الكعبة فقال : إنزل الملتزم . وادع لى

فعلم أن مثل ذلك يكون للفقراء بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المقيلة لما أسرى به إلى السماء ، وإن تفاوت المقام ، فإنه صعد إلى العرش ، ونزل فى لحظة ، والله على كل شىء قدير ، ويحتاج صاحب هذا المقام إلى صفاء عظيم ، ولا يكون فى قلبه تكدير بحال من الأحوال ، وربما أعطى الله تعالى هذا المقام لبعض الفقراء من غير طواف بل يرتسم الوجود كله فى قلبه فيراه من قلبه

وإيضاح ذلك أن القلب إذا انجلى صار كالمرآة الكرة ، فإذا قابلها بالعالم العلوى ، والسفلى ارتسم كله فيها ، وإن كان جرمها صغيرا ، فالمدار على صحة البصر ، وقوته ، أو ضعفه كما أوضحنا ذلك فى كتاب المنن الكبرى فى الباب الثانى فيها

وقد ورد على شخص من أرض الحبشة . فأخبرته بالزقاق الذى فيه داره ، وبالشجرة النبق التى فى دار جاره . وبالكنيسة التى فى أطراف الزقاق ، فصدقنى على ذلك ، فعرفت صدق طوافى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : استيئذانهم لأصحاب النوبة كلما خرجوا من دارهم لسفر أو غيره وكلما دخلوا دارهم من سفر أو غيره

لأنهم حفاظ . الأرض بإذن الله تعالى . وحكامها ويحبون من يراعى معهم الأدب فلا يبلغ احد منهم القلعة مثلا فى شفاعة ، حتى يستأذن أصحاب النوبه وهو على عتبة الباب الأول من القلعة أو بيت الأمير مثلا فمن راعى ذلك الأدب معهم قضيت حاجته إن شاء الله تعالى ، ورجع سالما من الآفات

وإيضاح ذلك أنه لا يسلم بيت حاكم من سلطان أو أمير من واحد أو جماعة تكون فيه ، ويكون حكم ذلك السلطان أو ذلك الأمير تبعا لحكم أصحاب النوبة ، وهذا الامر لا يعرفه كل فقير ، وإنما هو لافراد من أهل الطريق بل بعضهم أنكر وجود أصحاب النوبة أصلا . ومن شأنهم الإطلاع على أسرار العباد وما يفعلونه فى قعور بيوتهم بإذن الله تعالى ، ويحبون من كل من مشى فى دركهم أن يكونوا على طهارة ، وأن لا يكون قلبه غافلا عن الله تعالى

وقد أخرجت مرة ريحا وأنا ماشى فى مصر العتيقة ، فنادانى شخص منهم كان يحيك السدود وما كان لنا حاجة فى مشيك فى دركنا إلا أن تفسوا فيه فمن ذلك اليوم ما مشيت فى شوارع مصر الا متوضئا ، وإذا اضطرنى الامر إلى إخراج ريح استأذنت صاحب الخط فيه .

ووقع لى أيضا تجاة البيمارستان بمصر أنى أحسست تمساحا طلب يبلعنى ، وأنا ماشى ، فقامت كل شعرة فى جسدى من الرعب ، فالتفت ورائى ، فإذا بشخص من أرباب الإدراك محلوق اللحية أحمر العينين ، فقال لى مشافهة : لا تعد تمشى فى دركى غافلا عن ذكر الله تعالى أبدا ، فقلت : سمعا وطاعة ، ومن ذلك اليوم وأنا كلما مررت من ذلك المكان آخذ حذرى من الغفلة فيه

فاعلم ذلك ، واعمل به والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : كثرة توجيه كلام الأئمة والفقهاء والصوفية وغيرهم وحمل كلامهم على أحسن الأحوال ولا يبادرون لتخطئة أحد بغير دليل صريح

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول:

ليس الفقير من يرد كلام الناس ، وإنما الفقـــير من يبحث على منازع أقوالهم ، وينظر من أين أخذوا ذلك الكلام ، ويبين هل يؤثر ذلك فى سعادتهم ، أولا يؤثر هذا حظهم رضى الله تعالى عنهم والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : أن يعبدوا الله تعالى إمتثالا لأمر الله تعالى فى مجالسته فى تلك العبادة

لا رغبة فى الثواب ولا خوفا من العقاب ، السوء ، أو أجره السوء ، فإن لم يتيسر له ذلك فليستغفر الله من حيث قصده هو ، ويسأله الصفح عنه

وقد قال الله تعالى فى بعض كتبه : ومن أظلم عن عبدنى لجنتى ، أو نارى لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لأن أطاع انتهى

وهو مقام يصله المريد فى بداية الطريق والله أعلم

وليس ذلك من مقام الخواص كما يتوهمه من لم يسلك الطريق لكن لا يخفى أن فى ذلك إظهار الغنى عن فضل الله تعالى فى الصورة وكذلك كان من مقام خواص الخواص . أن يطلبوا من الله الأجر والثواب من باب المنة ، والفضل لا بحكم الاستحقاق ، ليخرجوا بذلك عن صورة الغنى من فضل الله ، تعالى ، ويدخل فى مقام الفقر والذل ، والحاجة بين يديه عز وجل فصورته صورة المبتدئين ، والقصد مختلف والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم طلب أحدهم مقاما عند الخلق

وإنما يطلبون المقام عند ربهم تعالى فقط سواء أكان مشهد أحدهم معيه الحق تعالى ، مع الخلق أم لا إتهاما لنفسه أن يغلب عليهم مراعاة الخلق.

فإن من طلب المقام عند الخلق فمن لازمه محبة الريا له ، والنفرة من كل ما يهضم مقامه عندهم لكن يستثنى من طلب التعظيم عند الخلق ، لغرض شرعي كمن يقول لمن سأله فى قضاء حاجة عنـــد أمير إذهب ، فكبرنى ، وعظمنى عند الأمير قبل أن أحضر إذا كان ذلك الامير لا يعرف مرتبة الشافع ، فإن ذلك غرض صحيح وفعله سيدى أحمد وغيره والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الشفقة على السلطان وولاة الامور

فيودون أن لو كان مع أحدهم جبل من ذهب ، وساعد به السلطان على نفقة المجاهدين ، والمسافرين فى التجاريد ولو عرضوا على أحدهم أن يعملوا له مرتبا من بيت مال المسلمين أو مسموحا أو جوالى لايقبل ذلك ويقول: مال بيت المسلمين إنما هو معد لانفاقه على مافيه نفع للمسلمين كمن يسافر فى التجاريد ، ويحمى بيضة الإسلام أو من يسلك طريق القوم ، وليس له ما يكفيه ،

وأنا بحمد الله مكفى وليس فى جعبتى أى مال إلا وجعلته فى نفع المسلمين فقد اخترت أن يكون أجرى على الله تعالى

ولم أطلب من أحد الأمراء بمصر أن يجعل لى مسموحا أو جوالى أو مرتبا وقد رأيت بعض المشايخ رفض أن يأخذ مرتبا إلى أن مات ، وهكذا كان السلف الصالح ، وأما من يطلب من الحكام أن يجعلوا له مسموحا أو جوالى مع وجدان الحرقة والكسرة ، فهو دنياوى لم يشم من طريق القوم رائحة .

وقد سمعت بعض الولاة يقول: نحن لا نعتقد إلا من يتعفف عن ما بأيدينا وأما من يسألنا الدنيا ، فلا نعتقده ، وسيأتى فى الباب الحادى عشر أن الولاة ما أعطوا فقيرا شيئا الا بعد زهدهم فيه ، فكيف يليق بالفقير أن يقبل مازهد الولاة فيه ، ويكون أقل ورعا منه ، فلا تقبل يده فإنه نصاب والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم قبول هدايا الكشاف ومشايخ العرب وكل من لا يتورع في مكسبه وعدم الأكل من ذلك

هذا إذا جاءهم بغير سؤال فكيف بمن يسأل الولاة في ذلك بنفسه ، أو قاصده تعريضا ، أو تصريحا ، وفي ردهم ذلك فوائد منها عدم الركون إلى الظلمة ، فإن من قبل هداياهم ، وأكل من طعامهم ركن إليهم ضرورة ، فوقع في النهى) وعرض نفسه بأن تمسه النار كما قال الله تعالى « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون » وهذه الآية ، وإن كانت وردت في الكفار ، فإنها تشمل من ظلم أحدا من المسلمين ، ومنها عدم انتفاع الولاة بالفقرا لأنه إذا قبل هديتهم ، صار معدودا من عائلتهم واستها نوابه ، ولم يقبلوا له شفاعة ، لعدم استحقاقه لذلك .

وأيضا فإن باطنه قد تلطخ بطعامهم المختلط بالحرام والشبهات ، وذلك يحجب العبد عن ربه ، فلا يصير يقدر على أن يحمل شيئا من البلايا النازلة بهم إذا سألوه في ذلك .

ومنها فتح باب غيبة الناس فيه بقولهم كيف يكون هذا صالحا ، وهو يأكل طعام الظلمة ، فيقل الناس إعتقادهم في أقرانه ، ولو كانوا محفوظين من مثل ذلك .

وقد قال معروف الكرخي يوما لأصحابه : اشتهى أن أموت ببلد غير بغداد ، فقالوا له . كيف ؟ فقال : خوفا أن لا يقبلني قبرى فأفتضح ويسئ الناس ظنهم بأقراني من الفقرا .

فعلم أن كل فقير أكل من طعام ظالم وقبل منه مرتبا أو معلوما ، فهو شيطان ، ولو كان له شعرة ، وعمامة ، وعذبة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : جعلهم الحظ الأوفر لكل من عاملهم ببيع أو شرا أو استيجار رزقة أو معصرة أو مركب وذلك هروبا من تحمل منة الخلق عليهم .

فإن باعوا شيئا أسقطوا عن المشترى شيئا من الثمن لاسيما إن كان الآخر يتجر فيه ، وإن اشتروا شيئا يزيدونه عن الثمن الواقع ، ويسامحونه به ، وإن أجروا رزقتهم يؤجرونها بأنقص الأجر ، وكذلك القول فى إجارة المعصرة ، والمركب عن الانتفاع بها لعدم الحب الذى يعصر ، أو لعدم من يسافر فى المركب لايأخذون لذلك أجرة .

وقد فعلت أنا مثل ذلك فى رزقتى ، ومعصرتى ، ومركبى ، ولم أجد لذلك فاعلا من أقرانى غيرى إلا قليلا ولذلك لاأقبل شيئا من الأجرة التى يدفعها المستأجر قبل الإنتفاع بتلك المركب ، أو المعصرة ، أو الرزقة مثلا لأنه ربما مات قبل انتفاعه أو مت أنا قبل ذلك ، فتقع الخصومة بين ورثته وورثتى ، وكذلك لاأضع فى عينى لبن امرأة اجنبية إذا رمدت إلا إن وزنت لها ثمن ذلك اللبن لما فيه من رائحة استلاب حق الولد لاسيما إن كانت ترضع بأجرة ، أو كان لبنها قليلا .

فعلم أن كل فقير طلب الحظ الأوفر لنفسه فهو يتجر فى الدنيا دون الآخرة ، والفقرا إنما دخلوا هذه الدار ليتجروا فى أعمال الاخرة فى كل شيء يتقلبون فيه فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم قبول هدية على سؤالهم ربهم فى قضاء حاجة فقضيت .

وقد أرسل بعض قضاه العساكر مالا له صورة لأدعو لولده أيام الفصل فرددته وقلت ، لقاصده الايخلوا إما أن يكون قد سبق فى علم الله موت ولده ، فعلى أى شيء آخذ ماله ، وإما أن لا يكون سبق فى علم الله موت ولده ، فما فعلت شيئا أستحق به مالا ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : التخلق بالشفقة والرحمة على المحترفة ووزنهم ثمن السلعة التي يشترونها منهم من قماش أو سمن أو جبن ونحو ذلك .

لاسيما إن كانت السلعة سالمة من الغش ؛ فكل ما انتفعنا بالبضاعة الجيدة كذلك ننفعه بالثمن الوفى ، ونزيده على ثمن سلعة الغشاش ، ولو طلب هو منا مثل ثمن سلعة الغشاش لانجيبه بل نزيده عملا بالعدل ، والانصاف .

وهذا مادرج عليه أشياخنا رضى الله عنهم فاعلم ذلك واعمل به والحمد رب العالمين .

ومن أخلاقهم : زيادة التورع فى شهر رمضان على غيره من الأوقاف فلا يفطرون فيه عند مكاس ، ولا ظالم ، ولا عند من فى ماله شبهة .

وقد عملوا على حيلة فى إفطارى عند مباشر من مباشرى الديوان ، فأكلت عنده ثلاث لقم بورقة بجل فقط ، فنمت تلك الليلة ، فرأيت القيامة، قد قامت ، وملك من الملائكة يقول لى : استعد لمن يجاذبك على الصراط لأجل الثلاث لقم التى أكلتها فى رمضان عند فلان ، فاستيقظت مرعوبا فعالجت نفسى أن اخرجها بالقىء من بطنى ، فلم أقدر فأنا مستغفر منهـــا إلى وقتى هذا

فعلم أن كل من ادعى الولاية ، وأكل عند الظلمة فى رمضان ، أو غيره . وقال : أنا بحر لا تكدره الدلاء ، فهو كذاب نصاب .

وقد أجمع القوم على أن اللقمة التى للشرع عليها إعتراض تؤثر فى القطب ، فكيف بغيره والحمد رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يفرقوا مادخل فى يدهم على مستحقه من نقود وثياب وطعام وغير ذلك .

وهو خلق غريب لايصح إلا لمن أحكم مقام الزهد فى الدنيا بحيث صار ينقبض للدنيا إذا دخلت عليه وينشرح لها إذا تحولت عنه .

وقد اعطانى الله تعالى ذلك من حين كنت أمرد فلا أبقى من ثيابى ، ولا طعامى ، ولامالى إلا لغرض شرعى تخلقا بأخلاق الله تعالى ، فإن من أسمائه تعالى المانع ، فيمنع من يشاء من عباده بحكمة لالبخل تعالى الله عن ذلك .

وقد دخل يدى مرة مائة دينار ذهبا ، وأنا صغير ففرقتها على الحاضرين، ولم أبق لنفسى منها درهما واحدا مع أنه لم يكن عندى ذلك الوقت رغيف لاثمنه فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم قبول وصية أو صى لهم بها أحد ؛ ولو كان مكسبه حلالا

وذلك لأن جميع ورثة ذلك الميت ناظرون إلى ذلك المال غالبا لاسيما إن كانت الوصية لاحدهم بمال عظيم نحو الثلث . فإن الورثه يتكدرون من مثل ذلك أشد التكدر لأنهم يريدون أن يأخذونه كاملا ؛ ولا يشاركهم فيه أحد .

فلأجل تلك المزاحمة الباطنه تركوا قبول الوصايا لا لعلة أخرى .

وقد أو صى لى قاضى اسكندرية شمس الدين بن محاسن بثلث ماله، وكان أربعة الاف دينار ، ووصلت إلى ، فرددتها من أجل نظر ورثته إليها . ولأجل كون ذلك مال قاض لا لعلة أخرى .

وهذا خلق لم أجدله فاعلا من أهل عصرى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا رأوا فى حارتهم منكرا وعجزوا عن رد أصحابه عنه فإنهم يتوجهون إلى الله بالدعا لهم بالتوبة .

وتحويطهم بالآيات والأذكار خوفا أن ينزل عليهم بلاء ، وهم غافلون فى لهوهم ، ولعبهم ؛ فيعم فاعل المنكر ، ومن سكت عليه من أهل الحارة

وقد سكن بجوارنا نساء من بنات الخطا مرة ، فكنت أحوطهم بالقرآن لئلا ينزل علينا وعليهم البلاء إلى الفجر ، حتى رحلن وقد عمل المحبطون بجانب دار نائلة فى الخليج ، فسهرت أحوطهم إلى الصباح لم يأخذنى نوم وذلك لما جبل الله تعالى الفقراء عليه من الشفقه ، والرحمة على جميع خلق الله تعالى .

وربما كان المحبطون ، والسامعون لا يعدون ذلك ذنبا .

وأخبرنى سيدى على الخواص رحمه الله تعالى : إن لله تعالى رجالا لا يفارقون مغانى العرب ، ومواضع الظلم ، والمكوس والمعاصى يبتهلون إلى الله تعالى فى عدم نزول البلاء عليهم ؛ ويقولون . يارب إنهم من جملة عبيدك قال ولولا ذلك لربما خسف الله تعالى بهم الأرض .

فإياك ياأخى والمبادرة إلى الإنكار على من تراه من الفقرا يسمع المحبطين أو حاضرا عندهم ربما كان من هؤلاء الرجال الذين يشفعون عند الله تعالى فى أهل المعاصى فى دار الدنيا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إقامة العذر لزوجتهم فى شدة الغيرة إذا تزوجوا عليها .

ولا يطالبونهم بالصبر كما تقدم بيانه مرارا فإن فى الحديث إن المرأة المغيرة لا تبصر السماء من الأرض انتهى .

وقد أبصرت عائشة يوما سودة . ومعها إناء فيه طعام جاءت به ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت ، وكسرته بحجر ، فطار ما فيه فى الأرض ، فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمعه من الأرض فى الإناء ، فاعلم ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : غلبة الحياء من الله تعالى ومن خلقه .

حتى يستحى أحدهم أن يظهر وجهه ولذلك يرخون على عمايمهم فى جل الأوقات لأجل ذلك ولكف بصرهم فضول النظر ، ويرخون الطيلسان حياء من الله تعالى .

وتقدم أن أول من ضرب الخبا فى الطريق الامام عثمان بن عفان ، وقال لخدامه :

استرونى ، فإنى استحى من رؤيتهم لى .

وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول :

الفقير كالمرأة المخدرة لا تكاد تكشف من بدنها ما يكشفه غيرها من النساء .

وكان يقول :

ينبغى للفقير أن لا يغتسل إلا فى ثوب خلق كما يفعل بالميت قال : ومن هنا عمل أهل الأدب لهم طوقا يستر عنقهم ، وأدمنوا لبس الخف ، حتى لا تظهر أقدامهم ، وضيقوا الأكمام ، حتى لا يظهر عن ذراعهم شيء .

فإياك أن تعترض على من رأيته يرخى الطيلسان وتقول . إنه يتمشيخ ، فربما كان سبب ذلك الحياء كما ذكرنا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم الأكل من ضيافه الوقف الذى تحت نظرهم ولو جعل لهم ذلك .

إلا إن علموا طيبة نفس الفلاح بها وإن شكوا فى ذلك تركوا الأكل منها ، وذلك لضيق حال الفلاحين فى هذا الزمان ، وكثره المغارم التى عليهم من الكشاف ومشايخ العرب ، والعصاه ، وغيرهم ، وما جعل الناس الضيافة من قديم الزمان إلا لما كانوا يجدونه من الراحة من جهة أستاذهم من مسامحتهم لبعض الخراج ، وكسوتهم ، وكسوه نسائهم ، وضيافتهم وبطبيخ الحلو ، والأرز المفلفل ، ويعدون تلك الأيام أيام عيد ، وهذا أمر قد تودع منه مابقيت الدنيا .

ومن جملة نعم الله تعالى أن ضيافه الفلاحين لاتقيم فى باطنى أبدا لو عملوها بغير علمى لاسيما الأوز ، فإنه إنما تربيه نساء الفلاحين فيصير مذموما من وجهين كونه من كسب النساء وكونه بغير مقابل من الاستاذ .

وهذا خلق لم أجد له فاعلا من أهل عصرى إلا القليل بل رأيت بعضهم أتاه الفلاح بالضيافة فرأى فيها أوزة صغيرة . فردها على الفلاح ، فقال : إنها وزة يتيم ، فقال : اقل لولى اليتيم يبدلها لنا . وردها إلى بلاد الريف ، فالضيافة وإن كانت حلا لأنها من جهة شرط الواقف قلنا : ترك أخذها وترك الأكل من طعامها أولى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا كان تحت نظرهم وقف من الأوقاف فاسكنوا بيوته أو زرعوا رزقة من رزقه أن يعط كل ذى حق حقه .

ومن مال الوقف .

فإن زرع فى أرض الوقف وبارك الله تعالى تلك السنة فى قمحها مثلا ، حتى صار الخراج قليلا عادة ، فمن الورع أن يزيد فى الخراج ليشاكل عادة الزرع

وإن كان لهم رزقة ، وأجروها ، وهاف قمحها ، وأكلته الدودة مثلا ، فمن الورع إسقاط الخراج كله ، أو بقدر ماهاف ، أو أكلت الدودة .

وقد عملت بهذا الخلق فى رزقى مرات فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا دفع لهم أحد خراج رزقتهم .

مثل ضريبة خراج السلطان زيادة على خراج الرزق عادة فمن الأدب السلطان ربما زاده الفلاح . ولو أن الفلاح قال لهم خاطرى بذلك طيب اعتقادا فيهم يقولون له : نحن خاطرنا بذلك ماهو طيب .

وقد فعلت أنا فى رزقتى ذلك مرات أدبا مع السلطان، وإن كان السلطان لا يعلم منى ذلك .

فليحذر الفقير فى هذا الزمان من أن يزرع فى طين الوقف الذين هو تحت نظره بأنقص من اجرة المثل ويخاصم المستحقين ، فإنه يخرج بذلك عن طريق القوم ، وعن العرف .

وكذلك الحذر من تسخير الفلاحين فى حرث زرعه أو حصاده مثلا تشبها بالولاة ، والملتزمين ، فإن ذلك خروج عن ادب الدين وربما قالوا لسيدى الشيخ : خاطرنا بذلك طيب ، والقراين تعطى أنهم مافعلوا ذلك إلا خوفا من مباشرى الشيخ أو الجابى أن يغمزهم الشيخ على عمل حسابه بالمقلوب ، فيغرموه مالا يطيق فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا أكلوا رطبا أو بسرا أو تينا أو عنبا .

أن يبد أكل واحد منهم بأكل الحامض ، أو العفن مثلا إيثار البعضهم بعضا فيفضل أطايب الفاكهة آخر أكلهم ومتى أكلوا ، وفضل خبث الفاكهة فهو دليل على أن أحدا منهم لم يشم لطريق الفقراء رايحة ، فامتحن بذلك من يدعى الفقر فإنه ربما يأكل الطيب ويعزم على غيره بفضل الخبيث ويكلحون .

وقد أكل سيدى محمد بن عنان والشيخ محمد المنير والشيخ محمد ابن داود رطبا فى الليل ، فعدوا نواهم فلم يزد واحد نظرا لكراهتهم لقبول الصدقه أو الهدية ، أو أكلهم منها إذا علموا أن هناك من جيران وأهل المهدى وحارته من هو أحوج إلى ذلك منهم وخوفا من مخالفة السنة ، ونقص الأجر ، لأن الشارع صلى الله عليه وسلم أمره أن يبدأ بالأقرب والأحوج ، فالأحوج فكما قصد المتصدق نفعا بصدقته أو هديته ، فكذلك ينبغى لنا نفعه بإرشاده لفعل السنة ، وإلى ما فيه كمال الأجر .

ثم إذا قبلنا شيئا بشرطه لا نقبله إلا على نية نفع ذلك الشخص أولا ، ونجعل نفعنا بحكم التبع لا بالقصد الأول .

وقد رددت بحمد الله تعالى كثيرا من الذهب والفضة خوفا من تعد المهدى جيرانه ، أو المحاجير فى حارته ، ودفعها إلى ولم أجد لذلك فاعلا من أقرانى إلى وقتى هذا إلا القليل فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كراهتهم لإقامة شيء من محبوبات الدنيا وشهواتها فى قلوبهم ؛

سواء أكان ذلك المحبوب ولدا أو زوجة ، أو مالا أو طعاما أو ثيابا ، ونحو ذلك .

ومتى أقام ذلك فى قلوبهم لحظة بادروا إلى التوبة والاستغفار ، فلا يدعون شيئاً يقيم عندهم إلا بقدر تحققهم بقبول ذلك من فضل الله تعالى.ثم يخرجونه من قلوبهم أسرع من لمح البصر .

ثم إذا بلغ أحدهم مبلغ الرجال خرج من قلبه حب كل شهوة فى الدنيا، ورأى نفسه عبداً يأكل من مال سيده ، ويلبس منه ، ويسكن داره وليس معه ملك فى الدارين .

فالحمد لله الذى حققنا بذلك ، ولذلك كنت أرد الذهب والفضة إذا اعطاهما لى أحد بسهولة ، ولو أن مولانا السلطان رسم لى بألف دينار مثلا ، فصدها عنى شخص من الحسدة ، وحال بينى وبينها فرحت لذلك ، لأنى أغار على الحق تعالى أن أملك معه شيئا ، ولو بقدر وقت القبول فقط ، وأرى فراغ اليد من ذلك أفضل ، وكلما حجرونى عن الدنيا ، وملابسها ، ومطاعمها كلما إزددت فرحا ، وسروراً .

وهذا خلق لم أجد له فاعلا من أقرانى إلا القليل ، وعليه درج كمل الأنبياء ، وأتباعهم ، وقد نقل الشيخ محى الدين الإجماع من أهل كل ملة ونحلة على أن فراغ اليد من الدنيا ، وإخراج ما كان بيده منها أفضل عندالله تعالى فالحمدلله رب العالمين ،

ومن أخلاقهم : إضافة أفعال العباد المذمومه إلى إبليس ببادى الرأى لا إلى الفاعلين لتلك المعصيه مثلا .

خوفا أن يقع لهم إزدراء لأحد من الخلق ، وإيضاح ذلك أنه لا يقع أحد فى معصية الا بوسوسة ابليس فإضافة الفعل إليه أولى لأنه منديل الدار ! تمسح فيه أوساخ النسا ، وإن كان ليس له من الأمر شىء .

وهذا خلق غريب فى غالب الناس لايكاد يوجد وأكثرهم يضيف الفعل المذموم إلى الخلق ببـــادى الرأى ، فيحتقرون العصاه ، ويزدرونهم ، ولا يكادون يقيمون لهم عذرا فى الباطن والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم مبادرتهم إلى سوء الظن بأحد من المسلمين .

وكثرة سترهم لعوراتهم التى شهدوا منهم وتحققوا فعل ذلك منهم جازاهم الله تعالى بنظير فعلهم ، فمن أساء الظن بأحد أساء الله به الظن ، ومن أكثر من ستر عوراتهم ستر الله عورته والعكس بالعكس .

واعلم ياأخى أن أحد الا يصل إلى مقام حسن الظن بالناس إلا إن كان باطنه مطهرا من سائر الرذائل إما بالفطرة ، وإما بالعلاج والرياضة ، وما دام فيه شيء من الرذائل فمن لازمه غالبا سوء الظن قياساً على نفسه .

وتأمل ياأخى من خلقه الله تعالى عنينا لاقوة له فى الجماع لو رأى رجلا يكلم امرأة فى طريق مثلا لايسيء به الظن أبدا قياسا على حاله هو بخلاف من كانت الشهوة غالبة عليه ولايترك الزنا إلا عجزا فإنه يظن بذلك الرجل السوء قياساً على نفسه .

فعلم أن من أدعى الصلاح ، وأساء الظن بمسلم ، فهو لإخلال فى كمال الصلاح ، وقد بسطنا الكلام على ذلك فى العهود والحمدلله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم مطالبتهم بالوفا بعهودهم التى يأخذونها على الناس بسلوك الأدب معهم مثلا لقضاء حوائجهم .

وعدم بدأتهم بالسؤال ، ونحو ذلك وإنما يطلبون منهم القيام بعهود رسله قياماً بواجب حق الربوبية .

فإن وفاء الحق بعهود عباده إنما هى تبع لوفائهم بحقوق ربهم ، فمن آثر القوم مثلا على عبادة ربه ، فما وفى بعهده ، فلا يعينه الحق على الوفاء بما وعد به الناس جزاء وفاقا انتهى .

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن ، والأخلاق فعلم أن من أعظم أخلاق القوم مسامحتهم بحقوقهم . وعدم مسامحتهم فى حقوق الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : محبتهم لكل شيء ينكس رؤوسهم فى الدنيا ويزيل عنهم العجب والكبر .

أما فى الطاعات فظاهر وأما فى غيرها فيرضون بتقدير الله تعالى عليهم ، ويسخطون على نفوسهم من حيث كسبها تلك المعصية .

وكان بعضهم يقول فى دعائه : اللهم أغفر لى ماجنيته من حيث كسبى ، وأما من حيث تقديرك على ، فأسألك التدبير فيه ، واللطف وفى كلام ابن عطاء الله رحمه الله تعالى : معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزاء واستكبارا يعنى من حيث الأثر لا من حيث الأصل فافهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة شكرهم لله تعالى إذا لم يجدوا لذة فى قيام الليل أو غيره من العبادات .

خوفا أن يكون الباعث لهم على تلك الطاعة ما يجدونه فيها من اللذة دون أن يكون الباعث لهم إمتثال أمر الله تعالى ومجالسته ، لأن العبادات من حيث هى تكليف لا لذة فيها إذ لا مجانسة بين العبد . وبين الله تعالى بوجه من الوجوه

وقد كان فى بنى اسرائيل عابد يقال له أبرخا كان لا ينام الليل ، فأوحى الله تعالى الى السيد داود عليه الصلاة والسلام نعم العبد أبرخا لو كان يقوم بين يدى ربه خالصا ، وإنما يقوم لما يجده فى نفسه من الأنس لا محبة فى انتهى

وأما ماورد فى الآخرة من وقوع اللذة برؤية الله تعالى ، فهى لذة غير مكيفه لا نتعقلها الان والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : الخشوع فى الصلاة وقراءة القرآن لأنهم فى حضرة الله تعالى .

فلا يكاد أحد من أهل الحضرة ينطق لغلبة الهيبة عليه

فعلم أن الجهر القوى مع الحضور مع الله تعالى للأقوياء من الأولياء بطريقه الشرعى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهود الريا فى جميع أعمالهم ، ولا يرون أنهم أخلصوا لله تعالى فى عمل من الاعمال

وفى رسالة الشيخ رسلان الدمشقى كلك شرك خفى

وفى كلام الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

إذا كان من يعمل على الوفاق لا يسلم من النفاق ، فكيف بمن يعمل على الخلاف .

وفى كلام الفضيل ابن عياض :

متى شهدوا فى أعمالهم الإخلاص إحتاج إخلاصهم إلى إخلاص

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أيضا لا يبادروا بالرقة والرحمة على من رأوه عريانا أو جيعانا بل ينظرون أولا إلى حكمة فعل الله معه ذلك

فإنه حكيم عليم ، ثم بعد ذلك يرقون له ، ويسعون فى إزالة عريه ، أو جوعه ، فإن الله تعالى أرحم بعبده من والدته والام لا تشك الدبا . بالابرة مثلا الا لمصلحة أعظم من غرز الابرة فيه

وقد مر الشيخ وياقوت العرشى على جماعة من المساكين يسألون للناس ، فبادر إلى الرقة عليهم ، فسمع قائل يقول :

لا الله أرحم بهم منك ، ولو شاء لأشبعهم ، فتب من ذلك . وتأدب مع الله تعالى انتهى

وأعلم يا أخى أنه لا بد لأهل الله تعالى من المحن ، والشدائد . ليتبين لهم صدقهم مع الله تعالى ، أو كذبهم ، فان ثبتهم الله تعالى خرجوا ذهبا خالصا وإلا خرجوا نحاسا

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

للرحمة حد فاذا أمره الله بذبح ضحيته ، فليقدم أمر الله تعالى على رحمتها وعدم ذبحها والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة قربهم الباطن من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غالب أوقاتهم

فتطوى لهم المسافات بينهم وبينه نحو ذراع ، ويخاطبونه ويسألونه فى الفقه والغامض من الاحاديث كما مر بيانه فى أوائل هذا الكتاب

وكان بعضهم يقول :

لو احتجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسى من جملة المسلمين انتهى .

كل ذلك لهم من طريق الكشف لكن يجب عرض ذلك العلم الذى حصلوه من طريق كشفهم على الكتاب، والسنة ، ولا يجوز العمل به إلا بعد عرضه عليهما ، لأنه ربما حصل للمكاشف تلبيس فى كشفه من إبليس ، والا فالكشف الصحيح لا يأتى قط إلا موافقا للكتاب والسنة ، لأنه إخبار بالأمور على ما هى عليه فى نفسه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: تعويلهم فى جميع مهماتهم فى الدنيا والآخرة على الله تعالى ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم دون بقية الخلق .

وذلك لأن الله تعالى بيده ملكوت كل شىء ، وما ثم واسطة من الخلق أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن الادب أن لا نسأله أن يشفع لنا عند الله تعالى فى جميع ما نطلبه من خيرى الدنيا والاخرة ، لكنه صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالاداب المتعلقه بالله تعالى ، ومثلنا جاهل بالأدب مع بعض العبيد ، فكيف بالأدب مع رب الأرباب

وكان سيدى على الخواص إذا كان له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة يسأل فيها أبو بكر الصديق يسأل له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فإن لم يجبه سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فإن لم يجبه سأل الحسن والحسين قلت : وإنما خص أبو بكر وعمر لانهما ضجيعاه وأما الحسن والحسين فلكونهما بضعة منه والله أعلم

وكان رضى الله عنه يتوجه بقلبه إلى أحدهم : ويعتقد أنه يسمعه ، فان أحد هؤلاء الصحابة أعظم من سائر أشياخ الطريق وإذا كان الشيخ يجيب مريده وبينه سفر سنة ، فأكثر . فالإمام أبو بكر أو الحسن مثلا أولى بذلك والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : إذا كان أحدهم يقرر فى علوم القوم ودخل عليه فقيه لا يزال له قرروا أنتم للفقرا إلا إن علم منه أن له إلماما بطريق القوم .

لئلا يقرن للمريدين حرمة طريق القوم ، فيردون عليه ، فيفتضح ، أو يجادلهم بغير علم ويمزق كتبهم وعلومهم ومن اخلاقهم أن لا يقولوا لفقيه مصطلح القوم إلا إن علموا بالقراين أن ذلك لا يورث عنده عجب وذلك يكون منهم خوفا عليه ورحمة به .

وقد دخل شخص على سيدى أبو العباس المرسى رحمه الله فصار يزاحم الشيخ فى درسه ويحاول أن يجادله ويرد على الشيخ .

فقال له الشيخ : أخرج ياعقوت ، فخرج مسلوبا من جميع ما كان معه من القرآن ، والعلم ، وصار دايرا فى ازقة البلد كل من رآه يقول له : ياعقوت إبعد عنا ، فدله الناس على سيدى ياقوت العرشى ، فشفع له عند سيدى أبى العباس .

فقال : قد رددنا عليه الفاتحة والمعوذتين ليصلى بهن ، وكان قد حفظ القرآن ، وثمانيه عشر كتابا فى العلم ، ولم يزل مسلوبا إلى أن مات كما مر تقريره مرارا فاياك ياأخى من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: إجلال بنات أشياخهم عن أن يتزوجوهن إلا أن علم أحدهم من نفسه القدرة على القيام بحقها والعمل على مرضاتها كما مر تقريره في تزويج الأشراف .

وكما تزوج سيدى ياقوت العرش ابنة شيخه أبو العباس المرسى بإذن الشيخ له فى ذلك وسؤاله له فيها مكثت عنده ثمانيه عشر سنة لا يقر بإحياءا من والدها ومنها ، وفارقها بالموت . وهى بكر . وكان إذا دخل عليه أحد من الأكابر وهو يكلمها لا يقطع حديثه معها لأجله ، ويقول : إنها ابنة شيخى فلان ، فلا تؤاخذنى يا أخى ، فيعذره ذلك الجليس ، فعلم أن من تزوج ابنة شيخه بعد موته أو بغير سؤال من شيخه حال حياته ، فهو متهور ليس عنده رائحة من الأدب مع شيخه ، فكيف يكون خليفته من بعده، وقد تقدم فى هذا الكتاب مرار نهى الفقرا أن يتزوجوا زوجات أشياخهم من بعدهم سواء المطلقة أو المتوفى عنها أو من كتب الشيخ كتابه عليها ، ولم يدخل بها وإن سبب النهى عن ذلك ماوقع للمريدين الذين تزوجوا زوجة شيخهم من الضرر والقتل فى المنام والنهى عن ذلك على التجربة لا على دليل من جهة الشارع ، وإن البعض يطلب من مريديه أن يتزوجوا زوجته من بعده ويقول : هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا أحب أن أشاركه فيها ، فلكل شيخ وجهة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهود أحدهم أن فضل الله تعالى عليه من المال وسعة الرزق إنما هو بواسطة شيخه .

فإن كان أحدهم بخيلا فى ماله وكان شيخه لم يطعم الطعام على عادة الفقراء ، وهذا أمر يقع فيه كثير من الفقر فيرى أحدهم : الخمسة أكبر حالا من شيخه أو أكرم منه ، وغاب عنه أنه محبوس فى دائرة شيخه لا يصح له استمداد من غيرها فى علم أو عمل أو رزق مادام شيخه يترقى ، فلا يتسع حال مريد إلا من اتساع حال شيخه ، ونفس الأمر ، وإن لم يظهر للمريد ذلك ، ولا يلحق درجة ، شيخه إلا إذا حصل لشيخه سلب ، أو وقفه ، وخروج عن الطريق .

وكذلك الحكم فى الشيخ الآخر مع شيخه هو محبوس فى دائرته إلى أن ينتهى الامر إلى دائرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدًا لامن تقدمه ، ولا من تأخر عنه ، ولا يتعدى كشف ولى دائرة كتاب فقيه ، ووجيه أبدا .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: إطعام الطعام وافشاء السلام وسق الماء وإغاثة الملهوف .

ولا يمتنعون من تقديم الكسرة اليابسة للضيف وإن لم يجدوا إلا الماء أسقوه له فكل فقير ادعى أنه من أهل الطريق ، وأخل بهذه الآداب ، فهو ناقص عند الناس ، وأما عند الله ، فقد يكون الحق تعالى جعله من أهل حضرة الإسم المانع شفقة عليه أن يخطر فى باله أن له فضلا على أحد من عباد الله فى الدنيا والآخرة .

وقد يكون ذلك الفقير من أهل الكشف ، فلم ير لذلك الضيف عنده رزقا قسمه الله له .

فإياك ، والمبادرة إلى الانكار على فقير لم يطعم الضيف ، ويقول :

ماجبل ولى الله تعالى إلا على السخاء ، وحسن الخلق ، فإنه مامن عام إلا يصح أن يخص ، فإن السخاء راجع إلى القلب ، وكل من حق له قدم الولايه لا يمنع أحدا من طعامه عن بخل ، ويود أن لو قسم الله للخلق على يديه شيئاً فيطعمه لهم ، فهذا سخى ، وإن لم يطعم أحدا شيئا فافهم والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن لا يطلب أحدهم منزلة هي أعلا من منزلته.

وهذا هو أحد الأوجه في معنى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنو لاتقدموا بين يدى الله ورسوله » الآيات.

أى لاتحدثوا نفوسكم بطلب منزله فوق منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من محاسن الآداب إلى أدب الله تعالى بها الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمور خصوصياته .

وكذلك يجب على المريد مع شيخه كذلك فلا يطلب منزلة فوق منزلة الشيخ ويتأدب معه فى كل أمر من الامور ويراعيه فى جميع خصوصياته وعمومياته لايرفض له طلبا ولايتعاظم عنده فى مسألة فيسىء معه المقام ، فيسىء الأدب .

كما لايجب أحدا من المقر بين أن يشارك الحق فى مسمى مقام من المقامات العاليه ، وبذلك يظهر للمريد الجواهر التى فى قلب شيخه على لسانه الموضع أدبه .

وحكم العكس بالعكس ، فلو أراد الشيخ أن ينطق لمن أساء معه الادب بشىء من المعارف بل ينعقد عليه لسانه ، لعدم استحقاق المريد لذلك .

وكان سيدى على المرصفى رحمه الله يقول : من أعذب أدب المريد أن يتمنى أحدهم لشيخه المقامات العالية لينالها منه بحكم الإفاضه ، وهناك يعطى الله المريد فوق ماتمنى ، لشيخه مع قيامه بأدب الإرادة .

وقد كان الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه يقول : قال لى مالك رحمه الله :

يا محمد اجعل عملك ملحا ، وعلمك دقيقاً ، وفى رواية علمك ملحا انتهى.

وقد أجمع أشياخ الطريق على أن أحداً لاينال الرتب الرفيعة إلا بقيامه بالادب مع الوسايط ، فمن أساء الأدب معهم فهو بعيد من حيث يظن القرب ، ومردود من حيث يظن القبول .

وقد بلغنا أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لما نزل قوله تعالى :

« لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ، وأنتم لاتشعرون » :

كانوا يتكلمون بحضرة سيدنا رسول الله عليه وسلم همساً ، وكان عمر إذا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفض صوته ، فلا يسمع أحدا كلامه ، حتى يستفهم ، وحلف أبو بكر أن لايكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخى السرار .

فعلم أن كل من رفع صوته على شيخه ، فقد ألقا جلباب الحيا ، والوقار ، والحرمة ، وكان الصوفيه فيما مضى كان إذا مرض أحدهم ، وطلبوا له العرق يطلبون من شيخه أن يحضر لزيارته ، فبمجرد مايحضر الشيخ يعرق المريد من هيبته وما ذلك إلا من شدة إحترام المريد لشيخه وقد حدث ذلك للسهروردى مع عمه وشيخه .

وكان سهل بن عبد الله رحمه الله يقول فى معنى قوله تعالى :

« لاتقدموا بين يدى الله ورسوله » الآيات

أى لا تخاطبوه صلى الله عليه وسلم الامستفهمين ، ولا تبدؤه بالخطاب ولاتجيبوه إلاعلى حلول الحرمة ، ولايغلظوا له فى الخطاب ولاينادوه باسمه يا أحمد يامحمد كما ينادى بعضكم بعضا ، ولكن فخموه ، واحترموه ، وقولوا .

يانبى الله يارسول الله

وكذلك ينبغى للمريد أن يفعل مع شيخه كذلك ، فيقول : ياولى الله أو يامولانا ونحو ذلك ، لأنه نائب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إرشاد الأمة إلى طريق الهدى . وإذا سكن الوقار قلب المريد علم اللسان كيفية الخطاب انتهى .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

ينبغى للمريد أن يتأدب مع شيخه ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأدبون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الشيخ باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ينصح المريد إلا بما ينصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فمن اعتمد على نصح شيخه ، فكأنه كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبل منه نصحه ، ومن قام بواجب أدب شيخه دخل فى ثناء الله عز وجل على الصحابة بقوله تعالى « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » أى اختبر قلوبهم . واستخلصها كما امتحن الذهب بالنار ، فيخرج خالصه

وكان الجنيد رحمه الله تعالى يقول :

مما أدب الله به الصحابة اذا كان لهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة أنه لا ينادوه من وراء الحجرات ، ولا يدقون عليه الباب بل يصبروا ، حتى يخرج إليهم ، وكذلك المريد مع الشيخ لا ينبغى له أن يناديه من خلف باب داره أو خلوته ، ليخرج إليه بل يصبر ، حتى يخرج اليه الشيخ ومع بطئ بحسب صدق المريد .

وبلغنا عن الشيخ عبد الحليم بن مصلح رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا جاءه فقير زائر أو علم به قام إليه ، ويفتح له جانب الباب ، ويصافح الفقير ويسلم عليه ولا يجلس معه بل يرجع إلى بيته أو خلوته ، وإذا جاءه أحد من أبناء الدنيا يخرج إليه ، ويجلس معه ، فقيل له فى ذلك فقال : أنا لا أجلس

مع الفقير لأن رابطتنا مع الفقراء قلبية فهى سبيل الحـــديث بيننا . وتقنع هذه العلاقات هذا القدر من الظاهر . وأما أبناء الدنيا ، فهم واقفون مع العادات ، والظاهر وليس بيننا وبينهم رابطة قلبية . ومتى لم نوف لأحدهم حقه مع الظاهر استوحش . فلو كان هذا المريد الذى اعترض على الشيخ بقلبه صادقا ، لألهمه الله تعالى هذا الجواب الذى أجاب به الشيخ عن نفسه ولم يحوج الشيخ إلى جواب .

وسمعت سيدى عليا المرصفى رضى الله عنه يقول :

ينبغى لكل مريد إذا أشكل عليه من حال شيخه أن يتذكر قصة السيد موسى الخضر عليهما الصلاة والسلام ، ويتأمل كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها عليه موسى . ثم إذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره : ومن هنا تعلم أن كل ما ينكره المريد على الشيخ إنما هو لجهله بحقيقة ما الشيخ فيه ، فإن للشيخ فى كل شىء عذرا بلسان العلم والحكمة

وقد كان الجنيد رحمه الله إذا ألقى على أصحابه علما ، وأشكل على بعضهم يقول :

فإن لم تؤمنوا لى ، فاعتزلون .

وكان الشيخ عمر السهروردى رحمه الله يقول

من أدب المريد أن لا يجلس على سجادة بحضرة الشيخ الا للسجود عليها فى الصلاة ، لأن من شأن المريد التبتل للخدمة ، وفى الجلوس على السجادة إيماء ، إلى الاستراحة ، والتعزز ، وكذلك من أدبه أن لا يتحرك للسماع بحضرة الشيخ إلا إن خرج عن حد التمييز ، ومن كان يهاب شيخه منعته هيبته عن الاسترسال فى السماع ، وكذلك من أدبه مع شيخه أن لا يكتمه شيئا من أحواله ، ولو مما يستحى منه عادة ، فإن شاء تصريحا وان شاء تلميحا ،

فإنه متى كتم المريد عن الشيخ صار على باطنه عقدة لا تنفك ، ولا يحل تلك العقد ، إلا ذكر ذلك الشيء وحكمه فيه أن يخبر شيخه بذلك الشيء فيقرر له الحكم ، والعقوبات

ويحتاج المريد إلى تحصيل مقام المحبه الصادقة للشيخ حتى يستطيع أن يمر بمرحلة ، كما يخبر الطبيب ، ومالم يحصل له مقام المحبة فإن حاله يكون الكتمان غالبا

وكان سيدى عبد الحليم بن مصلح رحمه الله تعالى يقول لمن أحب المريد :

أن لا يقدم على مشاورة شيخه على أمر ديني أو دنيوى إن تبين له من حال الشيخ أنه مستمد له ، والسماع كلامه ، فكما أن لسؤال الله تعالى الذى هو الدعاء شروط ، وأوقات ، فكذلك لسؤال . الشيخ ، فإن الأدب مع الوسائل يرجع الى الأدب مع المقاصد

وكان سيدى عبد القادر الجيلى رحمه الله يقول :

ماسألت شيخى قط عن مسئلة ، حتى سألت الله تعالى أن يلهمنى الأدب مع شيخى ، والألفاظ التى تناسب خطابه ، وكثيرا ما كنت أتصدق قبل أن أناجيه رضى الله تعالى عنه ونفعنا به عملا بقوله تعالى « إذا ناجيتم الرسول ، فقدموا بين يدى نجواكم صدقه » فان الشيخ واسطة بين المريد وبين الله تعالى بحكم النيابة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : العمل على تحصيل مقام التواضع الخالص بحيث يصل أحدهم إلى موضع حد لايصير يخطر فى باله أن له حقا على أحد من خلق الله تعالى ، ولا أنه أهل لأن يقصد لتفريج كرب أحد من الخلق بل يرى نفسه أكثر ضرراً من الثعبان أو الكلب العقور .

وكان الدقى رحمه الله يقول :

من وظيفة الشيخ وحسن أدبه مع أهل الارادة والطلب أن ينزل من من حقه ، فيما يجب له من التبجيل ، والتعظيم الذى يكون للأشياخ عادة ، ويكثر من التواضع للمريدين ليقبلوا على الاستماع لهم فيما يرشدهم إليه من الخير قال : وقد كنا فى مسجد بمصر جلوسا ، فدخل أبو بكر الرقاق ، فقام عند اصطوانه يتركع ، فقلنا نصبر عن السلام عليه ، حتى يفرغ من صلاته ، فلما فرغ جاء هو إلينا فسلم علينا ، فقلنا كنا نحن أولى من الشيخ ، فقال : ماعذب الله تعالى قلبى بمثل هذا قط ولكنى أخاف أن يظن بأنى أحترم وأقصد انتهى والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : إذا رأى أحدهم من بعض المريدين سوء أدب أو علم بحاله أعوجا جا بدعوى أو مداخلة عجب ونحو ذلك

أن لا يصرح له ذلك بل يتكلم على الأصحاب ، ويشير الى المكروه الذى علمه من ذلك المريد ، ويكشف عن وجه المذمة لذلك الشخص على وجه الاجمال ، فيحصل لكل واحد الفايدة والمفصح من غير تصغير وجه أحد ؛ وذلك أقرب إلى المداراة ، وأكثر أثرا فى تأليف القلوب .

وقد بلغنا أن عمر بن الخطاب شم من أهل مجلسه ريحا ، فقال : عزمت على من أخرج هذا الريح إلا قام ، فتوضأ فقال له جرير بن عبدالله البجلى : أو نتوضأ كلنا يا أمير المؤمنين ، فقال : توضئوا كلكم ، وأعجبه ذلك من جرير لما فيه من الستر لمن أخرج الريح

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

ينبغى للشيخ إذا رأى من المريدين تقصيرا فى الخدمة أن يحتمله ، ويعفو عنه ، ويحرضه على الخدمة لإخوانه مطلقا من غير عنف ، ولو تكرر ذلك التقصير من المريد فى اليوم الواحد مرات

وقد ورد أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

يارسول الله كم أعفوا عن الخادم ؟

قال : كل يوم سبعين مرة

وأخلاق الفقرا تابعة لأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم أحق من عمل بسنته لعدم شواغلهم الدنيوية غالبا

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

ينبغى للشيخ أن يكتم سر المريد كما يكتم المريد كذلك سر شيخه ، فلا يعلم بذلك إلا ربه ، وشيخه أو ربه ومريده .

وقد قالوا : أصل إذاعة الإسرار ضيق الصدر ، وأصل ضيق الصدر ضعف العقل انتهى وأيضاح ذلك أن ابن آدم فيه قوتان وكلاهما متشوق إلى الفعل المختص به ولولا أن الله تعالى وضع فى النفس حب إظهار ما عندها ما ظهرت الأسرار ، فالكامل فى العقل هو من حرص على الكتمان ولذلك كان من شأن الأشياخ عدم إذاعة الإسرار رضى الله عنهم فاعلم ذلك يا أخى وأعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم :

صحبة الأخيار دون الأشرار ما داموا قاصرين من بلوغ مقام الكمال فإذا بلغوا ذلك أمروا بصحبة الأخيار والأشرار.

وأما الأخيار فظاهر وأما الأشرار فلكى يستقيم عوجهم إذا صحبوهم .

وقد تقدم أن الله تعالى أوحى إلى السيد داود عليه الصلاة والسلام ، لما نفر من مجالسة عصاة بنى إسرائيل ياداود المستقيم لا يحتاج إليك ، والأعوج نفرت من مجالسته ، فلم إذا ارسلت انتهى .

ولكن يحتاج من يصحب الناس فى هذا الزمان إلى علم وافر وعقل عظيم وسياسة تامة وإلا حصل له غاية الأذى ، وربما ظن كل من المتصاحبين أنهما اصطحبا لله تعالى ، والحال أن ذلك لغير الله تعالى ، ولذلك قالوا : لا يفرق بين الصحبة لعلة الجنسيه إلا العلماء الغواصون على دقائق النفوس، فقد ينفسد الإنسان بصحبه أهل الدعوى للصلاح أكثر مما ينفسد بصحبة أهل الفساد ، ووجه ذلك أن الإنسان يعرف فساد أهل الفساد ، فيأخذ حذره منهم . وأهل الصلاح غره صلاحهم ، فمال إليهم لجنسية الصلاحية ، ثم حصل بينهم استرواحات طبيعية جبلية حالت بينهم،وبين حقيقة الصحبه لله تعالى ، واكتسب من طريقهم الفترر فى الطلب ، والتخلف عن بلوغ الارب فليتنبه الصادق . لهذه الدقيقه ، ولهذا رجح طائفة من السلف الصالح العزلة ، والخلوة على الصحبه ، وقالوا : إن العزلة أكثر فائدة منهم سيدى إبراهيم بن أدهم . وداود الطائى ، والفضيل بن عياض ، وسليمان الخواص .

ولما قدم إبراهيم بن أدهم بلد إبراهيم الخواص قالوا له :

ألا تلق إبراهيم بن أدهم ؟

فقال : لأن ألق سبعا ضاريا أحب إلى من أن ألق إبراهيم .

قالوا: ولم ؟

قال : لأنى إذا لقيته أحسن له كلامى ، وأحوالى ، وفى ذلك مالا يخفى من الفتنة انتهى .

وهو كلام من عرف نفسه ، وأخلاقها ويؤيده حديث « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعاب الجبال ، ومواقع القطر يفـــر بدينه من الفتن » وفى القرآن العظيم حكاية عن السيد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام « واعتزلكم وماتدعون من دون الله » فاستظهر بالعزلة على قومه وكان أبو بكر الوراق يقول : من عهد السيد آدم صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا من اعتزل من جانب الناس كان الى السلامة أقرب .

وسمعت سيدى عليا الخواص يقول :

قد تكون المخلطة فائدة أكثر من العزلة والخلوة ، لأن الخلطة تفتح مسام الباطن ، ويكتسب الإنسان بها التمرن على حسن الخلق ، ويطلع على علم الحوادث ، والعوارض ، ومن منافعها أيضاً التعاضد ، والتعاون على الخير وتقوية قصور القلب ، واسترواح الأرواح بالنسام .

وفى الحديث « المؤمن كثير بأخيه » وتأمل الأصوات اذا اجتمعت كيف تخرق الاجران وإذا انفردت كيف يقصر مداها .

وكان سعيد بن المسيب وعبد الله بن المبارك لا يرون العزلة . ويقولان إن الله امتن على المؤمنين بالتآلف فقال تعالى : « وألف بين قلوبهم » وقال النبى صلى الله عليه وسلم « المؤمن ألف مالوف وإن أحبكم إلى الله تعالى الذين يألفون ويؤلفون » فتهى .

وقد سألت سيدى عليا الخواص عن : الفرق بين العزلة والخلوة ؟

فقال : الخلوة تكون عن الأغيار الذين يشتغلون عن الله تعالى ، والعزله تكون عن النفس ، وما تدعوا إليه .

فقلت له : فإذا الخلوة كثيرة الوجود ، والعزلة قليلة الوجود ؟

فقال : نعم لأن التباعد عن النفس عسر جداً ويفرق أيضاً بأن العزلة ليس من لازمها الاشتغال بالله بخلاف الخلوة انتهى .

وكان سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى يقول : إذا بعد الفقير عن الناس خرج عن وصف كون المؤمن ألف مألوف والحال أنه أولى بمقام الألفه ، لأنه إذا اعتزل عن الناس صفه نفسه ، واشتاق الناس إلى رؤيته ، فألفوه أكثر من المخالط ، وأصل الائتلاف إنما هو بالأرواح لحديث « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف » انتهى .

فعرف مما قررناه أنه لا يقال العزلة أفضل مطلقا والخلطة أفضل مطلقا فربما تكون الخلطة بهواء نفس ، والعزلة تكبرا عن الخلق .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

إذا أردت صحبة إنسان أو نفرت نفسك من صحبته ، فأنظر فى أفعاله ، وأقواله ، فإن رأيتها محبوبة لله تعالى فاصحبه ، وإن رأيتها مكروهة لله تعالى ، فأجتنب صحبته إلا بنية صالحة ، لكى تحبه بهواك . وتبغض بهواك ، فكم من يزعم أنه يكره لله تعالى ، وإنما ذلك لحظ نفسه ، وكذلك القول فيمن يحب .

وكان يقول : صحبة الأشرار بعضهم بعضاً أشر مايكون لأنهم يزدادون بها شراً واعوجاجا بسرقة طبع كل واحد منهما من الآخر فاعلموا ذلك أيها الأخوان وأعملوا عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا وجد أحد منهم فى نفسه وحشة من الخلق حين نفروا عنه .

أن يتفكر فى نفسه ، فلعل ذلك بمعصية وقع فيها كما قاله بعضهم .

وكان بشر بن الحارث رضى الله عنه يقول :

إذا قصر العبد فى طاعة الله تعالى سلبه من يؤنسه فتنفر منه الأشياخ إن كان مريداً ، وتنفر منه المريدون إن كان شيخاً .

وكان على بن سهل رحمه الله تعالى يقول :

من أطاع الله تعالى رزقه الأنس به .

قال : ومن الأنس بالله تعالى الأنس بأوليائه رضى الله تعالى عنهم .

وقد قال الفضيل بن عياض رضى الله تعالى عنه :

إنى لأقصر فى الصلاة فأرى ذلك فى خلق حمارى ، وخادمى ، وهو يؤيد ما ذكرناه .

وعلامة التنفير المحمود أن ينفر الناس عنه من غير ازدراء ولا احتقار له بخلافهم إذا نفروا عنه على وجه الازدرا والاحتقار ، فإنه يدل على وقوعه فى مذموم يسخط الله عليه ، فتبعه على ذلك قلوب المؤمنين غيره للحق ، وموافقة له .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان وأعملوا عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يرى أحدهم الفضل لأخيه على نفسه إذا أحبه واعتقد فيه .

وقد كان أبو معاوية الأسود رضى الله تعالى عنه يقول :

كل إخوانى خير منى .

قيل : وكيف ذلك ؟

قال : لأن كلاًّ منهم يرى الفضل عليه ومن فضلنى على نفسه ، فهو خير منى انتهى أى لأنه ما فضله على نفسه إلا لكونه أكثر تواضعا منه ، ورفعة المقام عند الله تعالى بكثرة التواضع فافهم .

وسمعت سيدى عليا المرصفى رحمه الله تعالى يقول :

قد أخل غالب الناس بآداب الصحبة وهى كثيرة ، ولكن نذكر للاخوان منها طرفا صالحا .

فمنها : أن أحدهم كان إذا وجد ثقلا من أحد من المسلمين يتهم نفسه بالنفاق ، والكبر ، يسعى فى إزالة ذلك من باطنه .

وقد كان أبو بكر الكنانى يقول : صحبنى شخص ، وكان على قلبي ثقيلا ، فوهبت له شيئا بنية أن يزول ثقله من قلبي ، فلم يزل ، فخلوت به يوما وقلت له :

ضع رجلك على خدى فإنى مغرور ، فأبى .

فقلت له : لابد من ذلك ففعل ، فزال ما كنت أجده فى باطنى انتهى .

ولما سمع الرقى بهذه الحكاية سافر من الشام إلى الحجاز ، حتى سأل الكنانى عن هذه الحكاية وسمعها منه .

ومنها : من تقديم كل من يعرفون فضله والتوسعة له فى المجلس ، وإيثاره بالموضع يكون ذلك لطف وسياسة لاسيما إن كان المعرض يحب الدنيا ويهتم بأمرها كذلك ، وليس له من المشيخة إلا الدعوة فقط ، وإن كان الواجب على من ارتكب أمرا أن ينصح غيره إذا ارتكبه فافهم .

ومنها : ترك ظهور النفس بالصولة ، لأن صولة الفقير على من هو فوقه قبيحة ، وعلى من هو مثله سوء أدب ، وعلى من هو دونه عجز .

ومنها : أن لا يصحب أحدهم أحـــدا ، ويعزم على مفارقته لادنيا ولا أخرى .

وكان بعضهم يقول : من صحب شخصا فليس له صحبة أحد بعده ، ولو كان أعلا من الأول قياما بواجب حق صحبة الأول ، فمن أخل بحق الأول لم يفلح على يد الثانى .

وكان سيدى إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول :

من قال لأخيه أعطنى من مالك ، فقال : كم تريد ؟ فما قام بحق الأخوة ؛ ومن دعاه أخوه إلى حاجة فقال : إلى أين ؟ فما قام بحق الصحبة .

ومنها : ترك التكليف للضيف فإن من تكلف لضيف كره إقامته عنده ؛ وإذا كره اقامته عنده أطعمه بغير طيبة نفس فأسا فى حقه ، وتسبب فى ظلمة باطنه ، ومن أطعمه ما حضر تساوى عنده إقامته وذهابه ولما ورد أبو حفص على الجنيد عمل له الجنيد ألوان الأطعمه ، فأنكر ذلك عليه أبو حفص ، وقال :

صيرت أصحابى كالخانيق تقدم إليهم ألوان الطعام .

فقال له : الجنيد : إنما فعلت ذلك من باب الإكرام للضيف .

فقال : شرط الإكرام أن لا يتولد منه ضرر انتهى .

ومنها : ترك مداهنة إخوانهم دون مداراتهم ، ومن الفرق بين المداهنه والمداراه أن المداراة ما أردت به صلاح أخيك ، فتداريه رجاء صلاحه ، واحتملت منه ماتكره . والمداهنه ماقصدت به شيئا من الهوى من طلب حظ ، واقامة جاه ونحو ذلك .

ومنها : أن يعزم أحدهم على أنه إن أدخلها أن لايدخلها الا إن دخل أخوه المسلم ، وإن طال الزمان فى الحساب ولو وصل الأمر إلى أن يقوم بمقاسمته فى حسناته يوم القيامة .

ومنها : أن يتدارك الأمر بالوعظ والعناية اذا وقع أخوه فى معصية أو فتنه ، حتى يتوب .

وقد قيل : ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته ، وتكلفت له إذا ورد عليك خوفا من تغير خاطره إذا لم يتكلف له .

وكان سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى يقول :

ليس بأخيك من آثر مراده على مرادك ، وليس بأخيك من أحوجك إلى الاعتذار له .

وكان الإمام جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه يقول :

أثقل إخوانى على من يتكلف وأتحفظ منه ، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى انتهى .

فاعلم ذلك ياأخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة الاعتنا بالأدب فى العبادة أكثر من اعتنائهم بها بلا أدب .

نظير ماقال العلماء فى شروط الصلاة فإن الأدب فيها شرط بصحتها عند العارفين . ويؤيد ماقلناه حديث ابن حبان وغيره ، إن امرأة جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله : ماحق الزوج على زوجته

فقال : من حقه أن لوكان به قرحة تنبجس دما وقيحا ، فاستقبلته تلحسها ماأدت حقه .

فقالت : والذى بعثك بالحق لاأتزوج مابقيت الدنيا انتهى .

فانظر ياأخى كيف أقرها صلى الله عليه وسلم على ترك التزوج مع أنه من سنته صلى الله عليه وسلم فإياك والتساهل فى الأدب إن كنت من عبيد الأجر فإن الأدب فى العبادة أرجح من نفس العبادة بلا أدب كما يعرف ذلك أهل الذوق .

وقد وقع لى أنه سبقنى ريح فى مجلس الذكر ، فاحسست بأن عورتى كشفت وذهبت لذة خطابى لله عز وجل ، فلما قمت ، وتوضأت ورجعت إلى لذة الخطاب ، ونظرت فيما فاتنى من الذكر مدة الوضوء فوجدت الوضوء أرجح منه .

فاعلم ذلك واعمل عليه تجد بركته والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حسن سياستهم للمريد المستقيم إذا حصل أنه نظر إلى جارية أو حدث .

ولا يمسكون عليه الميزان الذى كان يمسكه السلف على المريد ، فإن ذلك أمر مضى حكمه ، وانتسخ .

ومن حسن السياسة أن يبينوا للمريد أنه كما يخشى ويشقى أن يعرف واحد من المخلوقين ، فكذلك يجب عليه الحيا من نظر الله إليه ويحذرون الجارية أو الحدث من أن يجيبوه إلى ما يطلب ، ويبينون له أن ذلك الحب الذى يدعيه حبا شيطانى يورث كلا منهما المقت .

وقد سمعت سيدى عبد الحليم ابن مصلح رضى الله تعالى عنه يقول :

من أراد أن يعرف أن محبته للحدث مثلا لله تعالى ، أو لغيره فلينظر فى نفسه فإن رآها تود أنها تقبله أو تعافه لو وجد خلوة به ، أو يخطر ذلك على باله ، فليعلم أن محبته لذلك الحدث مثلا لغير الله عز وجل ، فإن من علامة المحبه لله تعالى دون حظ النفس أن لا يشتهى التمتع فى جسم ذلك المحبوب ولو بالنظر ، ومتى اشتهى تعشقا أو تقبيلا له أو أن يمس جلده بيديه ، فهو من قوم لوط ، ولا يخفى سخط الحق تعالى عليهم وخسف ديارهم ومسخهم .

وسمعته أيضاً يقول :

لم يزل القوم سلفا وخلفا يحذرون العذاب من سكان الزوايا والربط من صحبة الأحداث ، ويقولون : أن صحبة العذاب للحدث من أشر ما يفتن الشيطان به المريدين ، فإن مخالطة النسا فى الزوايا لا يمكن ولو أمكن لأمرنا المريدين بالتزويج فكان كلما تحركت شهوة النظر إلى المستحسنات نظر أحدهم إلى امرأته ، وقضى وطره لكن لما تعذر ذلك

وسوس لهم إبليس فى صحبة الأحداث ، وأن يظهر أحدهم أنه يحب الحدث لله تعالى وربما يعلم الله تعالى منه خلاف ذلك فأهلكه من حيث لا يشعر .

وسمعته مرارا يقول ، إذا رأيتم المريد يحب القرب من مواطن التهم كحب النساء والشباب فاتهموه فى دينه،وإذارأيتم الشاب الصالح يحب الرجل فظنوا به خيراً فإن الشباب يكره بالطبع من يتوهم منه الفاحشة فاعلموا ذلك أيها الأخوان وأعملوا ولا تأخـــذوا من حظ نفوسكم الخبيثةوإن ادعت نفوسكم أنها تحب حدثا أو جارية لله تعالى بل عليكم بنفوسكم فامتحنوها بشيخ قد طعن فى السن فإن رأيتم نفوسكم لاتميل إليه فهى كاذبة أما إن رأيتم نفوسكم تميل الى تقبيل يـــده والجلوس معه فهى صادقة والا فهى كاذبة والحمد الله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : أن يصفوا مقام قلوبهم .

ويصير أحدهم اذا عصا أمر قلبه عصا الله تعالى كما كان عليه الأكابر من أهل الطريق .

وسمعت سيدى علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول :

من بلغ مقام الكمال رأى خواطره المحمودة كلها رسل من الله تعالى إليه ، ومن عصا رسل الحق تعالى فقد عصاه بيقين .

وكان سيدى أحمد بن الرفاعى رضى الله تعالى عنه يقول :

بلغت إلى مقام إن عصيت قلبي غضب الله تعالى انتهى .

لكن هذا لا يسلم لكل من أدعاه إنما يقبل عن استقام قلبه من أكل الحلال ، حتى صار يستف التراب إن لم يجد حلالا ، أو يطوى الشهر وأكثر .

وسمعت سيدى عليا المرصفى رضى الله تعالى عنه يقول :

لا يبلغ العبد إلى مقام استقامة القلب ويصير يعصى بمخالفة خواطره إلى أن اطمأنت نفسه ، وتمكنت فى ذلك إذ الشيطان لا ييأس من قبول النفس وسوسته إلا إن علم أنها اطمأنت ، ووافقت القلب ، وإلا من لازمها قبول وسوسته ، وتكديرها للقلب كلما تحركت : ومعلوم أن القلب إذا تكدر طمع الشيطان فى المريد ، لعدم النور الذى كان فى قلبه يحرقه إذا قرب منه ، وما صفا قلب مريد قط إلا ، وكان قلبه محفوف بالذكر .

وكما يتقى أحدنا النار خوفاً أن تحرقه كذلك الشيطان يتقى من نور الذكر خوفاً أن يحرقه انتهى .

وسمعت الشيخ أبو السعود الجارحى يقول : فى قوله تعالى (إن الذين

آمنوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) .

اعلموا أيها الإخوان أنكم لا تنالوا صفاء الذكر والإخلاص إلا بالبعد عن المعاصي ، وبها ينفتح بابه ، فلا يزال العبد يتقي حتى يحمي جوارحه من كل فعل يجانب الشريعة ويتقي مايعنيه ومالا يعنيه حتى تصير أفعاله وأقواله كلها متوافقة لا تختلف في شيء فلا يبقى إلا باطنه فيطهر باطنه من جميع المكاره ثم من جميع ما يخالف أقواله وأفعاله اهـ .

وهذا الاتقاء بالذكر مثله مثل الكواكب في كبد السما ، وصار القلب بها محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، وهناك يبعد عنه الشيطان كل البعد وتبعد عن العبد الخواطر الشيطانية ، ولا يصير معه إلا خواطر نفسه ، وحينئذ يسعى في قطعها واتقائها بميزان العلم إذ منها خواطر لا تضر العبد كمطالبات النفوس بحاجاتها ، ومعلوم أن حاجاتها تنقسم إلى حقوق ، وحظوظ ، وحينئذ يتعين التمييز بين الحق والحظ ، واتهام النفس بمطالبات الحظوظ .

وقد كان الشيخ أحمد الرفاعي رضى الله تعالى عنه يقول :

من لم يتهم خواطره ، ويناقش نفسه في كل نفس لم يثبت في ديوان الرجال انتهى .

وسمعت أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

الخواطر رسل فإن كانت من الله وجب عليك العمل بما جاءت به ،وإن كانت من النفس أو القلب أو الروح وجب عليك التفتيش قبل الإقدام على العمل بها ، ويؤيد ذلك من طريق الإشارة قوله تعالى (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أي فتثبتوا .

وكان سهل من عبد الله يقول :

المراد بالفاسق في الآية : الكذاب كما هو معروف في كتب التفسير .

ومعلوم أن الكذب من صفات النفس لأنها على أشياء على غير حقائقها ، فيتعين التثبت عند خاطرها ، وإلقائها ؛ فيجعل المريد خاطر النفس نبأ يوجب التثبت ، ولا يستفزه الطبع ، ولا يستعجله الهوى . فقلت لأخي أفضل الدين رحمه الله تعالى :

فهل السر الذي يشير إليه القوم مرتب بعد القلب أو بين الروح والقلب.

فقال : من القوم من جعله بعد القلب وقبل الروح، فقال : نفس ، ثم قلب ثم سر ، ثم روح ، ومنهم من جعله بعد الروح ، فقال : نفس ، ثم قلب ، ثم روح ثم سر وقالوا : هو أعلا من الروح والقلب لأنه محل المشاهدة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا تصدر أحدهم لتربية المريدين

أن لا يغفل عن أمرهم بمحاسبة نفوسهم على جميع مايقع منهم من أقوال، وأفعال ، وخواطر ، فما كان من ذلك محموداً يأمرهم فيه بالشكر ، وما كان منه مذموما يأمرهم فيه بالاستغفار ، ويكون ذلك على التدريج من سدس درجة إلى درجة ثم من درجة الى عشر ، ثم من عشر إلى عشرين ، وهكذا ؛ وبهذه المحاسبة تحفظ الأنفاس ، وتضبط الحواس ؛ وتراعى الأوقات .

واعلموا أيها الإخوان أن الله تعالى ما فرق أولا :

العبادات فى الليل والنهار إلا لعلمه تعالى باستيلاء الغفلة على غالب العبيد كيلا يطول زمن الغفلة ، ويستعبدهم الهوى ، وتسترقهم الدنيا . فالصلوات الخمس كسلسلة تنجذب بها النفوس الى مواطن العبودية لذى حق الربوبية ؛ فالمريد الحاذق هو الذى يحاسب نفسه بين كل صلاتين ؛ ويسد مداخل الشيطان من الصلاة الى الصلاة بحسن المراقبة ؛ والرعاية ؛ ولا يدخل قط فى صلاة إلا بعد حل كل عقد فى القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة ؛ وحركة تكون على خلاف الشرع تنكت فى القلب نكتة سوداء ؛ ويعقـــد عليه عقده .

وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله تعالى يقول :

لا يكمل الفقير فى مقام المحاسبة لنفسه ، حتى يصير يهىء الباطن لكل صلاة صلاها لضبط جوارحه الظاهرة ؛ والباطنة عن الحركة التى لم يشرعها الحق جل وعلا ؛ ومن فعل ذلك أشرق فى كل صلاة صلاها نور على سائر أجزاء الوقت إلى الصلاة الأخرى ؛ فتصعد صلاته تامة منورة بنور وقته كما أن وقته يصير منوراً بنور صلاته .

واذا وصل المريد الى مقام المراقبة ، فلا يزال يراقب ربه عز وجل ،

حتى يصير ملاحظا للحق بقلبه فى كل لحظة ، ولفظه .

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا عليه تفلحوا ، ويصير أحدكم يتكلم الله تعالى فى جميع مايكلم به الناس من حيث لا يشعرون ان شاء الله تعالى ، كما كان عليه الإمام سهل بن عبد الله التسترى ؛ وأضرابه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : زجرهم وتوبيخهم لكل مريد استحسن شيئاً من أعماله

ولا يجوز لأحد السكوت على ذلك الا لعذر شرعى ؛ وقد أجمعوا على أن كل مريد استحسن شيئاً من أعماله وجب عليه ان يرجع الى ابتدائه ، فيروض نفسه ثانياً .

وقالوا : من لم يزن نفسه بميزان الصدق فيما له وعليه فهو مبعد عن مقامات الرجال غير قابل لها .

وأصل ذلك عدم الصدق فى التوبة فى الأول فإنها هى الأساس الذى يبنى المريد عليه كل مقام ، فكما ان من لا أرض له فلا بناء له كذلك من لا توبة له لا حال له ولا مقام .

وسمعت سيدى على المرصفى رحمه الله تعالى يقول :

لا ينبغى لشيخ إرشاد المريد الى طريق شهود عيوب الأعمال الابعد الصدق فى التوبة ؛ فنزه يا أخى مريدك عن القاذورات الظاهرة ؛ والباطنة ؛ ثم بين له عيوب الاعمال تكن حكيم الزمان ، وهكذا القول فى كل مقام لا ينبغى لك أن تنقل مريدك عنه ، حتى يحكم أمره فيه ؛ فإن بناء الجدار يتبع بعضه بعضاً ومتى بنا بناء محكم ثم بنا فوقه بناء محكما تزلزل الأعلا من المهلهل انتهى .

وسمعت سيدى محمد المنير رحمه الله تعالى يقول :

من أحكم مقام توبته حفظه الله تعالى من سائر الشوائب التى فى الأعمال فهى نظير مقام الزهد يحفظ صاحبه من سائر ما يحجب عن الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

الخاتمة الموعود بذكرها فى الخطبة وهى تشتمل على نبذه صالحة مما يقاسيه أهل الله تعالى من أحتمال الأذا من جميع الخلق أقول و بالله تعالى التوفيق :

من أخلاقهم: عملهم دائما على ازالة الموانع التى تمنعهم من دخول الحضرة الألهية فلا يصرون على مانع لحظة فى ليلة أو نهار ، وسائر الذنوب موانع لكن أعظم الموانع التكبر على أحد من المسلمين ورؤية الغنا عن الله تعالى والأشتغال عنه بما أعطاه له ، وشهود العز فى النفس فمن كان فيه خصلة من هذه الثلاث ، فهو ممنوع من دخول الحضرة بإجماع أولياء الله تعالى .

وفى كلام سيدى محى الدين فى الفتوحات :

خصلتان إذا كانتا فى عبد حرم من دخول حضرة الله تعالى مادام متخلقاً بهما وهما عز النفس وشهود الغنا .

وقال الشيخ أبو المواهب الشاذلى فى كتاب القانون :

حكم الملك القدوس أن لا يدخل حضرته أحد من أهل النفوس ، ويجمع ذلك كله شهود العبد فى نفسه أنه دون كل جليس من المسلمين فى مقام الذل ، والفقر ، وذلك هو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله عز وجل ، ولا يكفيه فى ذلك أن يشهد ذلك فى نفسه ظنا ، وإنما يكون ذلك يقينا ، وكشفا ، فإن التواضع المشهود فى العامة هو أن يرى لنفسه مقاما عاليا ثم يتنازل منه إلى الناس، وذلك من جملة الكبر عند أهل الله تعالى فإن المراد أن يرى مقامه دون مقام الخلق أجمعين ببادى الرأى على الدوام .

فإذا ارتفع مقامه شهد حقارة نفسه فى حضرة الله تعالى .

فعلم أن من رأى نفسه فوق أحد من عوام المسلمين على غير وجه حق .

فقد شرع فى البعد عن الصواب،ومن رأى نفسه دون أحد من المسلمين، فقد شرع فى ديوان الصالحين ثم انعقد إجماع العارفين على أن من كان عنده شيء من الكبر لا يصح له دخول حضرة الله أبدا ، ولو عبد الله تعالى فى الظاهر عبادة الثقلين وإيضاح ذلك أن أهل الحضرة على ثلاثة أصناف أنبياء وملائكة وأولياء ، وليس عند أحدهم شيء من الكبر بإجماع المسلمين .

وهذا الخلق قل من يتخلق به من الفقرا ، ولذلك منعوا من دخول حضرة الله تعالى ، حتى فى صلاتهم ، وكل من لم يدخل حضرة الله تعالى ، فصلاته جسم بلا روح ، كالخشب اليابس .

وكان حمدون القصار رضى الله عنه يقول :

من رأى نفسه خيراً من فرعون فقد أظهر الكبر أى لأن خاتمته مغيبة ، فقد يختم له والعياذ بالله تعالى بالكفر فيكون مثل فرعون ، فليس مراده الحالة الراهنة ، وإنما المراد النظر إلى ما يؤول إليه أمر العبد ، بحكم اليقين فى الآخرة وذلك أمر مغيب ، فليفهم .

وكان الإمام الجنيد رضى الله عنه يقول :

لا يبلغ أحد مقام التواضع الحقيق : حتى يرى نفسه أنها ليست بأهل أن تنالها رحمة الله تعالى ، وإنما رحمة الله تعالى لها من باب الفضل والمنة .

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى أول كتاب العهود ، وأول الخاتمة من كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة تحملهم للبلايا الواقعة فى أبدانهم وأموالهم وأعراضهم ويرون أنهم يستحقون أعظم من ذلك :

كمن استحق النار فعولج بالرماد ثم ان إنزال الحق تعالى البلايا بأصفيائه لا يخلوا إما أن يكون لرفع مقامهم ، أو اختيارا لهم ؛ ليريهم صدق نفوسهم ؛ فيشكروا أو كذبها ؛ فيستغفروا أو ابتلاهم ؛ وصبرهم ليقتدى الناس بهم ؛ أو تكفيرا لذنوبهم بالنظر لمقامهم ؛ فإنهم يعلمون أن الله تعالى عليم حكيم ؛ وان فعلوا فعله تعالى عين الحكمه لا بالحكمة لأن لا يكون فعله تعالى معلولا فافهم .

واعلم يا أخى ذلك واستعد للبلا إن طلبت أن تكون من أهل الله تعالى فإنه لابد لأهل الله تعالى من البلا شاؤا أم أبوا فكان الكامل منهم يدور عليه البلا كما تدور الرحى على قطبها فلا ينفك يعيش هذا البلاء وليس له بلاء اخر عاش والحمد لله رب العالمين .

ومن أخـلاقهم : إحتمال الأذى من الخلق وعدم التغير من حصول البلاء لهم .

إكتفاء بعلم الله عز وجل

فإن أنكر عليهم منكر وذلك يكون فى حالتين فإما إن كان محقا فالغيظ منه لا سبيل له لأنهم مخطئون وقد كتب فى دواوين السما قبل الأرض أن يتلفظ هذا به

وإن كان باطلا ، فالغيظ كذلك منه حمق لأنه لم يكتب فى ديوان السماء ، فلا عقوبة عليه ، فالعاقل لا يتغير من كل كلام قيل فيه بكل حال

وقد تحققت بذلك ولله الحمد ، فلم يزل يقوم لى فى مصر كل قليل جماعة بعد جماعـــة يفترون على كلاما ويشيعون أن ذلك رأوه فى مؤلفاتى ، ثم يستفتون على العلماء فيفترون بالخط الشنيع على . وأنا بحمد الله تعالى برىء من ذلك كله لكن قد حصل لى بذلك إدمان كثير ، فجزى الله تعالى كل من افترى على كذبا خيرا ، فإنى لو سجدت لله تعـالى على الجمر شكرا له تعالى ما أديت شكره على ما حصل ممن أذانى من الإدمان فالحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : قلة ضجرهم وقلة تقلقلهم من كثرة مايقال فيهم من الأذى وذلك لعلمهم كشفا أو إيمانا أنهم فى حضرة الله تعالى ، والانسان إذا كان فى حضرة حاكم عادل لا يخفى عليه ظلم الظالم فمن لازمه قلة التكدر من اذاه لأنه يعلم أنه يأخذ له حقه كاملا إن كان مشهده أن له حقا على أحدهم إكراما من عبيد الله تعالى وإن كان لا يرى له حقا على أحد منهم إكراما لمن هم عبيده أو إكراما لمن هم من أمته ، فكذلك ، فما بقى التكدر يصح إلا ممن كان محجوبا عن هذه المشاهدة ، وذلك حكم العوام لا حكم أهل الله تعالى

ومن المساعد لهم على قلة التكدر ممن ينقصهم كون أحدهم لا يطلب عند الخلق مقاما . فلو طلب أحدهم عند الخلق مقاما لتكدر ضرورة من كل من نقصه عندهم

فليمتحن الانسان نفسه ولينظر إذا حدث أن جميع أهل بلده واقليمه رموه بالعظائم حتى نفر منه الناس هل تكون نفسه راضية بعلم الله تعالى فاليعلم أنه صادق ، وإن رآها تغيرت ، فليعلم أنه كاذب فى دعواه الصدق مع ذلك ، فمن الأدب أن لا يرى لنفسه مقاما عظيما لأن ذلك مقام ابليس فإن أهل المكان العلوى والسفلى يلعنه ، ومع ذلك فلا يتغير من لعنتهم له والحمد لله رب العالمين

الخاتمة

الموعود بذكرها فى الخطبة

ومن أخلاقهم : بعد إدمانهم على تحمل البلايا والمحن

الشكر كلما أذاهم انسان فيشكرون الله تعالى الذى صبرهم على تحمل أذاه ، وجعلهم لا يشتغلون بمقابلته ثم يقيمون لمن أذاهم العذر فى نفوسهم ويقولون :

ما أذانا إلا . وهو فى غفلة عن كوننا نحن ، وإياه فى حضرة الله تعالى أو عن كوننا عبيد الله تعالى ،

أو عن كون الحق تعالى نهاه عن ذلك ،

أو عن كوننا من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

أو فعل ذلك اختباراً لنا لينظر هل تصبر على ذلك أو نتقلق منه ، فيفرح بنا فى الأول ، ويصير ربيبنا فى الثانى لإخلالنا بواجب حقه

أو مخالفتنا لأغراضه ، ونحو ذلك من المحامل الحسنة

وسيأتى عن سيدى ابراهيم المتبولى رضى الله تعالى عنه : أنه كان يحزن على موت عدوه الذى كان يؤذيه ، ويقول : مات الذى كان يحصل لنا الأجر والخير بسببه .

وهذا خلق لم أر له فاعلا من أقرانى إلا قليلا ، وغالبهم لا يقيم لمن آذاه عذرا ابدا .

فعلم أنه ينبغى لكل من قام عليه قايم أن يتطلب من الله تعالى وجه الحكمة فى ذلك ، فإن أطلعه الله تعالى عليه فذاك ، وإلا سلم لمولاه فإن الله تعالى أعلم بمصالحه منه

ولما شفعت عند الوزير على الباشاه بمصر فقبل شفاعتى ، وكان قد شفع قبلى جماعه ، فردهم تحزب الحسدة على من كل جانب ، وكتبوا فى قصصا بالتجريح ليغيروا قلب على باشاه على ، حتى لا يقبل شفاعتى بعد ذلك ، فأول ما بلغنى

ذلك بادرت إلى شكر الله تعالى ، ورأيت أن عـــدم قبول شفاعتى أريح لسرى ، وسره ، فإن من شأنه التضييق على عمال السلطان فى أخذ الأموال التى عليهم ، فلا يسعه من جماعة السلطان أن يقبل شفاعة من شفع فيهم أن يصبر عليهم ، ولا يضيق عليهم ولا يسع الفقير الا أن يشفع فيصير الفقير الباشاه فى تعب فتارة يغضب الفقير على الأمير وتاره يغضب الأمير على الفقير فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صبرهم على رميهم بالزور عند الملوك والأمراء

وعلى عمل الأعداء الحيل على نفيهم ، وإخراجهم من أوطانهم . وهذا من أعظم أخلاقهم لما سيأتى بيانه قريبا إن شاء الله تعالى

وقد بلغنا أن أهل المغرب قاموا على سيدى الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، ورموه بالعظائم فلما بدأ فى الرحيل من بلادهم إلى مصر كتبوا فيه مكاتبات لسلطان مصر بأنه سيقدم عليكم رجل زنديق يأخذ بقلوب الناس من حلاوة لسانه ، وقد أتلف عندنا عقائد كثير من الناس فأخرجناه من بلادنا . فإياكم أن تمكنوا أحدا يجتمع عليه . وإن منعتموه من سكن بلادكم حصل لكم خير كثير ، فلما وصل الشيخ أبو الحسن إلى اسكندريه ، حتى وجد البلد عملته بذكر نقايصه ، فأرسل له سلطان مصر جماعة يجادلونه فى الدين ، فوجدوه على الكتاب ، والسنه وأعلموا السلطان بأن تلك المكاتبات إنما هى من كلام الاعداء ، والحاسدين فاعتقده السلطان غاية الإعتقاد ، ثم نزل إلى زيارته من مصر ، فتلقاه الشيخ من باب اسكندرية ، فبلغ ذلك أهل المغرب ، فكاتبوه فى حقه بكلام أقبح من الأول ، وأعانهم جماعة من المغاربه باسكندرية ، أنهوا للسلطان أنه يعمل الكيميا ، فتغير اعتقاده فيه ، فوقع أن خازندار السلطان فعل أمرا يوجب القتل فخاف من السلطان وهرب إلى الشيخ باسكندرية فحل ذلك إلى السلطان فأرسل له السلطان يغلظ عليه ويقول له : تتلف على أصحابى وعمالى ، فقال نحن ممن يصلح ما نحن ممن يفسد ، ثم أخرج المملوك من مخبآه وقال له : خـــذ هذا ؛ فبال عليه فانقلب الحجر ذهبا خالصا فقال الشيخ : خذوا ذلك للسلطان يضعه فى بيت المال فاعتذر السلطان عن ما كان منه إلى الاعتقاد ثم نزل لزيارة الشيخ وطلب منه أن يعطيه المملوك ليبول له على ماشاء من الحجارة فقال الشيخ للسلطان فاعتذر لأنه فى ذلك من الله تعالى ، ولم يزل السلطان على اعتقاد الشيخ وعرض الوظايف ، والرزق فأبى ، وقال : الذى يبول خادمه على الحجر ،

فيصير ذهبا باذن الله تعالى لايحتاج إلى أحد من الخلق ، ثم أن الشيخ أبو الحسن سافر إلى الحجاز من ناحية القصير ، فمات فى الطريق فى صحراء حميثرة ، وقبره هناك ظاهر يزار ، وكذلك وقع لتلميذه الشيخ أبى العباس المرسى أن السلطان المغرب كان يعتقده كل الاعتقاد ، فوشا الفقهاء بينهما ، حتى صار ينكر عليه غاية الإنكار ، ووضع له دجاجة ميته بين دجاج مذبوح ، وقدمها إلى الشيخ ، وقال : إن كان هذا من أولياء الله تعالى ، فهو يطلعه على الدجاجة الميته ، فلما وضعوا السماط أشار الشيخ إلى الفقراء بأن لا أحد يأكل من ذلك الطعام ، وقال : إن مرقه نجس من الدجاجة الميته ، وأخرجها بعود من بين المذبوحات ، فاعتقده السلطان ، ثم مازال أهل المغرب يؤذونه ، حتى جاء إلى اسكندرية ، فعقدوا له مجلس المناظرة ، فقطع علماء مصر بالحجج ، وسلك على يديه ثلاثون قاضيا وعدوا ذلك من جملة كراماته .

قلت : وقد وقع لى من الأذى نحو ذلك من جماعه معروفين فى مصر ، فأخذوا من بعض المغفلين من أصحابى كتاب العهود الذى كنت ألفته ، وكتب عليه أئمة الإسلام من الأئمة أهل المذاهب الأربعه ، وكتبوا منه بعض كرايس ، ودسوا فيها كلاما مخالف ظاهر الشريعة وسبكوه فى أثناء كلامى حتى كأنهم المؤلف للكتاب ، ثم أخذوا تلك الكراريس ، ودخلوا بها الجامع الأزهر الذى هو قلعة الإسلام ، وقالوا للعلماء : أنظروا هذا الكتاب الذى ألفه فلان فوقعت فتنة عظيمة ، وبادر المنكرون إلى الإنكار ثم داروا بتلك الكراريس على أكابر مصر من الولاة ، والمباشرين ، وأنا لا أشعر ، فلما شعرت بذلك أرسلت لهم النسخة التى عليها خطوط العلماء كالشيخ ناصر الدين اللقانى ، والشيخ شهاب الدين وشيخ الإسلام الفتوحى وغيرهم من كبار العلماء والمشايخ المتثبتين ففتشوها فلم يجدوا فيها شيئاً من التهم والأباطيل وانتصر لى غالب العلماء بحمد الله تعالى .

وقد حدث لى أيضاً أن أشاعوا عنى أنى أدعيت الإجتهاد المطلق

وانتشر ذلك حتى صاروا نحو ثلاثين ألفا ، ثم كتبوا بذلك للسلطان سليمان
بن عثمان ، فلما وصلت المكاتبات حصل رج فى اصطنبول ، وكان هناك
سيدى أبو اللطف ولد شيخنا فدار على الوزراء والقضاه وبرأ ساحتى عندهم
ثم لم يزالوا يؤذونى إلى وقتى هذا ، ومما بلغنى أنهم كتبوا على خد باب السلطان
بقلم غليظ الشيخ عبد الوهاب سلطان البر والبحر بقصد أن السلطان يقرأ
ذلك فيتغير ، ويسأل عنى فيؤذينى فحمانى الله تعالى ممن مسح ذلك من أصحابى
ثم إن السلطان أرسل لى السلام ، ومع ذلك بساطا أصلى عليه ، وأدعوا له
وهو عندى الآن وحصل بذلك لأعدائى غاية الهم ، والغم ، فالله تعالى
يغفر لهم آمين آمين والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: كثرة تحملهم للأذى فى دار إقامتهم وعدم محبتهم الرحيل منها فراراً من الأذى .

حتى كان أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه تعالى لا يقيم إلا فى موضع الإنكار عليه ،وقد وقع لسيدى إسماعيل بمنبوبة تجاه ساحل بيلاق بمصر المحروسة أن أهل منبوبه أشتد إنكارهم عليه فطلب الرحيل عنهم فأناخ جمله وصار يضع عليه من أمتعة البيت ، ثم قال يكفينا بحمله فقال صبى صغير هناك ياعم الجمل يحمل أكثر من ذلك .فأخذ سيدى إسماعيل من ذلك معنى وقال الجمل يحمل ، ورد أمتعته التى كان أخذها للدار ، فبينما هو واقف إذ سمع قائلا يقول : يا إسماعيل قد عرفت تأبى ألعيا ولو مست من القتب واستمر فى تحمله . فأيده الله تعالى به وبكلام الصغير .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

إذا مات عدوه الذى كان يؤذيه :

ياليته بقى معنا كان يحصل لنا على يديه الخير

وكذلك سيدى محمد الشناوى . أخرجوه من بلده الحصة إلى محلة روح فكان بها إلى أن مات .

وكذلك سيدى إبراهيم المتبولى أخرجوه من متبول فدعى على بعضهم بسوادالوجه ، وبعضهم بالهيكة فلم يزل البعض الاول يلدوا أولاد أخدودهم سود والبعض الآخر الثانى يلدوا أولاداتلوط الناس فى ذكورهم ، ويزنون بإناثهم .

ولم يزل الأولياء على ذلك سلفا وخلفا تبعا للأنبيا . فى ذلك ، فما من نبى إلا وأخرج من بلده إلى غيرها ، ومات بها لكن جميع ما نقل من ضجر الاولياء من البلايا إنما هو فى بداية أمرهم ، ثم إذ ارسخوا ثبتوا للاذى ، ورأوا الفضل لمن أذاهم عليهم ، ثم سألوا الله تعالى أن لا يؤاخذ من أذاهم

لا فى الدنيا، ولا فى الآخره ، وبعضهم يصير يبتسم كلما أذوه ، ويدعوا لهم بالمغفره .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

جميع ما بلغكم من السلف من التقلق ، والرحيل من كثرة الاذى إنما ذلك كان فى مبتدا أمرهم ، وأما حال نهايتهم ، فحكم من يؤذيهم حكم ناموسة نفخت على جبل تريد تزيله بنفخها انتهى ..

وسمعته مرة أخرى يقول : إنما كان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة تشريعا لأمته صلى الله عليه وسلم ، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم ،كان يحمل أكثر مما حصل له من الأذى بل يقدر على أن يحمل أذى الثقلين لأن بداية النبوه أكمل من نهايه الولاية فافهم .

قال : وكذلك أمره صلى الله عليه وسلم حسانا أن يناضل عنه المشركين بالهجاء إنما كان ذلك تشريعا لأمته لا عدم قدرته على تحمل أذاهم انتهى .

وسمعته مرة أخرى يقول : على الولى إذا وصل إلى مرتبة القطب أن يتحمل من البلايا مالا يطيقه الجبال فإن بلاء أهل الارض كله ينزل على القطب أولا ثم ينتقل إلى الذى يليه فى القطبانيه . ثم إلى الاوتاد الأربعة ثم إلى الإبدال فلا يزال ينتقل من مرتبة إلى أخرى من أصحاب الدواير والمقامات ، ثم إذا فاض شيء بعد ذلك تحمله عباد الله من خلص المؤمنين، فربما وجد أحد ضيقا فى صدره وقد يشعر أحد الناس بالقبض يلازمه ، ولا يعرف سبب ذلك فهذا سببه انتهى وقد بينا ذلك فى خاتمة كتاب المنن الكبرى فراجعه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تمكينهم أحداً من الناس يجيب عنهم من رماهم بزور أو بهتان وهو من أعظم أخلاق الرجال .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين يحلف أصحابه أن لا يجيبوا عنه أحداً رماه ببهتان من باب الانتصار له ، ويقول :

إن كنت ولابد مجيبا فاجب من حيث أن الشارع أمرك بأن ترد عن عرض أخيك المسلم .

قال : وذلك لأنى أزعم أنى من جملة المحبين لله تعالى ، ولا بد لكل محب من الإمتحان بالبلايا ، حتى يعرف صدق نفسه من كذبها ، فمن راعى محبة ربه فنى فى جنبها كل شىء يقاسيه .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

لابد لمن يطلب أن يكون من أهل الله تعالى من وجود حاسد أو عدو يؤذيه . فإن صبر نال مقام الإمامة ، وإلا خرج نحاسا ، وتأخر قال تعالى : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا » ، وقال تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا ، وأوذوا ، حتى أتاهم نصرنا » .

قال : والنكتة فى ذلك هو أن الحق تعالى لا يصطفى قط عبدا من عباده إلى حضرته ، وهو يطلب له مقاما عند الخلق ، فلذلك يسلط الله على العبد الأذى ، حتى يصير لا يركن إلى أحد من الخلق ، فإذا تحقق بذلك اصطفاه الله تعالى ومادام يركن إليهم ويحب اعتقاده فيهم ، فهو بعيد عن مقام الاصطفا .

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله يقول :

جرت سنة الله تعالى فى أنبيائه وأصفيائه على كثرة الأذى فى مبتدأ

أمرهم ثم تكون الدولة لهم آخراً إن صبروا .

وقد بسطنا الكلام على من أوذى من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم فى كتاب المحن ، وذكرنا من قتل من الخلفاء والملوك ، والأمراء ، فراجعه، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة شكرهم لله تعالى كلما نقصهم عدو أو حاسد ورماهم بالبهتان .

لعلمهم بأنه ما نقصهم إلا بعد أن شهد علو مقامهم عليه ، ولولا ذلك ما أشغل نفسه بتنقيصهم لأنهم ناقصون حينئذ فى ذهنه .

ثم غالب ماينقص به الحاسد من فاقه فى العلم ، والعمل والجاه مثلا أمور باطنيه ، كتكبر ، وعجب ، وحسد ، وحقد ، ومكر ، ومحبة رياسة ، ونحو ذلك ، لأن المعاصى الظاهرة لاتكاد تقع من العلماء ، والمشايخ إلا نادرا ، فلو أن الحاسد رماهم بترك الصلاة أو بشرب الخمر لكذبه الناس ، وردوا عنهم أشد الرد ، فلما عجز عن إيصال الأذى لهم برميهم بالمعاصى الظاهرة عدل إلى رميهم بالمعاصى الباطنة لعلها تقبل فى حقهم .

ثم لا يخفى أن تسليط الناس على الأوليا بالأذى إنما هو تكفير لذنوبهم أو اختبارهم أو رفع لدراجاتهم لارابع لهذه الأمور وأما تسليط الخلق على الأنبيا ، فإنما هو رفع درجات لهم ، وليقتدى بهم الناس فى الصبر إذ ليس لهم ذنوب تكفر كما لنا ، ولا يحتاجون إلى الاختبار لعصمتهم فافهم .

وكان الأمام زين العابدين رضى الله تعالى عنه إذا انقصه أحد يقول :

اللهم إن كان صادقا فأغفر لى ، وإن كان كاذبا ، فأغفر له .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول : اللهم : أكثر حسادى واعدائى.

فقلت له : لماذا ؟

فقال : لأنهم إذا كثروا لم يكن لذلك معنى الا كنت فى خير ، ولو أنى كنت فى نقمة ماحسدونى .

ولكن ليس معنى ذلك عدم الانكار على الحاسد بل لابد من الانكار عليه وبيان حكم الشرع فيه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : رجوعهم إلى الله تعالى بالإستغفار كلما آذاهم أحـــد والوقوف بين يديه سبحانه وتعالى.

إذ لايصح تسليط الخلق على العبد ما دام يشهد أنه بين يدى ربه أبدا بل هو فى حماية الله تعالى من الجن والإنس وغيرهم، وإنما يقع التسليط إذا غاب عن هذا المشهد .

وقد جربنا فما وجدنا شيئاً أسرع لتسكين العدو من الامتطال بالله تعالى، وكثرة الاستغفار .

وقد غاب عن هذا المشهد كثير من الناس فدام الأذى عليهم فلا يزال أحدهم يرى نفسه مظلوما ، ولا يتذكر له ذنبا .

وسمعت سيدى محمد بن عنان رحمه الله يقول :

إذا اشتغل الناس بك ، فاشتغل أنت بربك فإن بيده زمام جميع الأمور ولا تشتغل بمقابلتهم تتعب ، ثم لا يزداد الأمر شده إ.

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

إذا بالغ أحد فى إيذائك فاسكت فإنه يرجع عنك ، ولو على طول ويخجل منك بخلاف ما إذا قابلته ، فإن الدخيره تعظم بذلك .

وقد أوحى الله تعالى إلى السيد داود عليه الصلاة والسلام : يا داود إن طلبت نصرتى لك ، فلا تبغ على من بغى عليك ، فإنى لا أنتصر إلا لمن رضى بعلمى فيه ، ولا تستبطء إجابة دعائك فى حق من أذاك ، فإنى إنما أفعل ذلك لأعاملك به إذا ظلمت شخصا ، ودعى عليك ، فإن طلبت سرعة إجابة دعائك على خصمك ، فاستعد لسرعة إجابة دعاء خصمك عليك انتهى وفى البخارى

إن شخصا من بنى اسرائيل سرق دجاجة فلما ذبحها و نتف ريشها نبت الريش فى جسده وحاول إزالته بكل حيلة ، فلما دعت عليه صاحبة الدجاجة سقط الريش :

والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : إذا أذاهم إنسان ولم يستطيعوا دفع أذاه .

أن يطلبوا النصرة لأنفسهم .

وسمعت سيدى علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول :

لا يقدح فى مقام الكمل انتصارهم بأحد من الخلق لأنهم يشهدون إنتصارهم بالخلق من جملة نصرة الله لهم من حيث أن له انفعل بالآله وبلا آله قال تعالى « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » وقال تعالى « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » الآية انتهى .

ويؤيده أنتصار الانبيا بأصحابهم كما قال تعالى « وإذ قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله» أى مع الله. فاستعمل الواسطة من غير وقوف معها ، حتى لا يعطل استعمالها وهو معتمد على الله تعالى لا على الخلق ، فعلم أنه لا يقدح فى كمال الولى الاستناده إلى الخلق مع غفلته عن كون نصرتهم له من الحق ، وسيأتى أنتصار سيدنا رسول الله صلى عليه وسلم بالانصار ، وبحسان ابن ثابت قريباً إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة رحمتهم ومداواتهم لمن يرونه مقراضا فى الناس .
فيطعمونه أحسن ما عندهم ، ويجلسونه على أوطى الفرش ، ويحلفون عليه أن يأكل أو يجلس كل ذلك حتى لا يقع فى حقهم ، فيأثم ، وخوفاً على أنفسهم أن العناية تتخلف عن أحدهم ، فيصير الآخر يقع فى عرض من يقع فى عرضه .

وهذا الخلق قل من يتنبه له من الناس ، وإن وقع أنهم أكرموا المقراض فإنما ذلك خوفاً أن يقع فى عرضهم بين الناس ، فينقص مقام أحدهم لا خوفاً على المقراض من وقوعه فى الإثم .

وقد وقع لى مع شخص من أهل الجدال أنه دخل على ، وأنا مريض ، فلم أقل له اجلس على الطراحة ، فمزق عرضى وصار يقول :عزم على عبد الوهاب عزومة محلولة مع أنى كنت فى مرض شديد ذلك اليوم،وكنت لا أقدر على فعل شىء لدرجة الفطر فى رمضان فكن يا أخى على حذر فإن عندهم لسانا يروجوا به الباطل ويطلبون من الإكرام ما ليس عند الامرا

والأكابر وقد جاءنى قاضى العسكر ذات يوم وكان فى أدب جم فطلبت منه الجلوس على الفرش فأبى وجلس على الحصير فانظر الفرق بين هؤلاء ، وأهل الدعوى من التواضع والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : كثيرة محبتهم وشفقتهم على كل من أساء إليهم أكثر من محبتهم وشفقتهم على من أحسن إليهم

فإن المحب لمن أحسن إليه إنما ينظر إليه بكثرة نفعه له

فلاشك ولاريب أن من آذاك فقد تكرم عليك فى الآخرة بدينه ، وبصالح أعماله ، وذلك أعظم من حطام الدنيا جميعه ، لكونه مكنك بأخذ حسناته يوم القيامة أو من وضع سيئاتك فوق ظهره إن فنيت حسناته كما ورد

وهذا خلق غريب قل من يتخلق به من الأقران ، وقد تخلقت بذلك ولله الحمد فأنا أجد فى نفسى الآن كثرة المحبة ، والحنو على كل من آذانى أكثر ممن يحبنى ويحسن إلى ، وصاحب هذا المشهد لايرى أحدا من الخلق مسيئا إليه أبدا ، إنما يراهم كلهم محسنين إليه ، فمن لم يحسن إليه بالإحسان العادى ، وبالغ فى ايذايه ، فهو محسن إليه بدينه ، ولايخلو أحد من هذه الثلاثة أمور

وقد كان سيدى على الخواص إذا رأى أحدا يقرض فى عرض الناس يقول له :

يا ولدى أكثر من الأعمال الصالحة لتعطى منها أصحاب الحقوق يوم القيامة

وسمعته يقول لمقراض :

لو علمت يا ولدى تحكم المظلومين فى أعمال الظالمين ما نمت الليل ، وكنت تصوم النهار ، وهيهات أن يتحصل من أعمالك شى يكفى الناس الذين وقعت فى أعراضهم

وسمعته مرة أخرى يقول :

لا يمكن أن يفرح بكثرة ايذاء الخلق له إلا من لم يطلب له مقاما فى الدنيا ، لزهده فيها وفى أهلها . وإلا فمن لازمه غالبا التكدر فإنه يكون بعيدا عن أن يفرح به انتهى والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : النظر بالرحمة على من يؤذيهم

وقد أبلغنا أن من أخلاق العارفين أنهم ينظرون بعين الرحمة والإحسان لمن أذاهم قبل من أحسن إليهم ، وذلك ليزيلوا من نفسه كل حقد وحسد حين يرى مقامهم عند الله

وهذا من أعظم فتوه تكون لهم فى الآخره ، فإن المحسن يشفع فيه إحسانه ، والمسيء ربما عاقبه الله تعالى بإساءته

وكان أخى الشيخ أفضل الدين يقابل من أذاه باللسان فقط دون القلب بقصد تخفيف العقوبة عن عدوه فى الآخرة ، لعلمه بأنه إذا لم يقابله كان خصمه الله ، ولا يخفى شدة عذاب من خاصمهم به ، وكل هذا من جملة تخلق القوم بأخلاق الله تعالى صورة ، فإنه تعالى ماذكر أنه استوى على العرش إلا بالإسم الرحمن فعمت رحمته جميع من حواه العرش إما رحمة إيجاد ، وإما رحمة إمداد ، وإما رحمة إمهال ، فالحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : عدم إتعاب سرهم فى تدبير حيلة يقابلون بها من أذاهم بقول أو فعل فإن كل كلام معنى مضمون

وربما أنساه الله تعالى له وقت الحاجة عقوبة له لتدبيره مع ربه تعالى : وهذا خلق غريب وغالب الناس إذا قام عليه عدو أو حاسد يصير يسهر يهد ، ويبنى فى الحيل طول ليله ، وقد حذرنا الله تعالى تحذيرا مطلقا من المكر بأحد من المسلمين أو من فيتنا لأحد منهم سوءا بقوله تعالى « أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض » الآية

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

من أقبح ما يقع فيه العالم أو شيخ الزاوية مقابلته بالأذى لمن يؤذيه فإنه مثله فى الأذى ، كما أشار إليه قوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » فسمى سيئة المجازاة سيئة كذلك وأكدها بمثلها ليتنبه العارف على ترك المقابلة ولا يفعل فعل أهل السوء انتهى وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى فى الخاتمة والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: إذا قام عليهم قايم يؤذيهم أن ينظروا فى السبب الذى حرك عليهم ذلك العدو لأن يؤذيهم

فإن لم يعرفوا السبب فى ذلك استغفروا الله تعالى من كل ذنب يعلمه سبحانه ، وسألوا . ربهم أن يدبرهم بأحسن التدبير وأن يسامح من قام عليهم ولو بغير حق .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

ماقام على أحد قط قائم إلا بذنب أحدثه ، ولو غفلة ، وإن كشف الله عن أحدهم الحجاب وجد الخلق الذين يؤذونه فى الدنيا إنما آذوه جزاء على أعماله كالحكم فى زبانية جهنم ، فإنهم على صورتهم ، فكما لا يسمى أحد من الزبانيه ظلمة يوم القيامه ، كذلك أهل الله تعالى لا يسمون أحداً ممن يؤذيهم فى دار الدنيا ظالما أبداً إنما يرونه كالمجبور على مايفعله بهم لكن لايخفى أنه لا بد مع هذا المشهد من نسبة الظلم إلى من آذاه فى دار الدنيا بغير حق لأجل نسبة الفعل إليه بخلاف الزبانيه لأنهم ليسوا فى دار تكليف هناك فافهم والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم: كثرة محبتهم وتعظيمهم للعالم حتى لو أنكر عليهم أمورا فى الطريق .

لأن العالم ما أنكر إلا لأنه رأى أبناء هذا الطريق مخالفون لظاهر الكتاب والسنه .

فالفقير الذى يحذر أن يكون فى أمور طريقه فعل ما يخالف ظاهر الشرع والكتاب والسنة .

أما نظر فى طريقة ولم يظهر منه شىء يخالف الكتاب والسنة وظاهر الشرع فليحذر أن يخدش حياء هذا العالم .

ومن تأمل بعين العناية لوجد جنود الله تعالى أرسلهم إليه يحذروه مما لعله يكون سببا فى مخالفة الكتاب والسنة .

فقد كان الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول :

ما أمرنى فقيه بعمل إلا وضعته فى عينى وشكرت فضله ، ولو لم أكن وقعت فى شىء ، فالفقيه مجتهد فى الفهم ، فلا ينكر إلا مالم يقبله فهمه ، فما أنكر إلا على قدر ما أدى إليه اجتهاده من أن ذلك الأمر الذى أنكره خارج عن الشرع .

فياسعادة من كان مقيما فى مثل جامع الأزهر ، وجامع الغمرى ، فإن الفقها من المجاورين فيهما لا يكادون يغادرون صغيرة ، ولا كبيره عملها إلا أحصوها عليه ، وناقشوه فيها فلا يتكدر من مثل ذلك إلا المراءى الأحمق .

ثم إن هذا الخلق لا يقدر على التخلق به الامن تخلص من الرعونات النفسية ورزقه الله تعالى الإخلاص الكامل ، حتى صار لا يطلب له مقاما عند أحد من الخلق .

وفى كلام سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه يقول :

ما وقف أحد مع الخلق ، وراءاهم على أعماله إلا سقط من عين رعاية الله تعالى .

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

من علامة المخلص لله تعالى أن ينشرح لمن ينكر عليه ، لأنه نبهه بذلك الأمر على أن يأخذ حذره عن الوقوع فيه ، ومن شأن العاقل أن يهرب من فعل كل شىء أنكروه عليه ، فالواجب على من نبهه أخوه على نقص أن يشكر فضله على ذلك ومتى تكدر من نصحه فهو من عدم الإخلاص فإن المخلص لم يزل يخاف من أن يكتب مع الأئمة المسلمين لعدم عصمته فربما تمادى على فعل يخالف ظاهر الشريعة فتبعه على ذلك جماعة فإذا وعظهم فى ذلك عالم أنكروا عليه واعتقدوا ذلك .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

على كل من تصدر للمشيخة بين المريدين ووضع بين يديه أمر الطريق أن يحذر من مخالفة الشريعة ، وإن وقع فى مخالفتها فيجب عليه إذا نصحه عالم أن يعلم الناس بذلك ولا يصر على المخالفة فإن ذلك يؤدى إلى الخسران المبين وضياع الطريق فيرتع فيه الشيطان .

وقد حكى القشيرى رحمه الله تعالى يقول :

أن أبا عثمان المغربى كان يعتقد شيئا من الجهة فلما تاب نادى فى أصحابه قد أسلمت إسلاما جديداً فرجع أصحابه كلهم عن ذلك انتهى .

فاحبب يا أخى علماء الشريعة ، وجاورهم وخالطهم تفز بمعرفة الطريق

المستقيم ، وأما قول سفيان الثورى وذى النون المصرى والفضيل بن عياض إياكم ومخالطة الفقهاء فإنهم إن أحبوكم مدحوكم فغشوكم ، وإن بغضوكم جرحوكم بما ليس فيكم وقبل ذلك منهم فمحمول على من لم يكن مشهده ماذكرناه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : مبادرتهم للشكر إذا نقصهم منقص عند الأكابر من الملوك والأمرا كما يشكرون الله تعالى إذا كبر وهم عند الأكابر ومدحوهم .

بل أعظم لأن السلامة مقدمة على الغنيمة ، والسلامة هى نفرة الأمرا من الفقير فإن كثرة محبته لهم تورثه الركون إليهم ، ولا يسلم أحدهم من الظلم غالباً فيصير يركن بقلبه إلى الذين ظلموا ويخالف قول ربه فى قوله تعالى « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار » الآيه .

وقد تخلقت بهذا الخلق ولله الحمد فإنى لما طلعت إلى الباشاه على الوزير فى شفاعة قام لى وأجلسنى على كرسيه ، وكنت قد خلعت نعلى خارج فرشه فأمر بإحضاره وأخذه فى يده ، فألبسه لى فى رجلى بيده وسمع بذلك الحسدة فتقطعت قلوبهم من الغيظ ، ثم شرعوا فى حيلة تنفره منى فكتبوا فيه : أنى شيطان نصاب ومعى أسماء أقرؤها على الولاه فيخضعون لى دون إرادة ، وكان الباشاه يقرأ القصة تلك وهو ساكت فلما انتهى من قراءته أخذوا يذمون فى ويقدمون له أكاذيب أخرى حتى ندم على ما كان فعله معى من التعظيم والإكرام ولم يعرف حالى ، فبلغنى ذلك ، فخررت لله ساجداً على تلك النعمة حيث لم يجعلنى أركن إلى الأكابر أنى انشرح صدرى فعلمت أنى تخلقت بهذا الخلق يقيناً ولو أنى لم ينشرح صدرى لعرفت أنى غير فتخلق بهذا الخلق ولتكدرت ضرورة ، ثم إن الباشاه أرسل إلى السلام والقصه وقال : إنى أعلم أن كل صاحب نعمة محسود ، وإن العالم له عدو والشيخ له عدو ، والباشاه مثلى له عدو ، وقول العدو لا يسمع فى عدوه انتهى .

فالعاقل من يجد المنقص له عند الأمرا أربح لسره عندهم ممن يكبره عندهم ، فالواجب عدم التكدر منه لما حصل لنا على يده من الراحة ؛ وإن لم يقصد هو ذلك وقد مر بسط ذلك مراراً فى هذا الكتاب فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة صبرهم على أذى جارهم .

لا سيما تخاصم النساء مع بعضهن فإن الأذى يطول لكثرة منهن بالباطل من غير تحقق ، ولا تحرير وربما سمع كل زوج من زوجته ، فصدقها ، وكذب خصمه ، فتنتقل العداوة بين الرجال ، ويصل الأمر إلى الشكوى إلى الحكام .

فأعلم يأخي ذلك واصبر على أذى الجار وكل من أذاك بشيء ، وقل الحمد لله الذى لم يكن ذلك أشد من هذا الاذى ، واياك أن تشتكى الزوجة إلى زوجها ، أو الأخت إلى اختها أو أخيها ، أو الابنة إلى أبيها ، وبالعكس إلا إن كنت تعلم خروج من اشتكيت اليه عن حكم الطبع وإلا فمن لازمه المجاملة عن أخيه ، أو زوجته . أو من يلوذ به لميل كل واحد منهما الى صاحبه بالطبع لا بحكم محبة الايمان ، والطبع الروحانى لاسيما نساء المجاورين فى الزوايا اذا كان الأزواج فى جمع واحد ، فليس شيء أنفع لهم من الصبر والمخالطة لبعضهم بعضا بجميع صور المحبة ، والضبط على كل ما يسمع وتبليغه لكل اذ ان فليس كل ما يسمع يقال فأعلم ذلك أيها الفقير واعمل به والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صحبة أبناء الدنيا لغير عرض دنيوى

فليزهد الفقير فى الدنيا . ليصير يصحب أهلها لغير غرض دنيوى والا فمن لازمة محبة من يجلب ابناء الدنيا اليه ، وكراهة من ينفرهم عنه لا سيما فى النصف الثانى من القرن العاشر الذى تكالبت النفوس فيه على الدنيا ، وصار كل من بيده شيء من الدنيا عدوا لكل من ليس معه شيء منها إن لم يقسمه بينه ، وبينه فلا من معه المال يتمم مامعه . ولا السائل يرجع عنه بالأذى

وقد كان السلف الصالح اذا طلب منهم انسان الصحبة يقولون له : هل تطيب نفسك بمقاسمتنا لك فى مالك ! فإن قال : نعم صاحبوه . وان قال : لا قالوا له : اذهب بسلام

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنن الكبرى فراجعه والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: محبة كل من طلبوه لصحبتهم فأبى لأنه أعتقهم من تعب الصحبة وحقوقها .

فان من حقها أن لا يميز نفسه على صاحبه فى أكل ولا شرب ولا لبس ، ولا محبة ، وهذا يكاد يكون مفقودا لاسيما فى هذا الزمان .

ومن شروط الصحبة : أن يتفقد أحدهما عيال أخيه اذا سافر بالأكل والشرب ، والنفقة ، ولا يحوجهم الى القرض من أحد

ومن شروطها : أن يقاسمه فى حسناته كما سيأتى فعلم أن كل من تكدر ممن لم يصحبه فى هذا الزمان ، فهو من الجاهلين والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : كثرة تحملهم هموم إخوانهم

فتجد الفقير امتنع من ابتدأ أحد بهديه خوفا عليه من تهمة أنه ينظر الى الهديه بعين الإعتبار ، ويمتنعون من قبول هدية أحد من اخوانهم خوفا من أتهمة أنهم ينظرون إلى مافى أيدى الناس فهم يتحملون هموم المسلمين من غير أن يكون عندهم رغبة لأن يكون المتحملين عنه ذو أيادى عليهم

ووالله انى لأدخل فى هم أحد العباد فلا أتركه حتى يزول وأشعر بأن جسمى غلبه

وكثيرا إما يجتمع على هموم كثيرة فأقول : فلا تبال ياأخى ما أقاسية ، فإنى اشارك الكمل فى همومهم .

ثم لا يخفى عليك يا أخى أن مقام تحمل هموم الناس هو لكل أحد ، وإنما هو خاص بأفراد منهم كما مرت الاشارة إليه ، وصاحب هـــذا المقام لا آخذ لقمة منه قلبا ولا جسمه ، لا يكاد يأكل ، ولا يشرب ، ولا ينام . ولا يجامع ولا يضحك ولا يدخل حماما . ولا يلبس ثوبا نظيفا . ولا مبخرا حتى يزول . هم أصحابه . فحكمه حكم من مات له ولد عزيز . أو صديق حميم . فإنه لا يكاد يتفرغ لشىء مما ذكرناه وربما زال هم ، فاستقبله هموم آخر ، وهكذا كما بسطنا الكلام على ذلك فى خاتمة كتاب المنن والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : سرورهم بكثرة من يغتابهم من حيث تحكيم الله لهم فى حسناته يوم القيامة لا من حيث وقوعه فى تلك الغيبة .

فإنه يجب على العارف أن يغتم لذلك من حيث أنه شىء يكرهه الله عز وجل .

وكان سيدى أفضل الدين رحمه الله يقول :

كلما كثرت فلاحوا الامير كلما ازداد سعة فى الرزق ، وكذلك من يستغيب الفقير هو فلاحه ، فكما يزن الفلاح المشهور الخراج من المال كذلك يزن المستغيب للفقير خراجه من دينه ، وأعماله الصالحة يوم القيامة . فاللائق بمن كثرت غيبة الناس فيه الفرح لا الغم إن كان يدعى مقام الإيمان ، والتصديق بأحوال يوم القيامة . حتى كأنه رأى عين فإن من لازم من كان حاله عدم التصديق الغم لا الفرح فأعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : عدم تصديقهم فى الناس ماأشاعه عنهم البعض الآخر .

وعدم سماعهم شيئا من الإشاعة من غير ثبوت ، فان غالب الناس اليوم يكذبون على بعضهم البعض ويرمون بعضهم بأبشع التهم فهذا يجب عدم قبوله فى حق الناس وعدم السكوت عليه بل يجب التصح .

وقد كذب بعضهم فى حق بعض العلماء ، حتى أخرجه من الجامع الأزهر وأثار عليه ثائرة الناس والعلماء . فسألت الذين أشاعوا عنه هذه الإشاعة إن كان عندهم دليل أو بينة على ثبوتها . فما حاروا جوابا ، وسألت الناس أكل شيء أشيع يكون صحيحا فقالوا : لا فقلت : وكذلك ينبغى الحكم فى حق غيرك فليس كل شيء أشاعه الناس عن هذا الرجل يكون صحيحا فسكتوا ولم يحيروا جوابا ، وظفرنى الله على من أشاع بالحجة ، فرجع

فان علمت يا أخى بمن يقع فى أغراض الناس الرجوع إليك بإقامة الحجة ، فأقم عليه الحجه ، وإلا ففى المسألة تفصيل لا يخفى على من نور الله تعالى بصيرته .

وقد وقع لى أنا هذه الاشاعة مرارا ، وأنا أعلم أنى برىء مما أضافوه إلى يقينا ، ولولا ماعندى من الرحمة لمن وقع فى عرضى بغير حق ما كنت أبرأت ذمته ، ولا رضيت بجميع أعماله الصالحة فى غيبة واحدة .

فاحفظ يا أخى لسانك من الوقوع فى أعراض الناس مطلقا الا بطريقه الشرعى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تبريهم ، مما يضيفه الحسدة والأعدا إليهم من ساير النقايص الا أن يكون فيما أضافوه اليهم حد من حدود الله تعالى .

فلهم التبرى منه دون الاعتراف به لئلا يظلم أحدهم نفسه باقامة الحد عليها من غير موجب فافهم

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى لا يتكدر ممن نقصه عند أحد من الأكابر ويقول :

لا يخلوا ما نقصنى به من أن أكون وقعت فيه أم لا فان كنت وقعت فيه ، فالغيظ منه حمق ، وإن لم أكن وقعت فيه فقد قبحه فى عينى ، وحذرنى منه . فان من شأن البشر أن يظن كل واحد أن النقصان عنه حاجبا وبعدعن الوقوع فيه .

والفقراء لا يغضبون مطلقا فان الله تعالى مدح الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، وهم أحق من يتخلق بذلك ، وقد رأيت فى واقعة لوحا مكتوبا فيه جميع ما احتوت عليه طينة البشرية ، ورأيت جميع الصفات الحسنة ، والقبيحة تغرب وتشرق فى كل إنسان من الأمة ، وما خرج عن حكم ذلك إلا أهل العصمة .

وقد ذكرت فى خاتمة المنن الكبرى جميع الكلام الذى كان مكتوبا فى ذلك اللوح فراجعه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم شكواهم ما نزل بهم لأحد من الخلق

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « من يعذرنى فى رجل يبلغنى أذاه فى أهلى » . فهو تشريع لضعفاء الأمة ، فإياك أن تعتمد على نصرة أحد من الخلق لك لا سيما فى هذا الزمان الذى اشتغل فيه كل انسان بنفسه ، وبتهيئة أمر معاشه ، فلا يكاد يتفرغ لتحمل هموم غيره فيه ؛ وغاية أمر غالب الناس أن يقول لمن شكى إليه هما من دين ، أو موت ولد أو عزل من وظيفة مثلا أن يقول له : لا حول ولا قوة إلا بالله الله الله ، فيتوجع له باللسان فقط ، أو بالقلب ساعة ، ثم ينساه ، وما هكذا كان الفقراء الذين أدركناهم إنما كان أحدهم يمكث الأيام والليالى متوجها فى إزالة ذلك الكرب الذى نزل بأخيهم لا يأكل ولا يشرب ولا ينام . ولا يضحك إلا ضرورة حتى تقتضى حاجة أخيه .

والفقراء اليوم قلوبهم فارغة من هموم بعضهم نسأل الله اللطف والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : العفو والصفح عن جميع من جنى عليهم من هذه الأمة المحمدية فى مال أو بدن أو عرض

ولا يطالبون أحداً منهم بحق فى الدارين أكراما لمن هم عبيده سبحانه وتعالى ، ثم لمن هم من أمته صلى الله عليه وسلم لا لعلة أخرى من طلب ثواب أو غيره لأن همتهم قد إرتفعت عن مثل ذلك . وأهل هذا الخلق قد صاروا قليلا فى هذا الزمان ، ولم أر له فاعلا بعد أخى الشيخ أفضل الدين غيرى .

ولما دس الحسدة فى كتبى العقائد الزائفة وأشاعوها عنى فلا يعلم عدد من استغابنى فى مصر وقراها الا الله تعالى ، فسامحت الكل . وقلت : اللهم أغفر لهم ما جنوه وإن لم أكن أعلمهم فأنت يارب تعلمهم ، فقال بعض الإخوان : كنت صبرت عن مسامحتهم حتى تنظر حالك فى الآخرة ، فربما تكون محتاجاً إلى حسنات من أغتابك . فقلت : لو أتيت القيامة خاليا من سائر الحسنات ماعدا الشهادتين لا أرجع عما سامحت الخلق به . فانى معتمد على فضل الله تعالى لا على الأعمال ، وأستحى من الله تعالى أن أشاحح عبداً من عبيده ، واستحى من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أشاحح أحداً من أمته فيصير يشفع يوم القيامة ، ويحل المربوط ، وأنا أربطه فالحمد لله رب العالمين وقد بسطنا الكلام على ذلك فى خاتمة كتاب المنن فراجعه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تنقيص أحد من الناس فى غيبتهم بعد موتهم كما يقع من بعض الحسده .

فيتهمون المتوفى بأنه استراحت البلاد والعباد منه ويذكرون فيه من النقايص ما يمنع مدح الناس عليه من العفو والصفح والحلم .

وعا فعله أحد الشخصين اللذين دسا فى كتبى ما دسا من العقايد الزائفة والحط على الأئمة الأربعة ضد ما كنت فعلته فى كتبى ، فأشاع موتى فى جامع الأزهر ، وكتب بذلك إلى الإسكندرية ، والمحلة ، ودمياط . فأرسلت من طريق بعيده أنظر ما سبب ذلك ، فسمع شخصا من طلبته يقول : إنما فعل شيخنا ذلك ، لينظر ماذا يقول الناس فى فلان بعد موته من ذكره بالنقائص انتهى .

فحمدا لله تعالى ما ذكر الناس عنى إلا خيرا ، فلا تسل يا أخى ما حصل لذلك الحاسد من الغم ، وقد فعلوا مثل ذلك مع الشيخ برهان الدين البقاعى فأنشد وهو لسان حالى أيضاً :

ألارب شخص قد غدا لى حاسدا
يرجى ممـــاتى وهو مثلى فانى

ويا ليت شعـــرى إن امت ما يناله
وماذا عليه لو أطيــــل زمانى

نعم إننى عمـــا قريب لميت
ومن ذا الذى يبقى على الحدثان

كأنك بى انعى لديك وعندما
ترى فيه ضمت لها الأذنان

فلا (   ) يبق لديك ولا قلى
فتنطق فى مدحى بأى معان

أى لأن حجاب المعاصره وقيام الجاه للمحسود مانع للحاسد من أن يذكر عدوه بخير فإذا مات زال ذلك الأمر بل بعضهم تكثر الحسدة فيه الغيبه بعد مماته أيضاً وذلك من جملة عناية الله تعالى به لأنه إما يرفع درجاته بذلك، وأما يكفر عنه سيآته وأما ليقضى على ذنوبه السالفة ، فيخرج من قبره وليس عليه ذنب ولا يخرج بذنوب أمثال الجبال .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يحث أصحابه على كثرة الأعمال الصالحة ، ويقول لهم :

إعملوا صالحا وأكثر والمصير أحدكم يعطى منه أصحاب الحقوق التى يطالب بها يوم القيامة ، ولعل بعض الناس لا يرضيه جميع أعمالكم فى غيبه واحدة وقعتم فى حقه بها انتهى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : بعد مسامحتهم الخلق الذين أذوهم فى دار الدنيا أن يتوجهوا بقلوبهم إلى الله تعالى ويشفعون فيهم عنده تعالى .

لاحتمال أن لا يكون الله تعالى قبل مسامحتهم لمن اغتابهم مثلا نصرة لأوليائه الذين أكرموا عباده لأجله ، فلا يزال أحدهم يشفع فيمن أذاه حتى يلقى الله تعالى فى قلبه أنه قبل شفاعته فى ذلك الشخص .

ولما سامحت أهل جامع الأزهر الذين وقعوا فى غيبتى لما دس الحسدة فى كتبى مادسوا رأى الشيخ محمد التلاوى المالكى أننى راكب على فرس عالية بسرج مذهب ، ولجام مكلل بالجواهر ، وأهل جامع الأزهر كلهم يمشون خلفى ، ورأى العالم الذى كان دس فى الكتب مادس ماسك اللجام يقود فى فقال الشيخ محمد ، من هذا ؟ فقالوا له : هذا فلان راكب يشفع عند الله تعالى فيمن وقع فى عرضه انتهى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صحة مسامحتهم لمن اغتابهم .

وصدق الذى اغتاب فيهم من المتهورين والمستهزئين فإن بعض الناس يسمعون الغيبه ويضحكون ويصدقون من افترى على الفقير ويضحكهم عليه فى مجلسهم كما هو شاهد ثم بعد التصديق بعضون يحكون لكل من رأوه حاضرا معهم فى المجالس ذلك الأمر ، ويقول بعضهم إنه لا يستطيع أن يدارى ذنوبه ، ويقول بعضهم والله ما كنا نظن أن فلانا يقع فى هذه المعصية وبعض يحكى ذلك الزور كأنه ثبت عند حاكم شرعى ثم يجلس أحدهم يحكى أنه متبرأ منه وأنه كان يشك فيه .

وإنما سامح القوم من اغتابهم ومن سمع غيبة الناس فيه من ، حيث كونهم تعدوا حدود الله تعالى ، واستحقوا العقوبة بسببهم ، فلا يتمنى الفقرا أن أحدا يؤاخذ فى الدنيا والآخره بسببهم لعلو هممهم ، وكثرة فتوتهم .

وهذا الخلق قد صار غريبا فى هذا الزمان بل بعضهم لا يقدر ينظر من استغابه ، ولا فى وجه من صدقه ، ويود له دخول النار ، وذلك خلاف ما جبل عليه الصالحون والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم جوابهم عن أنفسهم حياء من الله تعالى .

فإنهم بين يديه على الدوام شعروا أو لم يشعروا فإن لم يكن ذلك كشفا كان إيمانا وفى الحديث « أن شخصاً نال من عرض أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ساكت ، فلما أطال ذلك الشخص الكلام فى عرض أبى بكر أجاب أبو بكر عن نفسه فنهض النبى صلى الله عليه وسلم قائما ، وقال لأبى بكر : كان ملك يجيب عنك وأنت ساكت ، فلما أجبت عن نفسك ذهب الملك ، وجاء الشيطان ، فلم أكن لأجلس فى مكان فيه الشيطان فعلم أن من شتمه إنسان بين يدى حاكم عادل ، فلا ينبغى له الجواب عن نفسه فى نقصه ، فهم يكرهون الجواب عن أنفسهم بين يديه تعالى إلا إن ترتب على ذلك مصلحة شرعية ، ولا يقدر على التخلق بهذا الخلق إلا من دامت مراقبته لله تعالى ولم يطلب مقاما عند غيره من الخلق ، وإلا ، فمن لازمه غالبا الجواب عن نفسه إذا انتقصه أحد خوفاً أن يسقط مقامه عندهم ، أو غير ذلك .

وعلم أن من شأنهم أيضاً أن لا يمكنوا أحدا يجيب عنهم لما فى ذلك من تحمل منته عليهم وقد يخطىء فى الجواب عنه ، وربما أجاب أحدهم عنهم فقام عليه الحسدة فأقمعوه بضد إجابته ونقلوا العداوة إليه أيضاً ، فيصير من أعداء الفقير وينضم إليهم فى عداوتهم ولذلك فإن عدم الجواب أولى كما بسطنا الكلام على ذلك فى خاتمة كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهودهم أن كل مايؤذيهم به الناس فى أعراضهم من جملة المصالح لهم فى الدنيا والآخره .

وربما كان عند أحدهم عجب بعلمه أو كبر على أحد من أخوانه، فيذكره ذلك التنقيص بزلاته السابقة ، وذلك أنفع له ممن يوجه له أحواله، ويذكره بالكمالات، فإنه يزيده عجبا وكبرا فيهلك بذلك من حيث لا يشعر .

وقد كان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله يقول :

عدو يطلعك على عيبك بتنقيصه لك خير لك من صديق يمدحك ، ويستر عنك عيوبك .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

إياك والميل والمحبة إلا لمن لقولك يسمع ، ولعلمك ينشر ، ويعمل ، فإنه ربما كان عدو لك فى صورة صديق .

وفى كلام الإمام الشافعى رضى الله عنه تعالى :

إحذر ممن يمدحك أكثر ممن يؤذيك لاسيما إن كان يبالغ فى مدحك ، ويذكرك بما ليس ، فيك ، فإنه إذا غضب كذلك يذمك بما ليس فيك فإن من لا يتورع عن الكذب فى المدح كذلك لا يتورع عن الكذب فى الذم انتهى .

وسيأتى إن شاء الله تعالى أن كثرة المصائب والمحن فى هذه الدار مما يهون على العبد تحمل أهوال يوم القيامه ، لأن كل شىء وقع من ذلك للعبد فى هذه الدار كالإدمان لتلك المصائب فانها لا تعادل الإنسان عندما يذوب قلبه وجسمه إذا شهد أهوال يوم القيامة وعندما يتقدم له إدمان فى دار الدنيا فانه يتحقق له يوم القيامه الإقدام والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شدة كراهتهم وشدة زجرهم لمن ينقل إليهم أخبار الناس الناقصة التى يستحيون أن يواجهوهم بها

وإنما زجروه لأن لا يعود إليهم مرة ثانية ثم إن أحدهم يرجع بعد ذلك على نفسه باللوم الذى تمادى ، حتى وجد الناقل له عندهم محلا لنقل اخبار الناس ، ويقول : لولا غفلتى عن الله تعالى ، وعدم إقبالى عليه، لكنت محفوظا من مثل ذلك فاللوم علىّ حقيقة لا على الناقل ، ونظير ذلك ما قالوه فى الزهد فى الدنيا من قولهم اللهم زهد الدنيا فينا ، ولا تجعلنا ممن يزهد فيها أى لأن زهدها فيهم، انما هو لعلمها شدة نفوسهم منها، فتصير الدنيا تنفر منهم بالطبع، ولو طلبوها ما جاءتهم بخلاف ما إذا كانوا ممن يزهد فى الدنيا ، فإنهم مازهدوا فيها ، حتى جاءتهم ، ومكثت عندهم ، ورأت لها محلا فى قلوبهم

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

من عقل العاقل تكذيب النمام ظاهراً، ولو علم أنه صادق فى نميمته سداً للباب فإننا جربنا إن كل من صغى إلى النمام كثرت عليه النمامون ، وجمعوا له أخبار الناس ، وأتوه بها ، وربما أشاع تلك الأخبار عن الناس ، حتى صدق النمام ، فبلغ الناس فاشتغلوا به ، وأذوه ، وكثرت اعداؤه ، ثم يتولد من ذلك الحقد فيعجز عن إزالته ، كما أوضحنا ذلك فى خاتمة كتاب المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: أن لا يتساهلوا فى سماع النميمة من بعضهم بعضا فى الزاوية فتخرب ولو على طول

بل يسدون البـاب اولا فأولا ، بإرسالهم وراء الناقل ، والمنقول عنه ، وقولهم للمنقول عنه هذا نقل عنك كيت وكيت ، وهناك يضطر للصدق فإما ان يقول أنا قلت فيكون هو الخصم وإما ان ينكر ، فيكون معه على ذلك الناقل بالتوبيخ والزجر .

وقد كان سيدى الشيخ أبو الفتح إذا جاءه شخص وقال له : إن فلانا يقول عنك كذا وكذا يقول : إذا سألته هل يعترف بما نقلته عنه أم لا ، فيخاف الناقل ، فلا يعود ينقل إليه ثانيا كلاما أبدا

وكان يقول : هذا من باب ارتكاب أخف المفسدتين

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

من طلب أن الناس لا يقولون من ورائه إلا ما يواجهونهم به فقد رام المحال ، فإن السلطان لا يصح له ذلك انتهى

ثم إن المنقول عنه إذا جاء واعترف بما قاله النمام عنه ، وطلب الإقاله ،

فمن المعروف قبول معذرته ، كما قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فى معنى حديث ، ومن أتاه أخاه متنصلا من ذنب فليقبل ذلك منه ، محقا كان أو مبطلا فإن لم يفعل لم يرد على الحوض ، ثم ينشده :

إقبل معاذير من يأتيك معتـذرا

إن بر عندك فيما قال أو فجرا

فقـد أطاعك من يرضيك ظاهره

وقـد أجلك من يعصيـك مستترا

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

لا بد للانسان من محب ، ومبغض ، ولو كان فى فضل الإمام على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فالمحب لا يذكر إلا الخير ، والمبغض يذكر العجر والبجر .

قال : ولما اختفى الإمام مالك رضى الله عنه زمن الفتنة .

قال لابن القاسم : ماذا تسمع الناس يقولون ؟

فقال : المحب لا يذكرك إلا بخير وأما المبغض فحاله معلوم .

فقال الإمام مالك : الحمد الله ما زال الناس كذلك لهم محب ، ومبغض ، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها بالذم انتهى .

وانشدنى شيخ الإسلام زكريا الانصارى رحمه الله تعالى :

أعمل لنفسك صالحا لاتحتفل .

بظهور قيل فى الأنام وقال

فالخلق لا يرجى اجتماع قلوبهم

لا بد من عليك وقال

والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : محبتهم لأن يفدى أحدهم جميع العلما والعاملين بنفسه ، ويحب أن أعداءهم يضيفون إليه ساير العيوب ، والنقايص ، ويذكرونه بساير ما كانوا يريدون أن يستخيبوا به العلماء العاملين لكونهم أهل المسامحة بخلاف غيرهم ، فقد لا يسامح أحدهم من استغابه لا فى الدنيا ، ولا فى الآخرة .

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

إنى أود أن أتحمل عن حملة القرآن ، والعلم جميع النقايص التى يرميهم بها الأعدا إكراما لسيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكونهم حملة شرعه ، وإذا جرحهم أحد صار تجريحهم مشخصا فى قلوب العوام ، فيقل انتفاعهم بالعلماء ، ويتجرؤو على ارتكاب تلك النقائص ، التى أضيفت إلى العلماء رماهم بها الإعداء ، ويقول أحدهم فى نفسه : إذا وقع فى معصية إن فلانا أكبر منك قدرا ، وقد وقع فى مثل ذلك ، فيستهين بالذنب .

وهذا الخلق قد صار عزيزا فى هذا الزمان فى خواص تلامذة الأشياخ فضلا عن غيرهم ، وقد وقع لبعض أهل عصرنا هذا أنه نسب إلى عمل الزغل ، فمسكه الوالى فتبرأ منه جميع تلامذته ، وصار أحدهم يقول : إنما كنا أصحابه من بعيد انتهى .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

كل من لم يوطن نفسه على مشاركة صاحبه فى بلاء نزل عليه ، وإلا ، فلا ينبغى له أن يصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم تكديرهم ممن رفع مقام أحد من أقرانهم عليهم

بل يفرحون لذلك، ويقول أحدهم: الحمد لله الذى جعل الناس يفاضلون بينى وبين العلماء، والصالحين، مع أنى لست بعالم، ولا صالح، ولولا أنهم رأونى بعين التعظيم ما فاضلوا بينى، وبين هؤلاء، وقد تحققت بذلك بحمد الله تعالى، فكلما فاضلوا بينى، وبين أحد من العلماء بادرت إلى الشكر، وأقول فى نفسى إنهم لولا رأونى قريباً من مقامهم ما فاضلوا بينى وبينهم، ولو أنهم رأونى بعيداً عن مقامهم لم يفاضلوا بينى وبينهم، كما لا يفاضلون بين العلماء، وآحاد العوام. فعلم أن كل من تكدر ممن فاضل بينه، وبين عالم أو صالح، ثم رجح العالم أو الصالح عليه، فهو لم يشم من رائحة الصدق، والإخلاص ريحة، ولسان حاله يشهد بأن عبادته، وزهده، وورعه طول عمره كان لغير الله تعالى، وإنه لم يكن الباعث له على تلك الأعمال طلب رضى الله تعالى عنه، وامتثال أمره، وإنما ذلك ليعظمه الناس ويرجحوه على أقرانه وهذه أدق من دبيب النمل فليتنبه شيخ النصف الثانى من القرن العاشر لمثل ذلك حتى لا يكون فى الأموات والحق تعالى ساخط عليه.

نسأل الله تعالى العافية.

وقوله فى حالة مدحه أنه أقل من تراب نعال الناس رياء ونفاق أو كان من أصحاب ذلك الممدوح زال منه ذلك التواضع بقرينة تكدره ممن رجح أحد من أقرانه عليه.

وإياك أن تقول فلان أعلم من فلان إلا بطريق شرعى كإرشاده إلى الأعلم ليقرب الطريق على الطالب، ويقيده المسائل المحررة، ونحو ذلك وإلا، فهى غيبة محرمة والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم : إجلالهم للعلماء والصالحين والأمراء والأكابر عن أن يدعوهم إلى حضور مولد عملوه

فربما كان العالم مشغولا بالعلم ، والصالح به سلس بول ، والأمير وراءه أمور مهمة تتعلق بالمملكة ، أو بمصالح الناس ، وربما حضر أحدهم ، وصار متقلقا فى غاية الكرب ، وإذا توضأ يقاسى مشقة عظيمة من الزحمة ، وغير ذلك مما ذكرناه فى خاتمة كتاب المنن الكبرى .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى لايجيب احدا إلى مولدولوكان معدودا من مشايخ العصر لاسيما إن كان الطعام مجموعا من حرام وشبهات ، كالذى يستعين فى عمل وليمته بما يأخذه من الظلمة ، والمكاسين ، ومشايخ العرب ، والكشاف وأعوانهم ، فإن ذلك من أقبح مايكون .

وسمعته يقول :

لا ينبغى لفقير أن يدعوا أحدا إلى طعامه إلا إن عمله من وجه حلال ، ولم يرتفسه بحضور العلماء ، والأكابر على أقرانه الذين دعوهم ، فلم يحضروا عنده ، وهذا الأمر قد حدث فى فقراء هذا الزمان ، فصاروا يتفاخرون بكثرة إجتماع الناس عندهم .

وقدأدركنا عدة مشايخ فما كان أحدهم يدعوا أحدا من الأكابر إلى مولده قط إنما كان يخص بطعامه الفقرا ، والمساكين ، والأرامل ، والأيتام كسيدى محمد بن عنان ، وسيدى أبى الحسن الغمرى .

وأرسل شخص من أعوان الظلمة عسلا إلى مولد سيدى بن عنان فأرجعه ، وضاق الوقت على شراء العسل ، وقالوا للشيخ : لابد من طبخ الحلو للفقراء ، فقال للنقيب : إذهب بهذه الجرار إلى الخليج وسم الله تعالى ، واملأهما عسلا

وطبخوا الحلو به تلك الليلة هكذا أخبرني بهذه الحكاية الشيخ محمد الزهار رحمه الله تعالى .

فمثل هؤلاء هو الذي يصلح لهم أن يعمل له ويجمع الناس على طعامه، وأما من يجرد الناس، ويسلقهم بألسنة حداد إن لم يعطوه ، فلا يجوز له عمل مولد. والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : رحمتهم لعدوهم الذى يؤذيهم طول عمرهم وشفقتهم عليه إذ أنزل به بلا :

لأنه لا يخلوا من أمرين إما أن تكون عداوته لهم بحق أم لا

فإن كانت بحق ، فهم يرون الشماتة به حمق ، ورعونة نفس .

وإن كانت بغير حق ، فهو مسكين مبتلى فى دينه . فالواجب عليهم رحمته، ومسامحته ، والدعاء له لا الغضب ، والدعاية عليـــه زيادة على ما هو فيه من المقت .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

لا يكمل الفقير ، حتى تكون جميع حركاته ، وسكناته مأجورا عليها ، ومن شمت فى عدوه ، فليس له فى ذلك أجر

وكان يقول أيضا : لا يكمل الفقير ،حتى يصير يشهد كل فعل وقع فى الوجود من الحق تعالى ببادى الرأى ، ومن الخلق بحكم التبع انتهى .

وقد دخل على مرة الكاشف اسكندر ، فشكى من قاضى الخانقاه ، فمات القاضى بعد ثلاثة أيام فجاء ، وقال :

ادع للقاضى بالرحمة .

فقلت له : إنك كنت أمس تشكوا منه

فقال : شخص أراد أن يؤذينى فما أقدره الحق تعالى على ذلك ، فكيف أتكدر منه ، وأشمت به ، وهو لا فعل له الا بإرادة الله تعالى ، فأعجبنى اعتقاده رحمه الله تعالى .

وتقدم فى هذه الأخلاق أن حكم الناس الذين يؤذون العبد فى هذه الدار

حكم زبانية جهنم فى الآخرة من حيث أنهم مسلطون بحسب ذنوب الناس لكن الزبانية هناك ليسوا فى دار تكليف بخلاف الناس الذين يؤذون العبد فى هـــذه الدار ، فإنهم مكلفون ويلحقهم الذم بإيذائهم الناس فمن أراد أن لا يسلط الله تعالى عليه أحد بالأذى فاليستقم فيما بينه وبين الله تعالى ، ولا يكون له سريرة قط يفتضح بها فى الدنيا ، ولا فى الآخرة ، وإلا فالبلا والأذى متوجه إليه من سائر الأعداء والحاسدين ، ثم إن البلا . والأذى يعظم بعظمة الذنب ، فمن جهل المعصية التى أتى بها ، فلينظر لعقوبتها ؛ فإن كانت عظيمة ، فالذنب عظيم ، وعكسه ، ويعفوا عن كثير قال : وما رأينا شيئاً يرد الأذى عن العبد أقوى من كثرة الاستغفار فإنه يطفىء باذن الله تعالى غضب الحق جل وعلا .

وإذا أطفىء غضب الحق تعالى ، ورضى عن العبد قل الأذى من الناس له إلا أن يكون ممن جعله الله تعالى قدوة للناس فى الصبر كما بسطنا الكلام على ذلك فى خاتمة كتاب المنن والحمد لله رب العالمين .

كان الإمام أبو العباس المرسى يقول : إذا ضاق الولى هلك من يؤذيه فى الوقت وإذا اتسعت معرفته احتمل أذى الثقلين ، ولم يحصل لأحد منهم ضرر بسببه . وكان يقول لحوم الأولياء مسمومة ولولم يؤاخذوك فاياك ثم إياك .

ومن أخلاقهم : مبادرتهم إلى إقامة الحجة على أنفسهم إذا ظلمهم ظالم .

ولا يقولون فى حكم الله تحمل العبد وهو فى أمر التقدير والله تعالى فعال لما يريد ونحو ذلك مما يشم فيه رائحة إقامة الحجة على الله تعالى .

وذلك عندهم مروق من حضره الأدب .

ثم إن هذا الخلق لا يثبت فيه إلا من تحقق بمقام العبودية ذوقا لا علما فقط . لأن العلم قد يحجب عن صاحبه إذا نزلت به نازلة بخلاف الذوق .

وقد أدركنا من أصحاب الفروق لهذا المقام جماعة كسيدى الشيخ عبد الحليم المنزلاوى ، والشيخ على البحيرى ، والشيخ شهاب الدين السبكى ، والشيخ محمد الوصيف كان اذا نزل على أحدهم بلا بادر إلى الشكر وقال :

اللهم لك الحمد الذى لم يكن هذا البلا أعظم من ذلك .

ووقع لسليمان بن مهران أنه لبس الثياب المبخرة للجمعة ، وخرج للجامع ، فصبت عليه جارية من سطوح ماء تنظيف السمك ، فعمه من رأسه إلى ذيله فقال على الفور :

الحمد لله الذى صالحنا بالماء عن النار .

وفى روايه أن الجارية صبت عليه رمادا باردا فعمته فقال :

الحمد لله من استحق النار صولح بالرماد يجب عليه الشكر انتهى .

فمثل هذا كان هذا الخلق له ذوقا ، ولولا ذلك لما قال ذلك إلا بعد تفكر .

فعلم أن إشتغال العبد بسبب من أتاه البلا على يديه جهل منه ، لأنه ما ظلمنا إلا بذنوبنا ، وإن كان عليه الوزر فى ذلك شرعا . وهذا الأمر مما يطول به حبس المجرم ، فيقول : حبسونى ظلما ، ولا لى شاكى ، ولا يكاد له ذنبا يستغفر الله منه ، فيطول حبسه ، وقد علمت كثيرا من المحبوسين

كثرة استغفارهم ربهم ، وكثره التفكر لذنوبهم التى عملوها طول عمرهم ، فيفرج الله عنهم بسرعة ، فان الحبس خزى من الله تعالى للعبد ، ولا يكون الخزى إلا من ذنب ، وكثيرا مايذنب العبد ذنبافلا يعاجله الله تعالى بالعقوبة عليه فيظن أن الله تعالى غفره من سنين والحال أنه لم يغفره بل أخره رحمة به وحلما عليه ، وماخرج عن هذهالقاعدة الاالأنبياء عليهم الصلاةوالسلام ، فقديحبس الله تعالى أحدهم تعظيماالأجره ورفعا لدرجاته كما وقع للسيد يوسف عليه الصلاة والسلام . وليقتدى الناس بصبره والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : تحمل عناء المملكة على كواهلهم وحمل الناس بقلوبهم

فإياك يا أخي أن تقول هنيئا لأهل تعالى ، فإن أحدهم يموت فى الساعة الواحدة كذا كذا مرة . فهم مستريحون فى الظاهر من أمور الدنيا متعوبون فى الباطن ، فتعبهم لا يقاومه تعب . وإن كان . ولا بدلك يا أخى من أن تغبطهم ، فاغبطهم على كثرة الطاعات وأما المؤاخذات . فاستعذ بالله تعالى من ذلك ، فإن أحدهم ربما عوقب بفعل مالا تعده أنت ذنبا

وقد قال بعضهم :

وقع لى أننى نمت مره على جنابه فى ليلة عرفة . فما كنت إلا هلكت من الغم الذى نزل على قلبى ، وصرت أتمنى الموت ، فلا أجاب ، ثم نمت ، فرأيت فى المنام أننى دخلت زقاقا لا ينفذ فتهت فيه ، ولم أهتد الخروج منه ، حتى كدت أهلك ثم أتيت بإناء فيه خمر ، فشربته وندمت فى النوم ، حتى ذاب قلبى ، وصرت أقول فى نفسى كيف تشرب الخمر فى ليلة عرفة ، فما استيقظت ، ورأيت أن ذلك فى المنام ، وفى عينى قطرة قال : لكنى بحمد الله تعالى فرحت بتلك المؤاخذة من حيث اعتنا الحق تعالى بتأديبى ، فإن الفقراء فى حجر تربيه الحق تعالى كالأب الشفيق ، ولله المثل الأعلى ، وربما ضرب الوالد ولده رحمة به وشفقة عليه ، ليرقه إلى ماهو أرقى مما هو فيه ، وربما فرك أذن ولده فركا عنيفا إذا رآه واقفا عند بحر ، وخاف عليه من الغرق ، وربما شكت الأم ولدها بالإبرة ، حتى يخرج الدم منه محبة فيه لا بغضا له لتربيه بذلك فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم زيادة المحبه لكل من أنكر عليهم وقام عليهم لاسيما العلماء .

فإنهم ماقاموا عليهم الا نصرة لظاهر الشريعة المطهره لا لحظ النفس وبغضا لهم ، ومن طبق الشريعة وجبت محبته ؛ ووجب على من خرج عن ظاهرها اللوم على نفسه ، والتوبيخ لها فإن السلطان فى هذه الدار للشريعة ؛ وما كمل أحدفى الطريق إلا، وصار يغار على ظاهر الشريعه أكثر من الطريقة ومن تكدر من القوم ممن أنكر عليه من الشريعة العلماء ، فهو جاهل بمراده صلى الله عليه وسلم ، فإن العلماء امناؤه على شرعه فقف ياأخى على ظاهر الشريعة ولاتتعدى عليها فإنه السيف القاطع بحده كل ضلال وبدعة والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حمايتهم من ظهور الحسد لأقرانهم لأن الحسد فرع من محبة الدنيا وهم قد تركوها فى بداية أمرهم فلذلك امتنع فى حقهم الحسد

وهذا الخلق قل من يتخلق به الآن ، وغالب الناس يحسد أقرانه إذا أقبلت عليهم الدنيا وأهلها لاسيما الأكابر ، والأمراء وذلك دليل واضح على أن أحدا منهم لم يدخل طريق القوم ولم يشم لها رائحة

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

من أراد إقامة الجاه والعز فى الدنيا والآخرة ، فليسلك الطريق الجيدة من زهد ، وورع ، وقيام ليل ، وكف جوارح ، وغير ذلك من أخلاق الصالحين ، فإن المحسود ماحصل له الجاه عند الملوك والأمرا إلا بعد أن تخلق بأخلاق القوم ، فاسلك يا أخى مسلكهم يحصل لك من الجاه والدنيا ماحصل لهم ، وأما حسدك لهم مع عدم سلوك طريق القوم ، فلا تزداد إلا تأخيرا ، فكلما حسدت تأخرت ، وتقدم المحسود انتهى .

وسمعت أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله يقول :

إن كنت ، ولابد حاسد الفقرا ، فاحسدهم على مجالسة الله تعالى صباحا ومساء ، فى قراءة أورادهم ، فان ذلك هو الحقيق بالحسد ، وأما مجالسة جندى من الأمراء لهم ، واعتقادهم فيهم ، فهو أقل من أن يذكر .

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى خاتمة كتاب المنن ، وذكرنا فيها أن من دخل حضرة الله زال منه الحسد جملة لأن أهلها مطهرون من ذلك ، وأن بعضهم كان يذهب إلى أن الحسد لا يزول إلا من معصوم ، وأما غيره ، فتتعطل منه صفة الحسد دون أن تزول منه . وكذلك ذكرنا أن من علامة الحاسد أنه يكرهك ،

كان الإمام أبو العباس المرسى لايثنى على مريد بين إخوانه خشية الحسد .

وينقصك ، ولايقدر على أن يصور عليك دعوى لا فى الدنيا ، ولا بين يدى
الله تعالى فى الآخرة، وغاية تصويره الدعوى عند الحاكم أن يقول: ادعى على
هذا إنه أكثر مالا مني : ويحبه الناس ويعظمونه أكثر مني ، وهذه دعوى
لاجواب لها فقال : من رأيته كذلك فأرح نفسك من مداواته فانه لا يرضيه
إلا زوال النعمة والحمدلله رب العالمين

ومن أخلاقهم : عدم تكدرهم ممن نادى أحدهم بيافاسق أو بيامنافق أو بيامرائى ونحو ذلك.

بل يرون أن من ناداهم صادق فى ذلك.

وقد كان مالك بن دينار إذا قيل له : يامنافق أو يامرأى يقول: يا أخى لقد عرفت لقبى الذى نسيه أهل البصرة انتهى

فعلم أن من تكدر ممن قال له يافاسق ، فهو مغرور . لأن الفسق لغة هو الخروج يقال : فسقت النواة إذا خرجت ، ومن خرج عن السنه المحمدية قيد شبر فى مأ كله أو ملبسه أو فى شىء من أحواله ، وعباداته ، فقد صدق عليه إسم الفسق لغة ، فأى فقير يدعى سلامته من مثل ذلك والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: عدم تكدرهم ممن ناداهم باسمهم المجرد من الكنية واللقب والسيادة ونحو ذلك.

لأنه هو الصدق المحض كما كان عليه السلف من الصحابه ، والتابعين رضى الله عنهم أجمعين بخلاف نحو قطب الدين ، شمس الدين ، ونور الدين ، وسراج الدين ، فإنه لايصح إلا بتأويل بعيد كأنه يريد أنه شمس دين نفسه أو سراج دين نفسه ، ونحو ذلك

واعلم يا أخى أنه يستثنى من اولوية نداء الناس بأسمائهم المجردة نداء الوالد والشيخ وإن الادب ان لاينادى احـــدهما باسمه المجرد ، كما جرى عليه السلف والخلف .

قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى :

وأول لقب وقع فى الاسلام تلقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق بعتيق لعتاقة وجهه أى حسنه

وقال الحافظ بن حجر :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلقب أصحابه فلقب أبا بـكر بالصديق ، وعمر بالفاروق ، وعثمان بذى النورين ، وخالد بن الوليد بسيف الله ، وحمزة بأسد الله ، وجعفر بذى الجناحين ، ولقب الأوس والخزرج بالأنصار ، فغلب عليهم هذا اللقب ، ولقب الحسن البصرى رضى الله عنه محمد بن واسع بزين القراء . ولقب سفيان الثورى المعافى بن عمران بياقوتة العلماء . ومحمد بن يوسف بعروس الزهاد . ولقبوا الإمام الشافعى بناصر الحديث . ولقبوا ابن سريج بالباز الأشهب انتهى

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول :

وممن لقب من الأنبياء عليهم الصلاه والسلام السيد ابراهيم لقب بالخليل ، والسيد عيسى لقب بالمسيح . والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم نفرة أحدهم من عشرة المخنثين لأنهم أصحاب أمراض كالصداع والمضارب والجذام والبرص

وربما ذمهم أحد فابتلى بمثل مرضهم ويسمى ذلك المرض بالابنة ودواه أن يغلى له جلود السمك القديد، حتى تخرج خاصيته، ثم يحقن به ثلاث مرات فإنه مجرب للشفاء من الابنه وهو غليان فى الدبر لا يسكن الا بادخال شيء فى الدبر، والمراد بالمخنثين هم الذين يتكسرون تكسر النساء، فعدم التكدر منهم يعنى بزجرهم ونصحهم بالبعد عن ذلك، حتى يزجروهم من مثل ذلك الفعل ويتوبون منه.

ثم إن هذا المقام لا يقدر على التخلق به إلا من رضى بعلم الله تعالى فيه، ولم يطلب له مقاما عند الخلق فعلم أنه لا ينبغى ذم من به إبنة فإن غيبته محرمة إلا إذا عمل عمل قوم لوط، وثبت ذلك عنه فإنه ملعون بنص الحديث فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين.

ومن أخلاقهم : عدم إصغاء أحدهم إلى قول عدو أو حاسد فى عرض خصمهم .

بل يلوم أحدهم نفسه التى لم تكن دفعت ذلك الحاسد عنها . حتى لا يقدر على الوصول إليها باختيارها عن نقايص أحد ، ويقول لنفسه عليك اللوم الذى وجد المنقص للناس عندك له محلا ينقص الناس فيه .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى أول ما يتكلم عنده حاسد يقول له :

قم عنى الى حاجتك لا تحملنى الآثام بذكر الناس بالنقائص

وإذا عرف من الإنسان عدم الانقياد لقوله بدأه بالكلام الحلو وقال : كنت فى خاطرى البارحة . فإنى أحبك لكونك صافى الباطن لا تذكر الناس عندى الا بخير فيلتجم ذلك الشخص ويخاف أن يغير اعتقاده فيه بما وصفه ، فيخرس فى ذلك المجلس عن عيوب الناس .

وهذا الخلق قل من يتفطن له من الناس بل رأيت بعضهم يبدأ من دخل عليه بالكلام ، ويقول له : إيش معك من أخبار الناس فيذكر له العجر والبجر التى جمعها له مدة غيبته عنه ، وإن عرف أنه عازم على السكوت يقول له : هل بقى معك شىء من أخبار الناس ؟ فإن قال : لا قال له : ما أنت إلا حكيت لى ، ثم بعد ذلك يصير يحكى لكل من دخل عليه ما سمعه من ذلك الفاسق ، كأنه ثبت عنده بطريق شرعى ، ولم يتب منه صاحبه .

ومعلوم أن ذكر تواريخ الناس التى مضت وتابوا منها لا يجوز ذكرها بعد ذلك لأحد ، ومن الواجب على كل مسلم إعتقاده فى أهل المعاصى إن أحدهم يتوب عقب كل ذنب ، ولا يجوز حمله على أنه مصر على ذنبه .

ثم من أقل مفاسد الناقل عن الناس تواريخهم أن المنقول عنه ، ولو تاب يصير الناس يشخصون معاصيه وعيوبه فى ذهنهم ، كاما ذكروه فيريد السامع أن يجعله ، كالذى لم يذكره أحد بسوء ، فلا يقدر بل يصير يحتقره ويزدريه بباطنه لا سيما إن سمع ذلك أحد من الأمراء ، والأكابر الذين يشفع ذلك الشخص المجروح عندهم ، فإنه يتولد منه مفاسد كثيرة ، ورد شفاعاته ، فيشتد بذلك التحريم ، فليتنبه الفقير الساذج لمثل ذلك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة إقامة العذر لمن عاداهم وأكثر من حسدهم

ويقولون إنما وقع فى ذلك لضيق نفسه ، وشراهتها ، وعدم قناعتها باليسير ، ولو أن الله تعالى كان وسع صدره لما وقع فى حسد أحد .

ثم إنهم بعد ذلك يستغفرون الله تعالى من حيث أنه لولا وجودهم ، ووجود إظهار النعمة التى عليهم ما وقع أحد فى حسدهم ، لأن من كان فى نقمة لا يحسده أحد ، وكذلك يشكرون الله تعالى على نعمته التى أسبغها عليهم ، حتى وقع الحاسد فى حسدهم ، وكذلك يستغفرون الله تعالى للحاسد ، فإن وجودهم سبب لوقوع الحاسد فى الإثم كما سيأتى بسطه إن شاء الله تعالى ؟ والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : كثرة اهتمامهم بهم عدوهم أكثر من اهتمامهم بهم صديقهم

كما يتحفظون من الغيبة فى عدوهم أكثر مما يتحفظون من الغيبة فى صديقهم ، وكما يكرهون كل شيء يؤذى عدوهم رحمة به إلا أن يكون تطهيراً له أو كفارة لذنوبه . فإنهم يحبون له ذلك لا على وجه التشفى والشماتة .

وكان سيدى محمد الشناوى رحمه الله تعالى يقول :

كل يوم إحتاج إلى فيه عدوى ، فهو عندى يوم عيد ، وأقول : الحمد لله الذى أحوجه إلى ، ولم يحوجنى إليه ، وأذله لى بالسؤال ، ولم يذلنى له ، وهذا الخلق لا يتخلق به إلا من ذهبت رعونات نفسه . وتخلق بالرحمة على جميع العالم .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى : يحذر إخوانه أن يذكروه عند أحد من أعدائه بخير ويقول :

إن ذلك يدخل عليهم الغم ، وأنا لا أرضى بذلك .

وإنما كانوا يتحفظون من غيبة عدوهم أكثر من صديقهم لأن صديقهم قد يسمح لهم بحقه بخلاف العدو فربما أنه إذا بلغه عنهم شيئاً يدخل خصمه النار لأجله إذا لم يسامحه يتوقف ولا يسامحه فيه بخلاف الصديق ، فإنه بالضد من ذلك .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

لا ينبغى لفقير أن يلبس الثياب النظيفة المبخرة ، ويمر على عدوه . وكذلك لا يطبخ طعاما فى مواضع التنزهات ، ويدعوا الناس إلى ذلك ، وكذلك لا يغرس بستانا ، ولا يبنى دارا لأن ذلك كله يكدر نفس عدوه والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم: عدم توجه أحدهم إلى الله تعالى فى هلاك أحد من أعدائه وأن يأخذ له حقه منه

بل يكرمون عباد الله تعالى لأجل الله تعالى ، ثم إن شاء الله تعالى انتصر لهم ، وإن شاء لم ينتصر لهم ، وهم راضون عنه فى كل شىء يفعله معهم ، وهو تعالى يحب من عباده كل من كان كثير الاحتمال للأذى ، ولم يزل الأعداء والحساد فى كل عصر يعملون للفقر !! المكايد ، ويحفرون لهم المهالك ، ويرد الله تعالى كيدهم فى نحرهم ، لأنه تعالى عليم حكيم .

وهذا الخلق قد صار عزيزا فى أهل هذا الزمان . وغالبهم يقابل العدو بالإساءة وإن عجز عن ذلك توجه إلى الله تعالى فيه ، وذلك نقص فى الفقير ، وما افتخرت الفقرا على أقرانهم الا بتحملهم الأذى ، وعدم مقابلة أحدهم بنظير فعله .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول:

من تأمل نفسه فى هذا الزمان بين أقرانه وجد نفسه كالماشى على حبل البهلوان بقبقاب ، والخلق كلهم تحته ينظرون كيف يقع ، حتى يشمتوا فيه . انتهى .

فالحمد لله الذى جعلنا ممن لا يشمت فى مسلم أبدا بل نذكر محاسنهم ، ونسكت عن مساويهم إذا أطلعنا عليها ، كما سيأتى بيانه قريبا إن شاء الله تعالى ، ويشهد لذلك ذكرنا فى كتاب الطبقات مناقب من آذانا والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : عدم تجسسهم على عيوب إخوانهم المسلمين

فإذا سمعوا شخصا يذكر كلاما اجماليا عن أحد فيه نقص له لايصغون الى ذلك ، ولايقولون له ايش الحكاية إلا إن كان أحدهم يقصد رد الاعداء عن عرض أخيه ، وأما قصد الإعلام بحكايته فقط ، فلا يجوز ذلك ، كما صرح به القرآن العظيم ، وهذا الخلق قل من يتنبه له الآن من الفقراء بل ربما تجسس بعضهم على أخيه ، وصار كل من دخل عليه يحكى له ، ويقول : مادريتم ايش جرى لفلان جرا له كذا وكذا ، وإن خاف من لوث احد به قال له : لاتقل ذلك ، لاحد عنى ، فلولا أنك عزيز عندى ما أطلعتك على ذلك ، وكلاهما قد خالف أمر الله عز وجل

وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يزجر كل من رآه من أصحابه يتجسس على أحد ويقول :

لا يحب الاطلاع على عورات الناس الا الشياطين انتهى

وقد أدركنا جماعة كثيرة من مشايخ العصر كانوا يغارون على أهل الطريق ويزجرون كل من تعرض منهم لأحد من أهلها بنقص ولو محققا ، ويقولون إن فى الحديث «أقيلوا ذوى الهيات عثراتهم» قال العلماء : المراد بذوى الهيات الذين لم يشتهر عنهم مخالفة انتهى

وفى الحديث أيضا «تجافوا عن ذنب السخى فإن الله تعالى أخذ بيده كلما عثر» ، ولا شك أن الفقراء كلهم أسخيا كرام

ولما وقع الشيخ عبدالوهاب السبكى فى المحنة . ورموه بالكفر ، وأرسلوه من الشام إلى مصر مقيدا مغلولا خرج الشيخ جمال الدين الأسنوى بعد أن تولى القضاء ، وكانوا قبل ذلك يسئلونه ، فأبى ، وتلقاه من نواحى الصالحية ، وسمع الدعوى عليه وحقن دمه ، وقال : والله انى لأكرمك . وأكره لذلك من قبلك ، وإنما فعلت ذلك صيانة لخرقة العلم انتهى

فاحم يا أخي خرقتك من النقايص جهدك . ولا تظن أنك تعلو أقرانك بذكرهم بالنقايص عند الناس بل أول ما يحقرونك ، ويتليثونك على من نقصته ، وإيضاح ذلك أن من تعدى حدود الله تعالى أهانه الله تعالى ومن يهن الله تعالى ، فماله من مكرم ، فلا يزداد المهان عند الله تعالى بتنقيصه الناس إلا هوانا في العيون والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : سماحة نفوسهم بمقاسمة أعدائهم فى أموالهم فى الدنيا وحسناتهم فى الآخرة فضلا عن من كان يحبهم من أصحابهم

وهذا خلق غريب فى هذا الزمان ، وقد تحققنا به ولله الحمد . وهو من أعظم أخلاق الرجال

فأنا بحمد الله تعالى أحب مقاسمة أعدائى لى فى جميع أموالى وحسناتى على تقدير وجودها من غير توقف ، ولا رؤية منة لى عليهم ، وقد قيض الله تعالى لى جماعة معروفين فى مصر لم يزالوا يذكرونى بالنقايص ، ويؤذونى ، وأصبر عليهم ، ومع ذلك ، فأحبهم ، وأذكرهم بالكمالات ، وتسمح نفسى بمقاسمتهم فى الحسنات لاسيما الذين دسوا فى كتبى العقائد الزائفة . وأشاعوها عنى ، حتى نفر غالب المعارف منى فضلا عن غيرهم . ولا أعلم الآن لهذا الخلق فاعلا فى مصر غيرى إلا قليلا ، فاسأل الله تعالى دوامه على وإيضاح شهودى منة الأعداء على بكثرة إيذائهم لى أنهم حكمونى فى حسناتهم يوم القيامة آخذ منها ما شئت ، حتى كأنها من أعمالى ، وذلك أعز من الإحسان إلى بالدراهم ، والدنانير فى دار الدنيا ، ثم إنهم كلما أكثروا من ايذائى كلما سمحت نفسى لهم بالمقاسمة فى حسناتى لأنهم بكثرة ايذائهم لى بالغوا فى إثبات حقى عليهم ، وتحكيمى فى حسناتهم ، فكما أهدوا الى حسناتهم فى الآخرة كذلك من باب المعروف إهدائى لهم ، حسناتى ، وإن كان إهدائهم لحسناتهم كرها عليهم لأنه حيث ما حصل نفع الأثر ، فلا على من القصد . فكان مقاسمتى لهم فى حسناتى من باب المكافأة لهم على إحسانهم

وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

لو عرض أعدائى كلهم على يوم القيامة حسناتهم بطيب نفس لم آخذ منها شيئا بل أوفرها عليهم زيادة على ما قاسمونى فيه من أعمالى الصالحة لكثرة

إفلاسهم . وكثرة الحقوق عليهم . فلا أزيدهم كربا على كربهم ، وذلك لأن الرجل هو من يكون له على الناس اليد لا من يكون يد الناس عليه . وإن كان لأعدائى الفضل على من وجوه عديدة من حيث إنهم قد فتحوا لى بذكرهم لى بالنقايص فى المجالس باب شهود نقصى . وزوال عجبي بعملى . وحكمونى فى حسناتهم ومن إساءتى أنا عليهم أنى ربما كنت سببا لمقتهم . وهتك سريرتهم جزاء لما فعلوه معى غيرة من الله تعالى . لعبادة . وإن لم يطلبوا منه ذلك . كما وقع لى ذلك مع شخص معروف فى مصر كان قد أكثر من ذكرى بالنقايص . وأنا صابر عليه . فابتلاه الله تعالى . وكبسوه حال فعلها وهتكه الله تعالى عند جميع معارفه فى مصر فثل هذا لو أنى أعطيته جميع حسناتى ما جبرت خاله الذى حصل له بسببي ، ووالله إنى لاستغفر الله تعالى فى حقه إلى وقتى هذا .

وكان على هذا القدم جمهور السلف رضى الله تعالى عنهم كما ذكره القشيرى فى رسالته ، فكان أحدهم يلوم نفسه إذا آذاه أحد ، ويقول لها : أنت الظالمة ولو أنك وافقتيه على ما يريده منك ما آذاك .

وقد بلغنا عن ابن الخطاب شيخ سيدى محى الدين بن عربى رضى الله عنهما أنه قال :

رأيت ربى فى المنام فقلت له:

يارب علمنى شيئا آخذه عنك بلا واسطة

فقال : يا ابن الخطاب من أحسن إلى من أسىء إليه ، فقد أخلص لله شكرا ، ومن أسىء إلى من أحسن اليه فقد بدل نعمة الله كفرا .

قال : فقلت : يا ربى حسبي انتهى

وقد بسطنا الكلام على ذلك فى أواخر الخاتمة من كتاب المنن الكبرى، وذكرنا عن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى، أنه تمنى أخا فى الله تعالى صادقا يقاسمه فى حاله وحسناته ، فلم يجده ، فراجعه ، فإن فيه نفايس والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صبرهم على بعض الحسدة لهم على الدوام مدة حياتهم .
ليعظم لهم بذلك الأجر من حيث الصبر عليهم ، ومن حيث أنهم يذكرونهم بنقائصهم ، التى ربما حجبوا عنها فى نفوسهم ، فلا وجود بدلهم من وجود منكر مبغض على الدوام فضلا من الله تعالى عليهم ، وبعضهم سلط الله تعالى عليه بحكم المشيئة الإلهية من ينقصه ، وينكر عليه بعد موته أيضا سنين عديدة ، كأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما مع الروافض ، وكالشيخ محى الدين بن العربى ، وسيدى عمر بن الفارض رضى الله تعالى عنهما مع بعض الفقها كما مر فى هذه الخاتمة ، فيأخذ أحد هؤلاء حسنات من يحط عليه بغير حق يوم القيامة ، فما دام لهم من يحط عليهم بعد موتهم ، فكأنهم لم يموتوا من حيث نقل أعمال من يحط عليهم إلى صحايفهم ، ولو كان أحدهم يحط على الفقراء بحق ما نقلت حسناته فى صحايفهم ، ولكنهم غالبا يحطون على الفقراء حسدا وعدوانا ، لأن الفقراء قد خرجوا عن الاعراض النفسانية ، ولا يرى أحدا منهم يزاحم على وظيفة ولا تدريس علم ولا مجلس وعظ ، ولا يذكر احدا بسوء ، ولا يشح على فقير بما هو محتاج إليه ، ولا يتزوج لأحد مطلقة ، ولا هو يتظاهر بالمعاصى الظاهرة من ترك صلاه ، وشرب خمر ، ونحو ذلك ، فما بقى بغضهم إلا حسدا ، وعدوانا كبغض الروافض ، لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فإن بغضهما قد توارثه خلف من الروافض عن سلف ، وكذلك الشيخ محى الدين بن العربى ، وسيدى عمر بن الفارض قد توارث الناس بغضهما من بعض فترى بعض الفقهاء يسب الشيخ محى الدين وأضرابه ، ولا أحد منهم أدرك زمنه ولا عرفه ، وخالطه ، ولا وصل إليه ما ينسب إليه ببينة

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

إن كان ولا بد للمتهورين من الانكار ، فلينكروا ذلك الذى يوهم خلاف ظاهر الشريعة بقطع النظر عن من نسب إليه فيقول كل من ثبت عنه هذا الكلام ، فهو مخطىء ، أو مبتدع أو كافر ، ونحو ذلك فلا يجب الانكار

على إنسان معين إذا ثبت عنه الكلام بسند صحيح ، وهذا قل أن يوجد فى هذا الزمان وحينئذ ينكر عليه شفقة عليه ، ومحبة فيه وخوفا أن يكون من الأئمة المضلين بحكم التشفى للنفس أو التعصب كما هو الغالب من أصحاب الرعونات النفسانية

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام زكريا رحمه الله تعالى يقول :

ليس لمن يبغض مثل الشيخ محى الدين بن العربى ، أو سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنهما دليل صحيح يستندون إليه . وإنما هى نزغات شيطانية ووسوس بها إليهم ، ليحصل لهم المقت ، وموت القلب وخراب السر انتهى

وقد ثبت عندنا من طريق صحيحة عن الشيخ عز الدين بن جماعة أنه كان يقول :

جميع ما فى كتب الشيخ محى الدين بن العربى مما يخالف ظاهر الشريعة مدسوس عليه دسه الحسدة ، لينفروا الناس عن مطالعه كتبه ، وقد أوضح ذلك الشيخ مجد الدين الفيروزاباوى صاحب القاموس فى اللغة . وأجاب عن الشيخ محى الدين بأحسن جواب ،وقد رأيت أنا كتابا صنفه بعض الملاحدة وأضافه للامام الغزالى ترويجا لبدعتهم . ورأيت على ظاهره بخط الشيخ بدر الدين كذب ، والله وإفترى من أضاف هذا الى حجة الاسلام . فانه كله مخالف لأهل السنة والجماعة انتهى

وقد قدمنا لك يا أخى فى خطبة هذا الكتاب .وغيره ماوقع فى كتبى من الدس . ولولا أنه كان عندى النسخة الأصلية التى عليها خطوط العلماء السالمة من الدس لما برأنى أحد من ذلك . لعدم تثبت غالب الناس الآن فيما ينقلونه .

وسمعت شيخنا شيخ الاسلام برهان الدين بن أبي شريف رحمه الله تعالى يقول كثيرا :

وربما يكون سبب هذا الانكار على بعض العلماء والصالحين دقة مداركهم، فينبغي للمتدين التسليم لهم حيث لم يخالف نصا صريحا ، ولا إجماعاً لأن الأفهـــام تختلف سلفا ، وخلفا فاعلم ذلك ، واحفظ لسانك والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شده بغضهم باطنا لأهل المعاصى ولو أحبوهم وأحسنوا إليهم .

إيثارا لجناب الله تعالى على جناب أنفسهم . ومع ذلك ، فيستغفرون الله تعالى لهم ، ويدعون لهم بالتوبة النصوح لاسيما أهل المعاصى المستصحبة كالمكاسين ، والذين يظلمون الناس فى أموالهم أو اعراضهم .

وهذا خلق لايقدر على العمل به إلا من أعطاه الله تعالى فرقانا يفرق به بين الحق والباطل ، وغالب الناس يحب كل من أحسن إليه . أو اعتقد فيه . ولو كان عاصيا لله تعالى ، كما أشار إليه خبر « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » ومن هنا كره العلماء بالله تعالى قبول هدايا العصاة ، والتداوى بإشاره كافر ، لأن صاحب الطبع يصير يحب ذلك المهدى أو ذلك الطبيب ، إذا وافق دواؤه إنتهاء المرض ، ويريد أن يعاديه كما أمر الله تعالى ، فلا يقدر ، بل يصير يحن إليه بالود ، ويقول له كلما لقيه : فضلك علينا يامعلم .

وقد من الله تعالى على بالتخلص من محبة من يعتقدونى من اليهود ، والنصارى مع إعتقادهم فى ، ولم يصدنى ذلك عن عدواتهم ، وهى وراثة إبراهيمية ، فإن سائر الطوائف تحب سيدنا ومولانا الخليل عليه الصلاة والسلام ، وكثيرا ما يطلبون منى كتابة الحروز لأولادهم ، والرقيه لهم ، فأتعجب من ذلك غاية العجب ، لكونى مخالفا لدينهم ، ثم أقول : لعل إظهارهم الإعتقاد فى إنما هو نفاق .

وكان سيدى على الخواص رحمه الله يقول :

إياكم أن تميلوا بالمحبة إلى كافر حين ترونه يعمل سقاية أو يحفر بيرا ، أو يطبخ لمحابيس المسلمين طعاماً ، ويرسله إليهم ، أو يطب المسلمين ، ولا يأخذ على طبه أجره ، أو يوفى ديون المسلمين ، ونحو ذلك بل دوموا على عدواتهم تقليداً لله عز وجل فى إخباره لنا بذمهم مطلقا . وأحكموا عليهم بما حكم الله تعالى به عليهم ، ولو لم تروا منهم أفعالا توجب الذم عليهم فإنه تعالى عم بواطنهم وظواهرهم وقد أطلق الذم عليهم أبد الآبدين . ولو لم يكن إلا التظاهر بزى الكفار والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : صحبتهم لبعض إخوانهم المسلمين من غير إجتماع ويصير كل واحد منهما يراعي الأدب مع صاحبه كما يراعيه في حضوره ، وهي صحبة برزخية كان السلف يقدمونها على الإجتماع خوفاً من آفة الإجتماع ، ويقولون كل أخ يجتمع بأخيه الآن إلا وأخذ في حسناته عند ربه تعالى ، ويزكى نفسه بذكر محاسنها وعباداتها السرية وذلك كما فعل أويس القرني وبكر المزني وعبد الله بن غالب وأضرابهم رضي الله عنهم .

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله كثيراً مايرسل إلى بعض إخوانه الهدية ، ويقول له :

" مامعك إن بالإجماع في أبد ، ويقول ربما زكى أحدنا حاله لأخيه ، فيقع في ذنب إبليس الذي أخرج به من الجنة إنتهى .

وقد صحبت أنا جماعه من العلماء والصالحين مدة طويلة من غير إجتماع ، وكان يحصل لي من المدد مالم يحصل بالإجتماع ، كالشيخ شمس الدين البرهمتوشي الحنفي ، والشيخ شمس الدين الغزي ، والشيخ سليمان الحانوتي ، والشيخ أبي النجا السوهاجي ، وجماعه ، وكان من أشدهم مراعاة لحقوق الصحبة المذكورة الشيخ شمس الدين البرهمتوشي ، فكان يراعاني في الغيب أكثر من الحضور ، ويشاورني عن أموره بالواسطة ، كما يشاور الولد والده ، فلما صحبته صحبة الإجتماع إزداد محبة إلى محبته الأولى ، وكذلك إزددت أنا الآخر فيه محبة ، ولم يحصل بيني وبينه بحمد الله تعالى تزكية نفس لا مني ولا منه إلى وقتنا هذا نفعنا الله تعالى ببركاته والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : حلمهم لمن يكرههم على أنه إنما يكرههم بحق وصدق خوفاً من تزكية نفوسهم وتبرئتها من العيب إذا حملوهم على أنهم كرهوهم بغير حق .

وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى إذا بلغه عن أحد أنه يكرهه وينكر عليه يقول :

والله إن قلب هذا نيرا الذى أدرك نقصى الباطنى وما أنا مطوى عليه من الفواحش ، التى أخادع بها بها ربى انتهى .

وكذلك من أخلاقهم : مناقشة نفوسهم إذا كرهت أحدا من المسلمين ، ويقولون يانفس إن كراهتك لأخيك بغير حق ولم لاحملتــــه على المحامل الحسنة ، فيكون أحدهم على نفسه فيما اذا كرهها أحد ، وكرهت هى احدا

وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهـــم ، فكانوا يناقشون نفوسهم ، ويتهمونها فى كل شىء ادعت الصدق فيه من مقام أو حال ، ويقولون لهـا هى أنى أكذب عليك فى نسبتك الريا . والنفاق مثلا ، فما تقولين فى هذا الغريب الذى وصفك بذلك فإنه لا يجوز لك نسبته إلى الكذب إلا بطريق شرعى وليس معك طريق

وقد كان مالك بن دينار يقول

مكثت سنه ونفسى تنـازعنى فى دعوى الإخلاص ، وأنا أقول لهـا تكذبى ، حتى مررت بإمرأه فى أزقة البصرة ، فسمعتها تقول لأخرى : إنه أردتى أن تنظرى إلى مرأى . فهذا مالك بن دينـار ، فانظرى إليـه ، فقلت لنفسى : إسمعى لقبك القبيح من هذه المرأة الصالحة .

وكان يقول بعد ذلك : من أراد أن ينظر إلى مراء ، فالينظر إلى

وكان الفضيل من عياض رضى الله تعالى عنه يقول :

لأن أحلف مرأى أحب إلى من أن أحلف أنى لست بمرأىء ، وكان يعاتب نفسه ، ويقول : كنت فى شبيبتك فاسقا عاصيا ، وصرت فى كهولتك مراءيا منافقا والله للعاصى والفاسق أخف إثما عند الله تعالى من المرائى المنافق ، لأن العاصى ينتظر من الله تعالى المغفرة ، وكذلك المرائى ، والمنافق لأنه ذنب قل أن يشعر به صاحبه ، حتى يتوب الله تعالى عليه انتهى فالحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : ذكرهم لمناقب أقرانهم الذين يكرهونهم ويحسدونهم ولا يصدهم حسدهم لهم وعداوتهم عن ذكرهم بخير .

وقد كان بين الإمام عمرو بن العاص والإمام خالد بن الوليد بعض شيء ، فذكروا عمروا عند خالد يوما ، فأثنى عليه خالد فقالوا : إنه يكرهك . فقال : إن الذى كان بيننا لم يبلغ إلى ديننا انتهى .

وقد تحققت بذلك بحمد الله تعالى ، وذكرت مناقب أعدائى وحسادى من الفقراء ، والعلما بالنظر الى جانبهم لا إلى جانبى ، فإنى لا أعادى أحدا من المسلمين لحظ نفس ، وانما هم الذين يعادونى ، لعدم تظاهرى لهم بما يوجب العداوة من ترك صلاة ، أو شرب خمر ، أو تعاون فى الناس ، أوذكرهم بالنقايص من ورائهم ، أو مزاحمتهم فى أمور الدنيا ، ونحو ذلك هذا مع شدة عداتهم لى ، وجعلت ذلك كالبرهان على عناية الحق تعالى لى ، فإن غالب الناس لا ينشرح الآن بذكر اسم عدوه على لسانه فضلا عن أن ينشر محاسنه .

وقد ذكرنا فى كتاب المنن جملة من ايذائهم لى ، فبعضهم سعى فى إخراجى من مصر ، وبعضهم دس فى كتبى عقايد مخالفة لأهل السنة والجماعة ، وأشاعها عنى فى مصر وكثيرا مما أشرنا إليه فى خطبه هذا الكتاب وبعضهم افترى على عند السلطان والوزير نائب مصر أمورا لا ينبغى لمؤمن أن يتلفظ بها . وهذا الذى وقع لى طول عمرى من ثلاثة أنفس فى مصر ممن يدعون العلم والصلاح وقد درج الثلاثة الى رحمة الله تعالى وابرأت ذمتهم فى الدنيا والآخرة ، وإنما ذكرت ذلك ليتأسى بى الإخوان فى تحمل الاذى من أهل عصرهم مع أن هؤلاء الثلاثة أنفس كانوا يكرهون بعضهم بعضه ، ولكن اجتمعوا كلهم على لمزاحمتى لهم بالدعوى فى اسم الصلاح ، والعلم لا غير ، فصنفوا الى الاذى على صنوف ، وسائر أهل مصر يردوسلام على

وقد بالغت فى ذكر مناقب هؤلاء الثلاثة فى كتاب طبقات العلماء .

والصوفية وذكرتهم بأحسن الذكر عند مافعلوه معى إظهارا لما من الله تعالى به على من الحلم والصفح ، والمسامحة،وليقتدى بى الإخوان ، ولم أعلم أحدا سبقنى إلى مثل ذلك من أقرانى بل المنقول عن بعضهم مقابلة الاعداء بنظير مافعلوا ، فالحمد لله الذى خلقنا بهذا الخلق المحمدى ، وجعلنا ممن لا يجزى بالسيئة السيئه ، ولكن يعفوا ويصفح والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم : طرح نفوسهم بين يدى الله عز وجل إذا أطلعهم من طريق كشفهم على وقوعهم فى شىء من المعاصى فى المستقبل

وتبرئهم من حولهم وقوتهم ، ويصيرون يقولون فى دعائهم فى سجودهم وغيره اللهم ان كان ما أطلعت عليه قد حق به التقدير الالهى . فاسترنا فيه بين الناس ، ولاتؤاخذنا فى الدنيا ، ولا فى الآخرة صدقة من صدقاتك علينا ، إن لم يكن ذلك قد حق به التقدير الإلهى ، فنسألك من فضلك أن تزيله من شهودنا فإنه قد كدر علينا وقتنا فإن الله تعالى ربما أجاب دعاء العبد ، وستره، وغفر له : أو محاه من ألواح المحو والاثبات الثلاثمائة وستين لوحا وايضاح ذلك أن المخالفات بحكم التقدير الإلهى من غير ميل لشهوة أخف عقوبة ممن أتاها بالميل والشهوة

وقد كان بعضهم يقول فى سجوده : اللهم إنك تعلم عجزى عن رد شىء من أقدارك النافذة فى فاغفر لى ما جنيته صدقة من صدقاتك على يا أرحم الراحمين إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم: عدم إتعاب أحد سره فى تنميق الألفاظ فى تأليفه وكثرة تحرير ألفاظه إلا بنيه صالحة .

لا ليمدحه الناس على ذلك، ويقولوا والله ما قصر فلان فى هذا التأليف، وأعلم يا أخى أن البشر ، ولو بالغ فى تحرير كتابه ، حتى حرره أشد تحرير، فلا بدله غالبـا من نسيان شرط للمسئلة فى بعض الأوقات . أو إطلاق فى محل التقييد قال تعالى : «ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا».

كان الشيخ محى الدين بن العربى رضى الله عنه يقول :

وماصنفت كتابا قط عن تدبير ، ولا اختيار إنما كنت أكتب فى مؤلفى ما يلهمنى الله تعالى به .

وسمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله يقول :

سبب كون كلام البشر لا يسلم من الخطأ أو التحريف أو التناقض عدم اليقظة الدائمة ، فلذلك كان يقع فى الغفلة والسهو .

وكان سيدى أحمد الزاهد رضى الله عنه يقول :

من الأدب أن لا يطلب العبد عدم الاعتراض مطلقا بل يهرب من مضاهاة كلام الله تعالى ما أمكن ، وحتى يجد غيره فى كلامه مطعنا ، وتوريكا وايضاحا بشرح أو بحاشية ، ومن ترك زيادة التنميق ، والتحرير فى الألفاظ كان أبعد من الزهد والعجب والحمد لله رب العالمين .

ومن أخلاقهم : شهودهم فى نفوسهم بعد مبالغتهم فى الاجتهاد فى العبادة ليلا ونهارا أنهم قد استحقوا الخسف بهم لولا عفوا الله تعالى وحلمه عليهم

وأنه تعالى لو خسف بهم الأرض بذنوبهم التى عملوها لكان ذلك فى محله ؛ فانهم يعلمون أن ذنوبهم قد خرجت عن الحصر . فمن ظن يا أخى أن أحدا من القوم يرى نفسه خيرا من أحد من المسلمين لما هو عليه من العبادة والزهد والورع ، وغير ذلك لأنهم يشهدون ما عليهم ، ولا يشهدون الذى لهم إلا على وجه الشكر لله تعالى فقط .

وإنما ختمنا الكتاب بهذا الخلق العظيم لأنه محط رحال الأولين والآخرين ، فما منهم أحد رفع حجابه إلا ورأى أنه قد استحق الخسف به والمسخ لصورته لسوء ما يتعاطاه من المعاصى والرذائل ، حتى كان السرى السقطى رضى الله عنه أول ما يقوم من النوم يمسح بيده على وجهه وتارة ينظر وجهه فى المرآة فقيل له فى ذلك فقال :

أخاف أن يكون الله تعالى قد مسخ صورتى

وكان بشر الحافى رضى الله عنه يقول : ما من ولى لله تعالى إلا ، وهو يسأل العفو ، والصفح عنه ؛ وفى الحديث « لا يدخل أحد الجنة بعمله

قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟

قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » وأجمع العارفون كلهم على استحباب ختام جميع الأعمال بالاستغفار ، لقوله تعالى . وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون . ثم إنهم مع استغفارهم ليلا ونهارا لايأمنون عذاب الله تعالى . فليس عند أحدهم طمأنينة بقبول الحق تعالى استغفارهم ، فقد يكون حال الواحد منهم مثل ما قال القائل .

اذا كان المحب قليل حظ فما حسناته إلا ذنوب

واعلم يا أخى أن كل من نظرمنا إلى كثرة إحسان الله تعالى إليه ليلا ونهاراً أو عدم معاجلته بالعقوبة كلما عصاه خاف من الله تعالى ضرورة، وعد ذلك من الإستدراج، ووالله ثم والله لا اعتقد الآن أن أحداً من خلق الله تعالى أقل حياء منى ولا أكثر ذنوبا وإن ذنوب الناس كلها أقرب إلى المغفرة من ذنوبى، ومن ذاق هذا المشهد فى نفسه ذاب جسمه وقلبه من شدة خجله من الله تعالى لو لم يكن إلا ما يقع من العبد من استحيائه من الناس حال معصيته دون أن يستحى من الله فلا تكاد ترى أحدا يعصى ربه بحضرة أحد من الخلق أبداً، ثم إنه يجاهر ربه بالمعاصى، وهو فى حضرته فى خلوته، فعدم استحيائه من الله تعالى أشد من ذلك الذنب، ولو أن إنسانا قال لنا: إنى أخاف من الناس أكثر من خوفى من الله تعالى أو استحى منهم أكثر مما استحى من الله تعالى، لربما كفره العلماء بذلك من حيث الإستهانة الصورية، وكثيراً ما أشهد ذنوبى قد رجحت على ذنوب الأولين والآخرين، فأقول فى سجودى:

اللهم إن كنت تعلم إنى صادق فى اعترافى أن ذنوبى أرجح من ذنوب الخلق أجمعين فاغفر لى.

وكثيرا ما أقف ساكتا خجلانا من شدة الحياء، من الله عز وجل وأمثل نفسى أنى واقف خلف كل عاص على وجه الأرض وأنه لعل الحق تعالى يغفر لأحد من العصاة فينالنى منه نصيب وكثيرا ما أجتنب الدعاء مع الناس خوفاً أن يرد دعاؤهم من أجلى.

وكان على هذا القدم مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه كان لا يخرج مع الناس للاستسقاء، ويقول:

أخاف أن يمنعوا القطر لأجلى.

وكثيراً ما أنظر الجبال الراسيات وأرى جميع ذنوب الناس كالذر

الطاير في الهوى ، وكثيراً ما أرى أن جميع البلايا التي تنزل على مصر وقراها إنما ذلك بسبب ذنوبي لا أتعقل غير ذلك ، فأهيم على الأرض كالطير المذبوح ، وأحس ببدني ، كأنه ذائب من شدة النار ، والغم .

وقد درج الأكابر على هضم نفوسهم بين يدي الله عز وجل مع مبالغتهم في الطاعات ، التي لا يستطيع غيرهم العمل بها لا سيما عند خوف إنتقالهم من هذه الدار أواخر أعمارهم ، ولكل وقت مقال يليق به وتأمل قول الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه :

إن الإشتغال بالعلم أفضل من صلاة النافلة ، واعتقد ذلك مقلدوه .

ثم إنك لو سألت أحدهم عن مسئلة في العلم ، وهو محتضر لثقل ذلك عليه بخلاف قول : لا إله إلا الله ، أو قول : استغفر الله مثلا ، ولو أن إنسانا ترك القنوت أو التشهد الوارد في السنة ، وجعل بدله قراءة قل هو الله أحد لكان ذلك خلاف السنة مع أن قراءة قل هو الله أحد في نفسها أفضل من ذلك الذكر ، وقد قالوا : الإشتغال بالمفضول مع حضور القلب أفضل من الاشتغال بالأفضل مع الملل ، وعدم الحضور قالوا : وهذا سبب تنوع الأعمال والأوراد ، ولولا ذلك لكان الإنسان إذا تلبس بالأفضل ، فليس له النزول إلى المفضول لما كان يحصل للعبد الملل من الأفضل ، ولم يجتمع له قلب فيه كان الإشتغال بالمفضول مع حضور القلب أفضل ، وعلم مما قررناه أن خوف القوم من الله تعالى أن يخسف بهم الأرض أو يمسخ صورتهم ليس هو من باب الملق بين يدي الله تعالى ، وإنما ذلك من باب العلم ، واليقين دون التواضع وهضم النفس ، فإن الله تعالى قد خسف الأرض بقوم كانت ذنوبهم أقل عدداً من ذنوبنا ، وأصغر جرما منها .

وقد روى الامام أحمد والبزار مرفوعاً وبينما رجل ممن كان قبلكم خرج في بردين أخضرين يختال فيهما أمر الله تعالى الأرض فأخذته ، فهو يتجلجل

فيها إلى يوم القيامة » .

وفى البخارى عن ابن عباس مرفوعاً «بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه إذ خسف الله تعالى به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » قال ابن عباس : وذاك بزقاق إبى لهب بمكة قال ومن رآه حين خسف به العباس رضى الله تعالى عنه .

وروى البخارى تعليقاً ، وأبو داود « ليكونن من أمتى أقواما يستحلون الخز والحرير يمسخ منهم قردة وخنازير الى يوم القيامة » .

فانظر ياأخى إلى هذه الأمور التى خسف الله تعالى بأهلها الأرض تجد ذنوبك أعظم منها بيقين أو مثلها فكم نظر أحدنا إلى عطفيه لما لبس ثوباً جديداً أو مضربة جديدة أو كم نظر إلى عمامته بعد أن عممها ، وكم أصلح طياتها لا لغرض شرعى ، وكم تبختر أحدنا فى مشيه ، وكم رفع نفسه على أقرانه،وكم بات أحدنا على محبة الدنيا التى هى رأس كل خطيئة وعلى الضحك واللعب ، واللهو وكم وكم وكم ومما يتأمل ، ويعتبر منه .

وقد نقل ابن الجوزى أنه وقع فى أيام الخليفة المطيع لله تعالى بمصر زلازل عظيمة ، حتى خربت عدة بلاد،وسكن الناس الضجر ، ووردت أيضا محاضر شرعية أن الله تعالى خسف بأرض الرق بمائة وخمسين قرية ، وصارت كلها ناراً وتقطعت الأرض ، وخرج منها دخان ، وقذفت الأرض جميع مافيها حتى عظام الموتى انتهى .

ووقع ببلاد تبريز بالعجم زلزلة مات فيها تحت الهدم نحو مائة ألف إنسان ، ولبس الناس المسوح ، وصاروا يجئرون إلى الله تعالى .

ووقع ببلاد خرسان من السماء قطعة حديد نحو مائة قنطار ، ولها دوى أسقطت الحوامل .

وكذلك خسف الله تعالى ببعض جزاير من البحر بأهلها بنواحى عكا فى أيام الملك الظاهر أبى الفتوحات بعد أن أمطرت السماء دما سبعة أيام ، ولم يزل يبلغنا الخسف ، والزلازل ، ببلاد ، وجبال فى الروم ، والعراق إلى عصرنا هذا .

وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول .

لايستبعد وقوع الخسف به فى هذا الزمان إلا كل جاهل بمؤاخذات الله تعالى وبحكم الله تعالى .

قال : ومن إستبعد وقوع الخسف بمثله ، فليعرض على نفسه الكبائر والصغاير ، التى جمعها العلماء ، وينظر : فإن رأى نفسه سالما منها ، فذاك يصح له الأمان ، وإن كان وقع فى بعضها ، فقد إستحق الخسف به ، وهى كثيرة ولكن نذكر لك منها طرفاً صالحاً ، فنقول وبالله تعالى التوفيق .

من الأمور التى نهى الشارع عنها نهياً مغلظاً ، أو مخففاً نصا ، أو إستنباطاً : ترك فعل الصلاة فى وقتها ، وترك الزكاة بالكلية ، أو ناقصه ، والزنا ، واللواط ، والفرار من الزحف بشرطه ، وأكل الربا ، وساير الحرام ، والغش فى المعاملات ، وترك الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر مع القدرة عليه ، وشرب الخمر ، وإن لم يسكر ، وشرب ساثر المسكرات ، وشهادة الزور ، وقذف المحصنات ، والغلول من الأموال المشتركة بين المسلمين كبيت المال ، والزكاة . وقتل المعاهد ، وأكل أموال الناس بالباطل ، واليمين الغموس ، والحلف بملة غير الإسلام كاذباً ، وإعتياد الكذب ، وتحريه ، والقضا بغير علم ، وأكل الرشوة ، والحكم بغير ما أنزل الله . والديوثه وهو المستحسن على أهله ، والقيـــادة . وهو المستحسن على الأجنبى ، والتخنث فى الرجل ، والتذكير فى المرأة وهى أن يتشبه الرجل بالمرأة ، وعكسه ، وتحليل المرأه لزوجها لحديث « لعن الله المحلل والمحلل له » واللعب بالنرد والأوتار ، وسماعها ، وعدم التنزه عن البول ، وترك غسل الجنابه ، حتى يخرج وقت الصلاة ، وكذلك ترك الوضوء أو التيمم ، وخلف الوعد والفجور

عند المخاصمه والكذب فى غالب الأحوال لغير غرض شرعى وكتم العلم عن مستحقه ولو عدوا ، وتعليمه للدنيا أو الرياسه ، والمال، وتعظيم دون العمل به ، وتعاطى مقدمات القتل إلا بطريق شرعى كان يصول لص على ماالك ، والغيبه إلابطريق شرعى ، وأكل الغير بغير إذنه إلا فى مخمصة والقذف ، واليمين الفاجرة وتقديم الصلاة عن وقتها، وتأخير الصلاة عن وقتها كذلك ، وقطيعة الرحم بأن لا يصلها ، وعقوق الوالدين ، وهو مخالفتهما فيما طلباه من حقوقهما وعدم إكرامهما ،وكذلك عقوق الخالة والعم عند بعضهم، وأكل مال اليتيم والتطفيف فى الكيل، والوزن،والزرع والمرا بالباطل والجدال بغير علم وكتمان الشهادة .

والسعاية عند السلطان ، وساير الولاه بما يضر المسلمين وإن كان صادقاً ، ومحاربة العلماء ، والصالحين وإحراق الحيوان بالنار ، ولو برغوثاء وقملة ، ونظر الرجل إلى عورة المرأة الأجنبية لغير حاجة شرعية ، وكلها عورة عليه إلا ما استثنى كنظره إلى الوجه والكفين إذا أراد خطبتها ، ونظر وجهها للشهادة ، وموضع الفصد ، والحجامة ، ونظر البالغ إلى ما بين السرة ، والركبة من المحارم ، ومن الأمة والرجل ، ونظره إلى الأمـــرد بشهوة ، وإلزام المسلم ، أو الذمى بمالا يلزمه من العقود ، والفسوخ ، والأقوال ، والأفعال ، وغير ذلك أو إيذاؤه بغير حق سواء أكان بقول أو فعل ، أو سكوت ، أو ترك قليله ، وكثيره ، أو بأسبابه ، ومقدماته ، أو المساعدة على ذلك ، أو الرضى به وترك الختان بعد البلوغ ، لرجل أو امرأة ، وترك رد السلام ، والمن بما يفعله من الخير ، ولو فى نفسه ، والتكذيب للناس بغير حق ، وسماع الغيبة من غير ردها ، والتجسس على الناس ، فى حديثهم الذى يسرونه عنه ، ولعن من لا يستحق اللعن ، والجلوس وسط الحلقة ، وتصديق الكاهن ، والمنجم ، ونشوز المرأة ، وأن تفضى المرأة إلى الرجل ويفضى إليها ، ثم ينشر سرها وعكسه ، وسؤال المرأة زوجها الطلاق من غير ما بأس

وتغيير منار الارض أى علامات الطريق . واستطالة المرء فى عرض أخيه المسلم ، والنياحة على الميت ، ولطم الخدود ؛ وشق الجيوب ، والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة والطعن فى أنساب الناس ، وتبرى الإنسان من نسبه ، أو من والده وأن يتولى غير مواليه ، وهجر المسلم فوق ثلاثة أيام بغير طريق شرعى ، وتعذيب الحيوان بغير موجب وخصى عبد مطلقاً وتعذيبه وتكليفه بالخدمة الشاقة وغيرها بغير حق ظلما وبغيا وإن يشير الشخص إلى أخيه بحديدة أو سلاح والغدر بالأمير والقيام عليه بالسيف ، وتكفير المسلم بغير حق .

وعدم الإنكار على المرأة إذا وصلت شعرها أو وشمت يدها . أو حددت معالم جسمها ، أو نشرت وجهها أى جردته ، حتى يحمر والحقوا به أقضى القضاة إلا بتأويل ، وتتبع عورات الناس ، وإيذائهم بغير ما اكتسبوا وترك الإنكار على الامرا الذين يلبسون الحرير ، ويستعملون أوانى الذهب، والفضة فى أكل أو شرب أو إدهان ، أو اكتحال ، وغير ذلك . ومحبة الإنسان أن يتمثل له الناس قياما ، وهو جالس ، وسوء الجوار ، حتى يشكوا جاره منه ، وتسبب الإنسان فى سب والديه ، وإن لم يقع سب ، ومسابقة الإمام فى الركوع ، أو السجود ، والمرور بين يدى المصلى إلا إذا كان بينه وبينه سترة ، وعدم الإنكار على العبد إذا أبق من سيده فضلا عن إيوائه عنده ، والسكوت على من يستحل مكة أو المدينة النبوية . أو يحدث فيها حدثا ، والشفاعه فى تعطيل حد من حدود الله تعالى ، والإحداث فى الدين ما ليس منه ، وسوء العشرة للمملوك ، وعدم الإحسان [illegible] . والتطفيف فى الكيل ، أو الوزن ، وإفساد المرأة على زوجها . أو عبد على سيده ، وسوء الظن بعباد الله تعالى ، ووطء المرأة فى دبرها . وعدم إنكار المساحقة للنساء ، والمفاخذة للرجال . واتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها ، والطواف بها كالكعبة ، واستلامها والصلاة إليها ، والكلمة التى

تعظم مفسدتها ، وينتشر ضررها ، ولا يلقى صاحبها لها بالا ، والمخاصمة بالباطل مع علمه بأنه على باطل ، وبيع العبد بعد عتقه ، واستعمال العامل ، وعدم إعطائه الأجرة بعد استيفاء العمل ، وبغض الأنصار ، والحيلة على إسقاط ما أوجب الله تعالى وإباحة ما حرم الله تعالى ، والتكذيب وتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ، والكلام بغير عذر شرعى ، والإمام يخطب والتغوط مستقبل القبلة ، أو مستدبرها فى الصحراء ، والقبلة للصائم إن حركت شهوته ، والوصال فى الصوم على الأرجح ، والاستمنا بيده ، أو يد أجنبية مثلا ، ومباشرة الأجنبية من غير جماع ، ووطء الرجعية قبل الرجعة ، والخلوة بالأجنبية . وعدم الإنكار على المرأة إذا سافرت بغير زواج ، ولا محرم ، ولا نسوة ثقاة ، والخطبة على خطبة أخيه إلا أن يأذن له ، وعدم الإنكار على من يتلقى الركبان ، أو على الحاضر إذا باع لبادى ، والاحتكار والزيادة فى السلعة لا لرغبة فى شرائها بل يخدع غيره ، وبيع المعيب قبل بيانه ، وعدم الإنكار على من باع عبداً مسلماً لكافر . أو باعه مصحفا ، أو كتب علم شرعى ، وكشف العورة فى الخلوة لغير حاجة ، واتخاذ الكلب الذى لا يحل اقتناؤه .

قال العلماء : وتصير الصغيرة كبيرة بالإصرار عليها ، واحتقارها فى عينه ، والتهاون بستر الله تعالى على صاحبها ، وحمله عليه ، و يكون فاعلها عالماً يقتدى به ، وتكفر الصغاير باجتناب الكبائر ، وبفعل الأعمال الصالحة .

قال بعضهم : ويتحقق الإصرار بأن يدخل على صاحب الذنب وقت صلاة أخرى ، ولم يتب ، فهذه جملة من المعاصى ، التى نهى الشارع عنها كل مكلف ذكرناها لك غير مبينين الصغاير من الكبائر ، وإن كان الشارع صلى الله عليه وسلم قد بين فالتزم كل ذلك أدبا مع الشارع صلى الله عليه وسلم ، وخوفا عليك يا أخى أن تفعل الذنب إذا قيل إنه غير كبير ومقصودنا سد الباب وعدم

التمرض لهذه الذنوب فإن كل واحد منه يوجب أن الله تعالى يؤاخذ عليه بما شاء من العقوبات من خسف ومسخ أو مرض شديد .

ولا تنس يا أخى كباير الباطن فإن من كان فى قلبه مرض منها لم يلق الله تعالى بقلب سليم ، وذلك كالنفاق ؛ بأن يتظاهر بالتوبة ؛ وهو مصر على الذنب مثلا ؛ والكبر ؛ والفخر ؛ والخيلاء ؛ وسوء الظن ؛ والحسد والغل والحقد والبغى والرياء والبخل وحب السمعة والإعراض عن الأخلاق المحمدية وازدرا المسلمين ؛ والخوض فيما لا ينبغى الخوض فيه مثل الخوض فى ذات الله تعالى ؛ والطمع فيما فى أيدى الناس والنظر إلى الأغنياء بعين التعظيم زيادة على الفقرا ولاستهزاء بالفقرا أو بالمعرة إذا كانو أهله ، والحرص على المال والتنافس فى الدنيا والمباهاة بها والتزين المخلوقين بما نهى الشرع عنه أو المداهنة ، وحب المدح بما لا يفعله ، أولا يقصده من الطاعات ،والاشتغال بعيوب الخلق فى المجالس ، ونسيان الإنسان عيبه هو ،ونسيان نعمة الله تعالى عليه ، حتى لا يكاد يشكره إلا قليلا ، وترك الغيره لدين الله تعالى ، وعجب الإنسان بحسن عباداته ، وعقله ، وقلة شكر الله تعالى ؛ والاشمئزاز من تقدير الله تعالى ، من حيث القضا لا المقضى ؛ وظنه فى الله تعالى أنه لا يغفره واتباع الأهواء المضلة عن طريق الله تعالى ، والإعراض عما يرضى الله تعالى والكنود عنه ، والخداع لله تعالى مطلقا ، أو لخلقه بغير طريق شرعى ، وحب الحياة الدنيا وزينتها لغير غرض شرعى صحيح وعدم قبول الحق من الناصح ، ولو عدوا له ، وفرح العبد بالمعاصى والطمأنينة إلى الاقامة فى الدنيا ، ونسيان ذكر الله تعالى والدار الآخرة . وغضب الإنسان لحظ نفسه وانتصاره لها بالباطل ، وهو أن حقوق الله تعالى على قلبه وسخريته من عباد الله تعالى ، واحتقاره لهم بغير طريق شرعى ، ونحو ذلك . فقد أجمع القوم على أن الحق تعالى يذم صاحب هذه المعاصى أكثر مما يذم صاحب المعاصى الظاهرة ، كالغصب والسرقة ، وشرب الخمر ، والزنا ، وذلك لعظم مفسدتها ومع ذلك فقد أصبحت هينة على

الناس فى النصف الثانى من القرن العاشر حتى لا يكاد أحدهم يستغفر منها فاعرض يا أخى هذه المعاصى على نفسك وإخوانك .

وإن الله تعالى لو خسف بأهل الأرض كلهم بسبب ذنوبه واحد لما كان ذلك غريباً .

وكان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول :

والله لو أن ذنوبى قسمت على أهل الأرض كلهم لوسعتهم ، واستحقوا بها الخسف والهلاك ، فكيف حال من هو حاملها وحده ، ولكن سبحان من رحمته سبقت غضبه انتهى .

ويؤيد ذلك أن رسول الله ﷺ صلى على امرأة بعد ما رجمها فى الزنا .

فقالوا : أتصلى عليها يا رسول الله وقد زنت .

فقال ﷺ : لقد تابت توبة لو قسمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم .

وقال أيضا فى ماعز : لقد تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض لوسعتهم أى فكما أن توبة شخص واحد لو قسمت تسع أهل الأرض ، فكذلك تكون معصيته لو قسمت على أهل الأرض قياسا على توبته .

وقد قال بعض العارفين من رحمة الله بعباده أنه إذا عصى أحد منهم أن لا يخصه وحده بالبلا بل يوزعه على الخلايق رحمة به ، ولولا ذلك لمحق الله تعالى أثره بذنب واحد .

قال : ومن هنا قالوا :

الرحمة خاصة والبلا عام ، فإنه إذا توزع على الناس أصاب كل واحد نصيب ضعيف لا يكاد يحس به ، وذلك من باب ارتباط المؤمن بالمؤمن ، وتحمله همومه كما فى الحديث مرفوعاً « من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم وفى

لفظ آخر « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » انتهى .

وفى الحديث أيضا « إذا كثر الخبث عم العذاب الصالح والطالح » انتهى.

ثم اعلم يا أخى أن شهود العبد أن كل بلا نزل على بلده أو اقليمه فإنما هو بسبب ذنوبه هو فقط ليس هو لكل فقير إنما هو لأفراد من الفقرا . وقد أدركت من هؤلاء الأفراد جماعة كشيخنا شيخ الاسلام زكريا وسيدى على الضرير النبتيتى وتلميذه سيدى على البحيرى وسيدى على الخواص وسيدى أفضل الدين رضى الله تعالى عنهم كامر فى هذا الكتاب مرارا فكان كل واحد من هؤلاء إذا نزل بالمسلمين بلا يصير يبكى ويفحص فى الأرض كالطير المذبوح ، ويقول : يارب لا تؤاخذ هؤلاء الخلايق بذنوبى ، وصاحب هذا المشهد لا تصير له رأس يرفعها بين الناس لا فى الدنيا ، ولا فى الآخرة من شدة تواضعه ، ورؤيته نقايصه .

وقد من الله تعالى على برايحة من هذا المقام ، ولله الحمد ، حتى صرت لا أقدر على أحد يقوم لى ولا يقبل يدى ولا على حضور وليمة يجتمع فيها الناس ، وإن جرى القدر الإلهى بحضورى أصير بين الناس أحس بنفسى كالذى كبسوه بفاحشة أو جرسوه فى أزقة بلده ، حتى انى تركت حضور ولايم الناس ، وموالد الأشياخ ، ولا يكاد يعذرنى فى تخلفى عن ذلك إلا من ذاق مذاقى ، وشهد مشهدى ، فلا أتعقل الآن بلا ينزل على أهل مصر ، وقرأها إلا بواسطة ذنوبى وحدها ، وإن ذنوب الناس كلها مغفورة إتهاما لنفسى ، وحسن ظنى بغيرى ، وكثيرا ما يغلى رأسى ودماغى من شدة النار فاصير أحس بدهن رأسى سائلا على خدى ، وأموت موتات . ولا يشعر بى جليسى ، ومن يشهد هذا المشهد لا يستبعد وقوع الخسف به . والمسخ .

وقد قدمنا فى هذا الكتاب أن سيدى عبد العزيز عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى كان يقول لمن طلب منه كرامة : وهل تطلب يا ولدى كرامة

لعبد العزيز أعظم من أن الله تعالى يمسك به الارض ، ولا يخسفها به ، وقد استحق الخسف به من سنين .

وتقدم أيضا فى هذا المبحث أن مالك بن دينار كان لا يخرج مع الناس للاستسقاء ، ويقول : أخاف أن يمنعوا القطر بسبب خروجى معهم .

وكذلك تقدم هنالك عن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه أنه كان إذا مرت به سحابة وهو يملى الحديث يسكت ويقول اصبروا حتى تمر هذه السحابة .

فإنى أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها .

وليكن ذلك آخر كتاب الاخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمدية جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم ، وأسأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يديم علينا التخلق بما فيه .

حتى نلقاه ، وأن يستر فضايحنا فى الدارين ، ولا يؤاخذنا بما انطوت عليه سرايرنا وأن ينبت لنا الزرع ، ويدر لنا الضرع ، وينزل علينا من بركات السماء ، ويلطف بنا فى سائر حركاتنا وسكناتنا إنه ولى ذلك ، والقادر عليه آمين اللهم آمين ، ورحم الله تعالى من نظر فى هذه الأخلاق ، ودعى لمؤلفها ، وكاتبها بالعفو عنه ، فإنها كلها أخلاق محمدية لا تكاد ترى منها خلقا واحدا فى رسالة أحد من أهل هذا الزمان ، لما أشرنا إليه فى خطبة الكتاب ، ومن تخلق بها صار من صدور أهل السنه والجماعة فى عصره ، ووجب الإنقياد له ، والاقتدابه

فاياك ياأخى أن يقوم بك الحسد ، وتنحجب بحجاب المعاصرة فلا تنتفع بشىء من هذا الكتاب فيفوتك خير الدارين كما يقع فيه كثير من أصحاب الأنفس الردية ، فإن نفع الانسان كله انما يكون من أهل عصره ، وأما الأموات فقد صار ظهرهم فى البرزخ إلى الدنيا ووجوههم للآخرة ، وخرجوا عن

التكليف بهداية الناس ، كما هو مشاهد وقد سمعت من أحد أهل الدعاوى انه قال : ما بقى على وجه الارض الآن أحد من أهل السنة ، والجماعة فقالوا له : ولا فلان قال : ولا فلان ، فاطلعه بعض الإخوان على كراس من هذا الكتاب فرجع عن قوله بحمد الله .

وقال : إن لم يكن صاحب هذه الاخلاق سنيا فما بقى على وجه الأرض سنى انتهى والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وصلى الله وسلم على الفاتح الخاتم سيدنا ومولانا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين عدد ذكر الذاكرين وسهو الغافلين وكان الفراغ منه فى يوم الاثنين المبارك أول شهر محرم أول سنة عشرين وألف احسن الله عاقبتها امين آمين آمين .

محتويات الكتاب

فهرس الجزء الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
ومن أخلاقهم : احتمال الأذى من الخلق وعدم التغير من حصول البلاء لهم	٢٠٩

الخاتمـــة

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الصفحة

موضوع	الصفحة

رقم الإيداع ٤٠٣١ / ١٩٧٦

الترقيم الدولى ٩ — ٠٨ — ٦٧ — ٧ — ٩٧٧ — ISBN

دار التراث العربى للطباعة ت : ٩٢٦١٤٥